نموذج ترخيص

أنا الطالب : سعيد محمد أحمد اللحام أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث اليوم الآخر في الصحيحين (دراسة تحليلية نقدية).

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: سعيد محمد أحمد اللحام

التوقيع: سعيد

التاريخ: ١٨/٧/٢٠١٢

شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث اليوم الآخر في الصحيحين

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

سعيد محمّد أحمد اللحام

المشرف

الدكتور عبد الكريم أحمد الوريكات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في الحديث النبوي

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون أول، ٢٠١٥م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة

«شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث اليوم الآخر في الصحيحين - دراسة تحليلية نقدية»

وأجيزت بتاريخ ٣١ / ١٢ / ٢٠١٥م.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
الدكتور عبد الكريم أحمد الوريكات، مشرفاً أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه	....
الأستاذ الدكتور محمّد عيد الصاحب، عضواً أستاذ الحديث الشريف وعلومه	....
الأستاذ الدكتور أمين محمّد القضاة، عضواً أستاذ الحديث الشريف وعلومه	....
الدكتور فواز عقيل الجهني، عضواً (جامعة تبوك) أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه	....



الإهداء

- إلى والدتي الغالية التي لم تتدَّخر وسعاً في الوقوف إلى جانبي وإعانتي بالتشجيع والدعاء لي.
- إلى والدي العزيز الذي لولاه –بعد الله تعالى– لما استطعتُ إكمال طريقي في طلب العلم.
- إلى شيوخي العلماء الذين علَّموني وأرشدوني وربَّوني بعد والدي، وحببوا إليَّ طلب العلم الشرعي قبل دخولي الجامعة، أخصُّ بالذكر منهم الشيخ العالم حسناً الرزُّوق، والأصولي النظار محمداً الأشقر ــ رحمهما الله تعالى ــ والأستاذ المحدِّث شعيباً الأرنؤوط الذي أعمل معه.
- إلى أساتذتي الأفاضل في الجامعة الذين أفدتُ من علمهم ومن سَمْتهم.
- إلى أحباء حبيبنا محمَّد صلى الله عليه وسلم، وأحباء سنته الحارسين لها.
- إلى الدُّعاة والأئمة والخطباء وطلاب العلم.
- إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الدراسة، سائلاً مولانا الكريم أن يتقبلها، وينفعَ بها، ويجعلَها صدقةً جارية لي ، إنه سميع الدعاء.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإخراج هذا البحث على هذه الصورة، وأسأله جلَّ وعلا أن يكرمني ويوفقني إلى استعمال هذا العلم في خدمة دينه الإسلام، والذَّودِ عن حِياض سنة نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عبد الكريم الوريكات على قَبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما تفضّل به من توجيهات وإرشادات لإنجاز هذه الرسالة، كما وأشكره على طيبه ودماثة أخلاقه وحسن معشره، وعلى اهتمامه بالذبِّ عن السنة عموماً، وعن الصحيحين خصوصاً.

والشكر موصول كذلك، لأصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور محمد عيد الصاحب، والأستاذ الدكتور أمين القضاة، والدكتور فواز عقيل الجُهني، على قبولهم مناقشة هذه الرسالة وتقويمها لتخرج بأحسن صورة.

فهرس المحتويات

قرار لجنة المناقشة ب

الإهداء ج

شكر وتقدير د

فهرس المحتويات هـ

الملخص باللغة العربية ط

مقدمة **١**

تمهيد: الشيعة الإمامية والسنة النبوية

أولاً: التعريف بالشبهات، والمعاصرين من الشيعة، واليوم الآخر، والصحيحين وصاحبيهما، وأهمية الدفاع عنهما. **١٦**

ثانياً: النشأة التاريخية للشيعة، وعقيدتهم. **٣١**

ثالثاً: مفهوم السنة عند الشيعة الإمامية، وموقفهم من مصادر أهل السنة في الحديث. **٣٨**

الفصل الأول

شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث الموت والقبر، والرد عليهم

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الموت وما يتصل به **٤٨**

المطلب الأول: حديث المسلم الذي يشهد له أربعة بخير يدخل الجنة **٤٩**

المطلب الثاني: حديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه **٥٥**

المطلب الثالث: حديث الذي أوصى أبناءه بأن يحرقوه ثم يذروه في الهواء بعد موته **٦٣**

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث عذاب القبر ونعيمه **٦٨**

المطلب الأول: مناقشة أحد النافين لعذاب القبر **٦٩**

المطلب الثاني: حديث سؤال الملكين للميت، وحديث عرض المقعد على الميت ٧٤

المطلب الثالث: حديث تعذيب الذي يمشي بالنميمة والذي لم يستتر من بوله ٨٣

المطلب الرابع: حديث استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر، وحديث تعذيب اليهود في قبورها ٩٠

الفصل الثاني

شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب والشفاعة والميزان والصراط، والرد عليهم

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب ٩٦

المطلب الأول: حديث صعق الناس يوم القيامة، وأن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ٩٧

المطلب الثاني: حديث مانع زكاة الأنعام، وحديث الشجاع الأقرع ١٠١

المطلب الثالث: حديث إخراج آدم عليه السلام بعث النار ١٠٧

المطلب الرابع: حديث إلجام العرق لبعض الناس يوم القيامة ١١٠

المطلب الخامس: حديث تكليم الله للناس يوم القيامة بلا ترجمان، وحديث إدناء المؤمن من كنف الله ١١٣

المطلب السادس: حديثان في رؤية الله تعالى يوم القيامة ١١٨

المطلب السابع: حديثان في اتباع كل أمة ما كانت تعبد، وانتظار المؤمنين رؤية ربهم عز وجلّ ١٣٢

المطلب الثامن: حديث الكشف عن الساق ١٣٩

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث الشفاعة والميزان والصراط ١٤٥

المطلب الأول: أحاديث طلب الناس الشفاعة من الأنبياء ١٤٦

المطلب الثاني: حديث الرجل السمين الذي لا يزن عند الله جناح بعوضة ١٦١

المطلب الثالث: حديث الصراط المضروب فوق جهنَّم ١٦٦

المطلب الرابع: حديث القنطرة ١٧٠

الفصل الثالث

شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث الجنة والنار وغيرها، والرد عليهم

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار ١٧٥

المطلب الأول: أحاديث أول زمرة تدخل الجنة صورتهم كالبدر ١٧٦

المطلب الثاني: حديث ما بين مصراعي الجنة كما بين مكة وحمير ١٨٦

المطلب الثالث: حديث يدعى صاحب كل عِبادة من بابها، وحديث أبواب الجنة ثمانية ١٨٨

المطلب الرابع: حديثان في آخر من يدخل الجنة، وحصته فيها ١٩٣

المطلب الخامس: حديث رؤية النبي ﷺ الجنة والنار حال صلاته للخسوف، وحديث عامة أهل الجنة المساكين ٢٠٣

المطلب السادس: حديث تحاجّ الجنة والنار ٢١٠

المطلب السابع: حديثان في قول النار: هل من مزيد حتى يضع الربُّ فيها قدمه ٢١٧

المطلب الثامن: حديث اشتكت النار إلى ربها فأذن لها بنفسين ٢٢٧

المطلب التاسع: حديث ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم ٢٣٥

المبحث الثاني: الشبهات في حديثين يتصلان بموضوع الدراسة ٢٣٩

المطلب الأول: حديث يؤتى بالموت على هيئة الكبش فيذبح ٢٤٠

المطلب الثاني: حديث الرجل الذي استأذن ربه في الزرع وهو في الجنة ٢٤٨

المنطلقات التي اعتمدها المعاصرون من الشيعة في طعنهم لأحاديث «الصحيحين» ٢٥١

الخاتمة: وفيها أهم نتائج الدراسة والتوصيات ٢٥٣

المصادر والمراجع ٢٥٦

ملحق فهرس الأحاديث ٢٦٩
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٧٢

شبهات المعاصرين من الشيعة حول أحاديث اليوم الآخر في الصحيحين

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

سعيد محمَّد أحمد اللحام

المشرف

الدكتور عبد الكريم أحمد الوريكات

ملخص

تناقش هذه الرسالة شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية بخصوص بعض أحاديث الصحيحين مما يتعلق بالموت والقبر واليوم الآخر والجنة والنار، بدعوى معارضتها للقرآن أو للسنة أو للعقل، وذلك بإخضاع الشبهات التي أثاروها لقواعد البحث العلمي، لمعرفة صحة دعواهم في أن أحاديث الصحيحين تتعارض مع القرآن أو السنة أو العقل تعارضاً يوجب الحكم عليها بالوضع، وهل فعلاً أن علماء المسلمين غفلوا عن ذلك لما تلقوا أحاديث الصحيحين بالقبول طيلة أكثر من عشرة قرون مضت.

وبعد دراسة الشبهات والانتقادات التي وجهتها الشيعة الإمامية تجاه أحاديث الصحيحين مما يتعلق بموضوع الدراسة، تبيَّن أن دعوى هؤلاء بتناقض هذه الأحاديث مع القرآن والسنة والعقل لا تصحُّ البتة، وأن هؤلاء الطاعنين أخطأوا في زعمهم هذا، وأنهم جانبوا الصواب نتيجة مخالفتهم قواعد البحث العلمي من ناحية، وبسبب عدم أهليتهم وتمكنهم من فهم علم أصول الحديث الشريف من ناحية أخرى، ولا سيما في معرفة نقد المتون، ومعرفة الجمع بين الأحاديث وما يتعارض معها في الظاهر من قرآن أو سنة.

كما تُبين لنا هذه الدراسةُ كيف نفهمُ الأحاديثَ التي يتعارض ظاهرها مع القرآن أو السنة أو العقل من خلال القواعد العلمية التي رسمها المحدِّثون في علم أصول الحديث نظرياً، وفي علم شرح الحديث عملياً، فكانت هذه الدراسة تطبيقاً عملياً لهذه القواعد من خلال الرد على هؤلاء الطاعنين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه من المعلوم مكانة السنة النبوية في الدين الإسلامي الحنيف، إذ هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم الذي يستمدُّ منه المسلمون عقائدهم وأحكامهم، فمن هنا قدَّم العلماء قديماً وحديثاً جهوداً كبيرة لخدمتها والذبّ عنها، وتخليصها من أيدي العابثين وتأويل الجاهلين أو المغرضين، فكانت ثمرةَ ذلك تلك المصنفاتُ الرائدةُ التي حفظ الله بها سنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم، وكان على رأسها الصحيحان اللذان هما أصحُّ كتب الحديث على الإطلاق. ومع ذلك وجدت من يطعن فيهما ابتغاء الفتنة وابتغاء إسقاط السنة. ولا سيما في هذا العصر؛ إضعافاً لأعظم مرجعية للمسلمين بعد القرآن. ومن هؤلاء الطاعنين: المستشرقون(١)، والحداثيون(٢)، والقرآنيون(٣)، وعلى رأسهم جميعاً الشيعة

---

(١) الاستشراق: يطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ٢م (بإشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر،١٤٢٠ هـ، ج٢، ص٦٨٧.

(٢) الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها.

وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة. انظر المرجع السابق، ج٢، ص٨٦٧.

(٣) القرآنيون أو أهل القرآن هو اسم يطلق على تيار إسلامي يكتفي بالقرآن كمصدر للإيمان والتشريع في الإسلام. ويعد الاختلاف في فكر التيار القرآني هو عدم الأخذ بالأحاديث والروايات التي تُنسب للنبي محمد نبي الإسلام أو ما يعرف بالسنة النبوية، فالقرآنيون يكتفون بالقرآن كمصدر للتشريع لاعتقادهم أن الله قد وعد بحفظ القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ويستدلون على ذلك بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي اجتمع كافة المسلمين

الإمامية الذين جمعوا ما عند غيرهم من الشبهات ثم أضافوا إليها ما عندهم.

وقد جمعتُ في هذه الدراسة الشبهات التي وجهها الشيعة الاثنا عشرية إلى أحاديث «الصحيحين» فيما يتعلق بالموت والقبر واليوم الآخر.

فمن هنا أحببت من خلال هذه الأطروحة أن أدرأ -ما استطعتُ- هذه الشبهات، ومن الله تعالى أستمدُّ العون، فهو نعم المولى ونعم النصير.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في المطاعن التي أثارها معاصرو الشيعة حول الأحاديث المتعلقة باليوم الآخر في صحيحي البخاري ومسلم، وستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مفهوم السنة عند الشيعة الإمامية؟

٢- ما موقف الشيعة الإمامية من مصادر أهل السنة في الحديث الشريف؟

٣- ما الشبهات التي أثارها المعاصرون من الشيعة الإمامية حول بعض أحاديث عقيدة اليوم الآخر في الصحيحين؟

على صحته، بينما الأحاديث فيها اختلاف كثير على صحتها بين الفرق الإسلامية المتعددة بل في كل الفرقة الواحدة يوجد اختلاف بين علمائها. كما لا يعتد القرآنيون بأقوال السلف أو إجماع العلماء أو القياس وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي السنية أو الشيعية أو الإباضية أو غيرهما من الفرق التي يطلق عليها القرآنيون مسمى الأديان الأرضية، ومن هذا المنطلق فإنهم يخالفون الفكر الإسلامي السائد منذ عصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي وهو فكر يعتبره القرآنيون حرفياً متطرفاً ومخالفاً للإسلام الصحيح. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https://goo.gl/P٥qMOF

٤- كيف يتعامل معاصرو الشيعة الإمامية مع أحاديث العقائد المروية عند أهل السنة؟

٥- ما الجذور الفكرية والتاريخية للانتقادات التي أثارها الشيعة الإمامية حول هذه الأحاديث؟

٦- ما هي المنطلقات التي انطلقت منها الشيعة الإمامية للطعن في أحاديث «الصحيحين»؟

أهمية الدراسة:

١- حاجة البحث العلمي لدراسة الشبهات التي أثارها المعاصرون من الشيعة حول أحاديث العقائد، خاصة ما ورد منها في الصحيحين.

٢- حاجة المختصين لدراسة القيمة العلمية لهذه الشبهات التي أثيرت حول أحاديث العقائد في الصحيحين.

٣- الحاجة لدراسة تبيِّن الجذور الفكرية والتاريخية لهذه الشبهات التي أثارها المعاصرون من الشيعة الإمامية.

٤- الحاجة إلى الدفاع والذبِّ عن «الصحيحين» لكونهما أهمَّ مصدرين وأصحهما للسنة النبوية عند الأمة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١- توضيح مفهوم السنة عند الشيعة الإمامية.

٢- معرفة موقف الشيعة الإمامية من مصادر أهل السنة في الحديث الشريف.

٣- إبراز الشبهات الخاصة بأحاديث اليوم الآخر المروية في «الصحيحين» التي أثارها المعاصرون من الشيعة الإمامية.

٤- معرفة كيف يتعامل معاصرو الشيعة الإمامية مع أحاديث العقائد المروية عند أهل السنة.

٥- معرفة الجذور التاريخية والفكرية للشبهات التي أثارها المعاصرون من الشيعة الإمامية حول هذه الأحاديث.

٦- معرفة المنطلقات التي انطلقت منها الشيعة الإمامية للطعن في أحاديث «الصحيحين».

الدراسات السابقة:

للعلماء المعاصرين جهود طيبة في مواجهة الشبهات التي أثارها الطاعنون في أحاديث الصحيحين بوجه عام، والشيعة بوجه خاص، ومن أهمها:

١- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، طبعة دار الوراق – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

قام صاحب الكتاب برد الشبه التي أوردها أحمد أمين ومحمود أبو رية في كتبهم حول السنة والحديث، وهذه الشبه في غالبها أخذاها من كتب المستشرقين والمعتزلة. وهذه الشبه غير محصورة في الأحاديث المتصلة باليوم الآخر، وإنما شبه عامة، كما أن بعضها ليس في الصحيحين أصلاً.

٢- الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، للمعلمي اليماني. المطبعة السلفية ومكتبتها، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م.

وهو كذلك رد على محمود أبو رية المذكور في الكتاب السابق.

٣- دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين، لمحمد أبو شهبة. دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

وهذا الكتاب شبيه بسابقيه، حيث رد مؤلفه على شبه المستشرقين وعلى كتاب محمود أبو رية.

فهذه الكتب الثلاثة

هذه الكتب الثلاثة موضوعها قريب بعضه من بعض حيث عرضت للرد على الشبه التي ذكرها المستشرقون وأحمد أمين وأبو رية، ولا تغطي الشبه الواردة في أحاديث اليوم الآخر مما يتعلق بأحاديث الصحيحين.

٤- كتاب «مع الاثني عشرية في الأصول والفروع» للدكتور علي أحمد السالوس، دار الثقافة، قطر، ط١٠، ٢٠٠٨م.

قسم المؤلف كتابه الى أربعة أقسام: الأول في العقائد، وتحدث فيه عن الإمامة وعصمة الأئمة.

والثاني في التفسير وكتبه ورجاله.

والثالث في الحديث وعلومه ورجاله، وقسمه الى ثلاثة أقسام:

- تكلم في الأول عن الحديث وعلومه عند أهل السنة.
- وفي الثاني تكلم عن الحديث وعلومه وكتبه عند الشيعة.
- وفي الثالث تكلم عن أن بيان السنة كان على لسان رسول الله ﷺ.

والرابع في أصول الفقه والفقه مما يتعلق بالعبادات والمعاملات.

فهذا الكتاب ليس فيه جمع لشبه الشيعة المتعلقة بأحاديث اليوم الآخر.

٥- كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية» للدكتور ناصر بن عبدالله بن علي القفاري، بدون دار نشر، ط٢، ١٩٩٤م.

قسمه مؤلفه الى خمسة أبواب، الأول اعتقاد الشيعة في مصادر الإسلام (القرآن والسنة والإجماع). الثاني عقيدتهم في أصول الدين (توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات،

وأركان الإيمان). الثالث أصولهم ومعتقداتهم التي تفردوا بها. الرابع صلة الشيعة المعاصرين بأسلافهم. الخامس أثرهم في العالم الإسلامي. وفيه ردود طيبة على الشيعة، لكن ليس فيه جمع لشبه الشيعة المتعلقة بأحاديث اليوم الآخر.

٦- كتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين» للدكتور سليمان الدبيخي، مكتبة دار البيان، ط١، سنة ٢٠٠١م.

جمع فيه مؤلفه أحاديث العقيدة عموماً التي ظاهرها التعارض في الصحيحين، وقسمها حسب أبواب العقيدة المعروفة، وبين وجه التعارض فيها، ثم حاول الجمع بينها وإزالة التعارض الظاهري حسب منهج أهل العلم المسلوك في هذا الشأن.

وهذا الكتاب لم يستوعب الشبه التي أوردها الشيعة الإمامية فيما يتصل بموضوع دراستي، وإن كان بعضها موجوداً فيه.

٧- كتاب «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين» للدكتور الدبيخي أيضاً. مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٢٧هـ.

جمع فيه مؤلفه أحاديث العقيدة عموماً التي استشكلها أهل العلم دون غيرهم في الصحيحين، وقسمها حسب أبواب العقيدة المعروفة، وبين الاستشكال فيها، ثم قام بدفعه.

وليس كسابقه لم يستوعب موضوع دراستي.

فتقاطعت دراستي مع هذه الكتب في بعض الأحاديث التي أوردها أصحابها، وقاموا بالرد على الشبه الواردة حولها، وستكون دراستهم لهذه الأحاديث إحدى المراجع التي سأرجع إليها في دراستي، وسأضيف إليها الأحاديث التي لم يذكروها وذكرها الطاعنون من الشيعة.

ومن هنا، لم أجد دراسة جمعت الشبه والمطاعن المتصلة بأحاديث اليوم الآخر عن

المعاصرين من الشيعة الإمامية –في حدود علمي–، لذلك حصلت الرغبة عندي في دراسة هذه الأحاديث، والنظر فيما وُجِّه إليها من شبه وطعون، ومن ثم إبداء الرأي العلمي فيها.

ما تتناوله الدراسة:

ستتناول هذه الدراسة الآتي:

١- الاطلاع على الجهود السابقة، ثم البناء عليها بما يتناسب مع موجة الشبهات والطعون المعاصرة الجارفة والموجهة للصحيحين وما تحتويه من أصول السنة النبوية.

٢- جمع أحاديث الصحيحين التي طعن فيها المعاصرون من الشيعة المتعلقة بأحاديث اليوم الآخر، وبيان الجذور الفكرية والعقدية المرتبطة بتلك الشبهات والطعون.

٣- دراسة هذه الأحاديث ومناقشتها مناقشة علمية مبنية على أصول المحدثين وقواعدهم.

حدود الدراسة وصعوباتها:

هذه الدراسة مخصصة للطعون الموجهة لأحاديث اليوم الآخر في صحيحي البخاري ومسلم، لذلك خرج من هذه الدراسة الآتي:

١- الطعون الموجهة للصحيحين عموماً خارج موضوع الدراسة.

٢- الطعون الموجهة لأحاديث اليوم الآخر التي رويت في غير الصحيحين.

٣- الطعون الموجهة للسنة النبوية عموماً من حيث جمعُها، وثبوتُها، وحجيتها ، ونحو ذلك.

وأما عن الصعوبات التي واجهت الباحث، فتكمنُ في التالي:

١- تشعب الموضوع وارتباطه بقضايا قرآنية، وقضايا عقدية، وقضايا تتعلق بالفرق المنتسبة

للإسلام قديماً كالمعتزلة والجهمية والرافضة.

٢- كذلك من الصعوبات القوية التي واجهتني أن نسبة لا بأس بها من شبهاتهم لم يتطرق إليها المتقدمون ولا شُرَّاح الحديث، وخاصة تلك التي لم تذكرها الفرق الأخرى كالمعتزلة والجهمية، وذكرها هؤلاء المعاصرون، وهي في غالبها طعون عقلية صرفة، فاجتهدت فيها وسعي قدر الطاقة مستعيناً بالله عزَّ وجلَّ، فإن أصبتُ فهو مَنٌّ مِن الله تعالى عليَّ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولتُ وبذلتُ جَهدي، ولكل مجتهد نصيب.

٣- كثرة الكتب والمؤلفات والطعون الشيعية، سواء المطبوع منها، أو المنتشرة على الشبكة العنكبوتية والمنتديات الشيعية، لكن هذه الطعون في غالبها الساحق هي تكرار وإعادة لبعضها بعضاً لكن بأساليب مختلفة، والمضمون واحد، فلا تكاد تجد جديداً فيها، كما أن حصرها أو حصر غالبها أمرٌ صعب، ونظراً لذلك رأيتُ أن أحصر دراستي في أهمِّ المؤلفات التي وضعوها والتي رأيتُ أنها جمعت أغلبَ الشبهات والطعون فيما يتعلق بموضوع الدراسة، ووجدتُ غيرها تكراراً لما فيها.

وهذه الكتب هي:

الكتاب الأول: «جولة في صحيح البخاري» لمؤلفه عبد الحسين عبد الهادي العبيدي، لم أقف على ترجمة له.

صدر عن مكتبة فدك في قم بإيران، سنة ٢٠٠٩م. يقع في مجلد واحد.

وكان هذا الكتاب أهمَّ الكتب وأغزرها حديثاً وطعناً على الإطلاق فيما يخصُّ موضوع هذه الدراسة -فيما وقفتُ عليه- ولذلك كان له نصيب الأسد، مع أن غيره يكبره حجماً بثلاث مرات.

وقد جعله مؤلفه في أربعة أبواب، فسمى الباب الأول: منع تدوين السنة، وقسمه إلى ثلاثة فصول، تحدث في الفصل الأول عن قضية النهي عن تدوين السنة، وفي الثاني عن كيفية تدوين

السنة، وفي الثالث عن أهمية السنة.

وسمى الباب الثاني: نظرة عامة إلى «صحيح البخاري»، وقسمه إلى فصلين، تحدث في الأول عن البخاري وصحيحه ورجاله، وسمى الفصل الثاني: أحاديث غريبة وتأويلات أغرب، ذكر فيه ما يراه غريب المتن.

وسمى الباب الثالث: نظرة عابرة في أحاديث البخاري، وقسمه إلى خمسة فصول، الأول تحدث فيه عن أحاديث الإسراء والمعراج والقرآن، وتحدث في الثاني عن أحاديث الشفاعة والرؤية والجنة والنار والقبر وعذابه، وتحدث في الفصل الثالث عن أحاديث الأنبياء والصحابة، وسمى الفصل الرابع أحاديث الأساطير والخرافات، وتحدث في الفصل الخامس عن أحاديث العبادات والأحكام.

وسمى الباب الرابع: أبو هريرة في الميزان، وقسمه إلى ثلاثة فصول، سمى الأول الأحاديث المتناقضة، والثاني أحاديث متفرقة، والثالث أبو هريرة يتحدث عن نفسه.

وكلامه على الأحاديث كلام يفتقر إلى النقد العلمي، فهو ليس نقداً مبنياً على قواعد الجرح والتعديل، ولا على علم علل الحديث، ولا على علم أصول الفقه من تقييد المطلق، وتخصيص العام، والجمع بين ما ظاهره التعارض، ونحو ذلك، بل نقده في أغلبه نقد عقلي ذوقي، مأخوذ من كلام المعتزلة والعقلانيين والمستشرقين كما سيأتي في هذه الدراسة، وهو غير مبنيّ على أسس علمية، وحذا حذوه أصحابُ الكتب الثلاثة الآتي ذكرها جعفر السبحاني ومحمد جواد ومحمد النجمي في عدم اعتمادهم على النقد العلمي، ومن هنا كان الردُّ على طعوناتهم وشبهاتهم صعباً، وحاولتُ الاستناد في ردي عليهم إلى القرآن الكريم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

الكتاب الثاني: «الحديث النبوي بين الرواية والدراية – دراسة موضوعية منهجية لأحاديث أربعين صحابياً على ضوء الكتاب والسنة والعقل واتفاق الأمة والتاريخ» لمؤلفه جعفر محمَّد حسين

السبحاني، ولد سنة ١٩٢٨م في مدينة تبريز في إيران، مرجع شيعي إيراني معاصر له بروز واضح في مجالات الكلام والتفسير والفلسفة، وهو مؤسس مؤسسة الإمام الصادق والمشرف عليها، وهي من المؤسسات الثقافية الإسلامية الكبيرة في قم، وتتبعها مؤسسات ومراكز فرعية أخرى.

ألف أكثر من ١٥٠ كتاباً ورسالة، تشتمل على موسوعات وكتب دراسية وكراريس خاصة بالشباب وشرائح المجتمع المختلفة(١).

وكتابه مطبوع متوافر على الشبكة العنكبوتية، وليس عليه اسم دار نشر، ولا سنة طبع، ويقع في ٦٧٣ صفحة، من القطع المتوسط.

عمل له في البداية كالتمهيد، تحدث فيه عن مكانة السنة وتدوينها وعن تمحيص السنة ومنهجه في ذلك، وأنه لا يصحُّ كتاب سوى القرآن الكريم.

ثم ذكر أربعين صحابياً، ثم قسَّم أحاديثه إلى أحاديث رائعة إن وجد، وأخرى سقيمة. وكلامه على هذه الأحاديث كلام غير علمي، كما أشرت قبل قليل في الكتاب السابق.

الكتاب الثالث: «كشف المتواري في صحيح البخاري- حتى لا يكون البخاري صنماً يعبد» لمؤلفه محمَّد جواد خليل، لم أقف على ترجمة له.

صدر عن دار الإرشاد في لندن، سنة ٢٠٠٦م، ويقع في ثلاثة مجلدات، وقد جعله مؤلفه على ترتيب «صحيح البخاري» تماماً، بدأه بكتاب الوحي، وختمه بكتاب التوحيد. يذكر كتب البخاري، ثم يذكر الأبواب تحته، ويذكر في كل باب الحديث الذي يريد أن يطعن فيه، والذي ليس فيه طعن لا يذكره.

---

(١) انظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية: https://goo.gl/vkmSh٣

الكتاب الرابع: «أضواء على الصحيحين» لمؤلفه محمد صادق النجمي، من علماء الشيعة في مدينة قم الإيرانية، لم أقف له على ترجمة غير ما ذكرت.

ألف كتابه هذا بالفارسية وترجمه إلى العربية يحيى كمالي البحراني كما جاء في مقدمة الكتاب، وصدر عن مؤسسة المعارف الإسلامية، في قم بإيران، سنة ١٤١٩هـ. ويقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة.

جعل النجمي كتابه في ثمانية فصول، ووضع تحت كل فصل عناوين فرعية ذكر فيها أحاديث تغطي ذلك العنوان، لكنه لم يجعله في مباحث أو مطالب، كالتالي:

الفصل الأول في الحديث وأهميته وتدوين السنة وكتبها وما إلى ذلك.

الفصل الثاني في ترجمة البخاري ومسلم ومؤلفاتهما.

الفصل الثالث: الصحيحان وموقعهما العلمي لدى أهل السنة.

الفصل الرابع: أدلة ضعف الصحيحين وسقمهما، ضعف السند، الطائفية المفرطة

الفصل الخامس: التوحيد في الصحيحين؛ كرؤية الله، ومكان الله، وضحك الله، والعين واليدين.. ونحو ذلك من صفات الباري تعالى.

الفصل السادس: النبوة في الصحيحين، الأنبياء، والعصمة، والوحي، وقصص الأنبياء...

الفصل السابع: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين؛ البعثة، وحادثة شق الصدر، وبدء الوحي، وسهوه في الصلاة، وقصة تلقيح النخل، واجتهاده...

الفصل الثامن: الخلافة في «الصحيحين»؛ آية التطهير، والمباهلة، وقصة غدير خم، وأهل البيت، والأئمة الاثنا عشر، وحب علي، وفاطمة سيدة النساء، والحسنان...

وهناك كتب ونشرات صغيرة وبعض المقالات على مواقع الشيعة المختلفة رجعت لها لكن ليس

فيها شيء جديد، فما ذُكر فيها ممَّا يخص موضوع الدراسة قليل وتكرار لما في هذه الكتب الأربعة المذكورة، من ذلك كتاب القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، لمؤلفه فتح الله بن محمد جواد الأصبهاني المتوفى سنة (١٩٢١هـ)، وكتاب دفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لصالح الورداني.. وغيرها.

منهجية البحث:

تقوم هذه الدراسة على إعمال المناهج البحثية التالية:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء أحاديث العقائد التي أثار المعاصرون من الشيعة الإمامية الشبهاتِ حولها وكانت من أحايث الصحيحين، والوقوف عليها، لدراستها حسب الأصول العلمية.

٢- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل جميع الشبهات والانتقادات الموجهة للأحاديث المذكورة، والكشف عن جذورها، وأصولها، وأسبابها، ومن ثم عرضها على القواعد العلمية، وأصول الحديث واللغة العربية.

٣- المنهج النقدي: وذلك بإبراز الشبهات والانتقادات لكل حديث من الأحاديث، ومن ثم دراستها ونقدها حسب المنهج العلمي المتبع.

٤- بينت عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥- عزوت الآيات إلى سورها بذكر السورة ورقم الآية.

٦- خرجت الأحاديث في الهوامش، وسلكت فيه المنهج التالي:

١- أثبت لفظ البخاري في مطالب الدراسة منتقياً الرواية التي فيها موضوع الشبهة.

٢- ما كان في «الصحيحين» أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما أو من أحدهما.

٣- وما كان خارجاً عن «الصحيحين» وكان في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، فأكتفي بالتخريج منها في الغالب مع ذكر الحكم على الحديث باختصار.

٤- لم أذكر الحكم على الأحاديث التي تكون كشواهد لما في «الصحيحين»، اكتفاء بصحة الأصل.

٧- ذكرت المصادر والمراجع في الهوامش بشكل كامل في أول موضع يمرُّ فيه، ثم أذكره بعد ذلك باختصار.

خطة البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وما تناولته الدراسة، ومحدداتها، ، ومنهجية الدراسة، وخطة البحث.

تمهيد: الشيعة الإمامية والسنة النبوية:

أولاً: التعريف بالشبهات، والمعاصرين من الشيعة، واليوم الآخر، والصحيحين وصاحبيهما، وأهمية الدفاع عنهما.

ثانياً: النشأة التاريخية للشيعة، وعقيدتهم.

ثالثاً: مفهوم السنة عند الشيعة الإمامية، وموقفهم من مصادر أهل السنة في الحديث.

الفصل الأول: شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث الموت والقبر، والرد عليهم:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الموت وما يتصل به.

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث عذاب القبر ونعيمه.

الفصل الثاني: شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب والشفاعة والميزان والصراط، والرد عليهم:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب.

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث الشفاعة والميزان والصراط.

الفصل الثالث: شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث الجنة والنار وغيرها، والرد عليهم:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار.

المبحث الثاني: الشبهات في حديثين يتصلان بموضوع الدراسة.

المنطلقات التي اعتمدها المعاصرون من الشيعة في طعنهم لأحاديث «الصحيحين».

الخاتمة: وفيها أهم نتائج الدراسة والتوصيات.

المصادر والمراجع.

تمهيد: الشيعة الإمامية والسنة النبوية

أولا: التعريف بـ :

١- الشبهات.

٢- المعاصرين من الشيعة.

٣- اليوم الآخر.

٤- الصحيحين وصاحبيهما، وأهمية الدفاع عنهما.

ثانياً: النشأة التاريخية للشيعة، وعقيدتهم.

ثالثاً: مفهوم السنة عند الشيعة الإمامية، وموقفهم من مصادر أهل السنة في الحديث.

في هذا التمهيد سأقوم بتعريف مفاهيم الكلمات التي وردت في عنوان الدراسة، لغة واصطلاحاً، ليعرف القارئ ما نقصده من كلامنا في هذه الدراسة إن شاء الله.

١- **الشبهات**:

الشبهة لغة:

قال ابنُ فارس: (شَبَهَ) الشِّينُ والبَاءُ والهَاءُ أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وتَشَاكُلِهِ لَوْنًا ووصْفًا.

والمُشَبِّهَاتُ مِنَ الأُمُورِ: المُشْكِلَاتُ. واشْتَبَهَ الأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلا[١].

وقال ابن منظور: اشْتَبَه عَلَيَّ وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها: أَشْبَهَ كلٌّ واحدٍ مِنْهُمَا صاحِبَه.

والمُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور: المُشْكِلاتُ. والمُتَشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ. والشُّبْهةُ: الالتباسُ. وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بَعْضاً. وشَبَّهَ عَلَيْهِ: خَلَّطَ عَلَيْهِ الأَمْرَ حَتَّى اشْتَبه بِغَيْرِهِ. وجمعُ الشُّبْهةِ شُبَهٌ، وهُو اسْمٌ مِنَ الاشْتِباهِ[٢].

الشبهة إصطلاحاً:

قال ابن القيم عنها: «واردٌ يردُ على القلب يحولُ بينه وبينَ انكشاف الحق»[٣]. وسميت شبهة

---

(١) انظر ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط١، ٦م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص ٢٤٣.

(٢) انظر ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص٥٠٣.

(٣) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ. ج١، ص١٤٠.

لاشتباه الحق فيها بالباطل، فتظهر للناظر على أنها حق خالص.

٢- المعاصرون من الشيعة:

المعاصرة لغة:

عَاصَرَ فلانٌ فلاناً معاصرة: لجأَ إِليه ولاذَ به. وعاصرَه: عاش معه في عصر واحد[١].

المعاصرة اصطلاحاً:

معايشة الحاضر بالوجدان والسُّلوك والإفادة من كلّ منجزاته العلميَّة والفكريَّة وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيّه[٢].

أما بالنسبة لتحديد زمنها، فقد اختلفت آراء المؤرخين حول بداية التاريخ العربي المعاصر، فمنهم من يرى أنه يبدأ مع بداية القرن العشرين، ومنهم من يرى أنه يبدأ مع الحرب العالمية الأولى، باعتبارها نقطة تحول في تاريخ المنطقة العربية، على حين يرى البعض الآخر أن الحرب العالمية الثانية هي بداية التاريخ العربي المعاصر[٣].

---

(١) انظر الزيات، أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، ط١، ٢م، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة بدون تاريخ. ج٢، ص ٦٠٤.

(٢) انظر أحمد مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، ٤م، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م، ج٢، ص ١٥٠٨.

(٣) انظر خضر، أحمد إبراهيم خضر، مقال بعنوان «خلط الباحثين بين مصطلحي الحديث والمعاصر» على موقع الألوكة في الشبكة العنكبوتية، ص: http://www.alukah.net/web/khedr/٠/٥١٣٦٤/#ixzz٣xDSbAe٥٩

الشيعة:

الشيعة لغة:

قال الفيروزآبادي: «شاعَ يَشيعُ، شَيْعاً وشُيوعاً ومَشاعاً وشَيْعوعَةً – كدَيْمومَةٍ – وشَيَعاناً، محرَّكةً: ذاعَ وفَشا»[١]

وقال ابنُ فارس: «شَيَعَ: الشِّينُ والياءُ والعينُ أَصْلَانِ، يَدُلُّ أحدُهما على مُعَاضَدَةٍ ومُسَاعَفَةٍ، والآخرُ عَلَى بَثٍّ وإِشَادَةٍ»[٢]

وقال الراغب الأصفهاني: «شيع، الشِّيَاعُ: الانتشار والتّقوية. يقال: شاع الخبر، أي: كثر وقوي، وشَاعَ القوم: انتشروا وكثروا، وشَيَّعْتُ النّار بالحطب: قوّيتها.

والشِّيعَةُ: من يتقوّى بهم الإنسان وينتشرون عنه، ومنه قيل للشّجاع: مَشِيعٌ. يقال: شِيعَةٌ وشِيَعٌ وأَشْيَاعٌ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ﴾[٣] ﴿هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٤]...»[٥]

وقال الأزهري: «والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة»[٦].

---

(١) الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط٨، ١م، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٣٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٣٥.

(٣) سورة الصافات، الآية ٨٣.

(٤) سورة القصص، الآية ١٥.

(٥) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢)، المفردات في غريب القرآن، ط١، (تحقيق صفوان الداودي)، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ. ج١، ص٥٦٠-٥٦١.

(٦) الأزهري، محمَّد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، ط١، ٨م، (تحقيق محمَّد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ٢٠٠١م. ج٣، ص٤٠

الشيعة اصطلاحاً:

١- تعريف الشيعة لدى الشيعة:

يقول القمي[(١)]: «هي فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المُسمَّون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي وغيرهم ممن وافقت مودته مودة علي عليه السلام»[(٢)]

يقول شيخهم المفيد[(٣)]: «أتباع أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول – صلوات الله عليه وآله – بلا فصل ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء»[(٤)]

٢- تعريف أهل السنة للشيعة:

قال أبو الحسن الأشعري: «قيل لهم الشيعة لأنهم شيَّعوا علياً رضوان الله عليه، ويقدمونه على

---

(١) هو سعد بن عبدالله الأشعري القمي، أبو القاسم: فقيه إمامي، من أهل قم، واسع الأخبار، كثير التصانيف، توفي سنة (٣٠٠، وقيل: ٣٠١هـ). انظر في ترجمته الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، الفهرست، ط١، ١م، (تحقيق جواد القيومي)، دار مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ. ص ١٣٥، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط١٥، ٨م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٨٦.

(٢) انظر كتاب فرق الشيعة، للنوبختي والقمي، ط١، ١م، (تحقيق عبد المنعم الحفني)، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٨-٢٩.

(٣) هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المعروف بالمفيد، عالم الشيعة، وصاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة (٤١٣ هـ). انظر الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط٣، ٢٥م، (تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج١٧، ص٣٤٤.

(٤) انظر المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، (ت ٤١٣هـ)، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ط٢، ١م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٥.

سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(١)].

وعرَّف الشهرستانيُّ الشيعة عموماً بقوله: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً، إلا في حال التقية[(٢)].

وعرَّف الشيعة الإمامية على وجه الخصوص بقوله: «هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين

---

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم (ت ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط١، ٢م، (تحقيق نعيم زرزور)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٥.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، ط١، ٣م، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ، ج١، ص١٤٦.

علياً رضي الله عنه في مواضع تعريضاً، وفي مواضع تصريحاً»[١].

٣- اليوم الآخر:

اليوم الآخر هو اليوم الذي يقابل الحياة الدنيا بكل ما فيه من أمور الموت، والقبر ونعيمه أو عذابه، ثم البعث والنشور، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار.

وهذا ما ستجري الدراسةُ عليه في ذكر الشبهات التي أثارها معاصرو الشيعة الإمامية، والرد عليها، إن شاء الله تعالى.

٤- الصحيحان وصاحباهما:

البخاري وصحيحه[٢]:

اسمه وكنيته:

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه[٣] الجُعفي.

ولادته:

ولد البخاري سنة أربع وتسعين ومئة ببخارى. وتربى في بيت صلاح وعلم، فقد كان أبوه

(١) المصدر السابق ج١، ص١٦٢.

(٢) استقيت ترجمته من الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٩١ فما بعد. وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط١، ٤م، (تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج٣، ص٥٠٨. ومن هُدى الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، ٢٤م، (تحقيق لفيف من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط)، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م، ج٢، ص٥٢٧.

(٣) بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة، وكسر الدال المهملة، وسكون الزاي المعجة، وفتح الباء الموحدة، بعدها هاء. فارسية معناها: الزراع. قاله ابن حجر، هُدى الساري مقدمة فتح الباري، ج٢، ص٥٢٧.

إسماعيل ممن أخذ العلم عن كبار أهل العلم، كالإمام مالك وحماد بن زيد وغيرهم. وكان صالحاً ورعاً مبتعداً عن الشبهات، فقد جاء عنه أنه قال لما حضرته الوفاة: والله لا أعلم في مالي درهماً من حرام ولا من شبهة.

مات والد البخاري وهو صغير، فنشأ في حجر أمه فتولت رعايته، وكانت صالحة ذات تعبد وذكر.

شيوخه:

أخذ البخاري العلمَ عن كبار أئمة عصره كأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين، وغيرهم.

وكان يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث.

وقال: دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً، فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم.

تلاميذه:

روى عنه خلق كثير من أهل الحديث الكبار، كأبي حاتم وأبي زُرعة الرازيين، ومسلم بن الحجاج، وأبي عيسى الترمذي، ومحمد بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، وأبي بكر أحمد بن عمرو البزار صاحب المسند، وعبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، وغيرهم.

وقال محمد بن يوسف الفربري: سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري.

طلبه للعلم:

قال البخاري عن نفسه: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب. ولما سئل عن عمره، قال: وأنا

في العاشرة.

وقال: لما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججتُ رجع أخي، وتخلفت في طلب الحديث.

طوَّف البلاد لسماع الحديث، فسمع ببخارى وبلخ ومرو ونيسابور والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام.

قال: لما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم.

سئل البخاري: كم تحفظ؟ فقال: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف غير صحيح.

وقال: ما جلست للحديث حتى عرفتُ الصحيح من السقيم، وحتى نظرتُ في عامة كتب الرأي، وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها، فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبته، إلا ما لم يظهر لي.

ثناء العلماء عليه:

كان البخاري ذكياً حافظاً، أثنى عليه أهل العلم بما لا مزيد عليه؛ قال شيخه الإمام أحمد: لم يجئنا من خراسان مثل محمَّد بن إسماعيل.

ويقول تلميذه الترمذي: قد جعله الله زين هذه الأمة. وقال أيضاً: لم أر في معنى العلل والرجال أعلم من محمَّد بن إسماعيل.

وقال أحمد بن سيار المروزي يصف البخاري: طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه.

قال محمَّد بن يعقوب الحافظ، عن أبيه: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال

الصبي.

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحفظ له من البخاري.

وفاته:

توفِّي رحمه الله تعالى ليلة عيد الفطر، سنة ستٍّ وخمسين ومئتين، وعمره اثنتان وستون سنة.

«صحيح البخاري» ومكانته:

نال «صحيح البخاري» منزلة عالية رفيعة عند أهل الحديث بوجه خاص، وعند أهل السنة بوجه عام، ويعدُّ «صحيحه» هو أول كتاب جمع الحديث الصحيح المجرد في كتاب، ثم تبعه مسلم والناس.

وسبب احتلاله هذه المنزلة الرفيعة عند المحدثين قبل غيرهم هو أن البخاري رحمه الله وضع لجمع «صحيحه» شروطاً شديدة صارمة[١] لم يستعملها أحد قبله ولا بعده. ومن هنا، استغرق جمع البخاري لصحيحه مدة ستة عشر عاماً.

يقول البخاري في ذلك: «صنفت الجامع من ستمئة ألف حديث، في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»[٢].

وكان كلما أراد أن يدخل حديثاً في «صحيحه» بعد أن يتيقن من صحته، صلى صلاة الاستخارة، وفي ذلك يقول: «صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى

---

(١) من ذلك أنه اشترط لقاء الراوي بمن روى عنه ولو مرة، ولم يكتفِ بمجرد المعاصرة كمسلم. وانظر لبقية شروطه كتاب «شروط الأئمة الستة» للحافظ ابن طاهر المقدسي ص٨٦–٨٨ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة.

(٢) انظر ابن حجر، هُدى الساري، ج٢، ص ٥٤٩.

استخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت صحته»(١).

ولم يكتف البخاري برأيه في صحة الأحاديث التي أدخلها كتابه، بل سأل أئمة هذا الشان الذين يكبرونه سناً، فعرضه على أئمة أهل زمانه؛ الإمام أحمد بن حنبل، والإمام يحيى بن معين، والإمام علي بن المديني، وهؤلاء الثلاثة كانوا أعلم أهل زمانهم في علم الحديث، فقهاً ورجالاً وعللاً، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة(٢).

ثناء العلماء على «صحيح البخاري»:

يقول الإمام النَّسائي: «ما في هذه الكتب كلِّها أجود من كتاب محمَّد بن إسماعيل». علَّق ابن حجر على كلام النَّسائي بقوله: «والنَّسائي لا يعني بالجَودة إلاَّ جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهْم من اصطلاح أهل الحديث، ومثل هذا من مثل النَّسائي غايةٌ في الوصف مع شدَّة تحرِّيه وتوقِّيه وتثبُّته في نقد الرِّجال وتقدُّمه في ذلك»(٣).

يقول النووي: «اتَّفق العُلماء رحمهم اللّه تعالى على أنَّ أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز الصَّحيحان: البخاري ومسلم، وتلقَّتهما الأمّةُ بالقبول، وكتاب البخاري أصحُّهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صحَّ أنَّ مسلماً كان ممَّن يَستفيد من البُخاري، ويعترفُ بأنَّه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الَّذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهبُ المختار الَّذي قاله

---

(١) ابن حجر، هُدى الساري، ج٢، ص٥٤٩.

(١) انظر ابن حجر، هُدى الساري، ج٢، ص٥٥٠.

(٣) ابن حجر، هُدى الساري، ج١، ص١٦.

الجمهور وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث»[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن»[٢].

مسلم وصحيحه[٣]:

اسمه وكنيته:

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْد القُشيري النيسابوري.

ولادته:

ولد سنة ست ومئتين، وقيل: سنة أربع ومئتين.

شيوخه:

أخذ مسلم العلم عن كبار أئمة عصره، كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وقتيبة بن سعيد، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

تلاميذه:

أخذ العلم عن الإمام مسلم وروى عنه الكثيرون، كأبي عيسى الترمذي، وصالح بن محمَّد المعروف بجزرة، ومحمد بن خزيمة، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وأبي عوانة الإسفراييني،

---

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، ١٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١، ص١٤.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، ط١، ٣٧م، (تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ج١٨، ص٧٤.

(٢) استقيت ترجمته من الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٥٧ فما بعد، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط١، ٤م، (تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ص٦٧.

وغيرهم.

طلبه للعلم:

بدأ سماعه وعمره اثنتا عشرة سنة. قال الذهبي: «أول سماعه في سنة ثمان عشرة [يعني ومئتين] من يحيى بن يحيى التميمي».

وطوف في البلاد من أجل سماع الحديث، قال الذهبي: «حجَّ في سنة عشرين [يعني ومئتين] وهو أمرد، فسمع بمكة من [عبد الله بن مسلمة] القعنبي فهو أكبر شيخ له، وسمع بالكوفة من أحمد بن يونس وجماعة.

وأسرع إلى وطنه، ثم ارتحل بعد أعوام قبل الثلاثين... وسمع: بالعراق، والحرمين، ومصر».

ثناء العلماء عليه:

قال محمَّد بن بشار المعروف ببندار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلماً في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.

وقال أبو عبدالله ابن الأخرم الحافظ: إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال محمد بن يحيى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن أبي طالب.

وفاته:

توفي مسلم سنة إحدى وستين ومئتين، بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة.

«صحيح مسلم» ومكانته عند المحدثين:

كما نال «صحيح البخاري» منزلةً رفيعة وعالية عند أهل الحديث، نالها أيضاً «صحيح مسلم»، وهو يخلف «صحيح البخاري» في الصحة، لأنه نزل درجة عن شرط البخاري، وقد استغرق جمع مسلم لصحيحه قريباً من المدة التي استغرقها «صحيح البخاري»، وفي ذلك يقول أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم في تأليف «صحيحه» خمس عشرة سنة.

وهذا يدل على مدى عنايته ودقته في جمعه، لذلك كان يقول: ما وضعت في هذا «المسند» شيئاً إلا بحجة، ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة. وصنفت هذا «المسند الصحيح» من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة.

وقال أيضاً: لو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة، فمدارهم على هذا «المسند».

وما فعله شيخه البخاري من عرض «صحيحه» على علماء عصره، فعله مسلم، وفي ذلك يقول: عرضتُ كتابي هذا «المسند» على أبي زُرعة، فكل ما أشار عليَّ في هذا الكتاب أن له علة وسبباً تركته، وكل ما قال: إنه صحيح ليس له علة، فهو الذي أخرجت.

وقال أبو علي النيسابوري الحافظ: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم.

وقال الذهبي عن «صحيح مسلم»: هو كتاب نفيس كامل في معناه.

وذكرت في كلامي على «صحيح البخاري» أن «صحيحي البخاري ومسلم» أصح الكتب بعد كتاب الله كما قال أهل العلم، فلا أعيده.

أهمية الدفاع عن «الصحيحين»

بعد أن ذكرتُ ما ذكرته عن هذين الإمامين الجليلين البخاري ومسلم من رسوخ أقدامهما في معرفة الحديث ورجاله، وعلله، وصحة كتابيهما عند أهل الحديث خاصة، وعند أهل السنة عامة، وأن الأمة قد تلقتهما بالقبول، فليس هما عرضة للطعن ولا مثاراً للنقاش، إلا أحرف يسيرة معلومة

لأهل الحديث وأهل الاختصاص.

يقول الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: «الأخبار التي في «الصحيحين» مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل في ذلك اختلاف في طرقها أو رواتها، فمن خالف حكمه خبراً منها وليس له تأويل سائغ للخبر، نقضنا حكمه، لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول»(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علماً قطعياً أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول»(٢).

من هنا يتبين للقارئ مدى أهمية هذين الكتابين، ومدى اعتماد أهل العلم عليهما، لذلك أراد أعداء هذا الدين وأعداء أهل السنة من الفرق الضالة ومن الحاقدين وغيرهم الطعن في هذين «الصحيحين» وصاحبيهما.

فلما لم يستطع أعداء الدين والسنة من الخلوص لهذين «الصحيحين» من حيث الصناعة الحديثية لجأوا إلى التشكيك في هذين الكتابين من أجل زرع الفتنة بين المسلمين، وتفريق جمعهم، وتشتيت وحدتهم.

فإذا نجح أعداء الأمة بإسقاط الصحيحين اللذين هما أصح كتابين بعد كتاب الله، فلن يبقى للسنة أية حرمة، ويصبح تضعيف أي حديث بعد ذلك سهلاً على كل من أراد، وما هذا إلا لأجل تفريغ الدين من مضمونه ومحتواه، وليكيِّف هؤلاء الدينَ حسب ما يريدون.

---

(١) أفاده الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (ت ٧٩٤هـ) النكت على مقدمة ابن الصلاح، ط١، ٣م، (تحقيق زين العابدين بن محمد بلا فريج)، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٠.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٨، ص٤١.

ثانياً: النشأة التاريخية للشيعة، وعقيدتهم

متى ظهر التشيع:

اختلف المؤرخون في تحديد وقت ظهور التشيع على عدة أقوال نوجزها بالآتي:

يرى الأستاذ إحسان إلهي ظهير أن التشيع ظهر أيام عثمان رضي الله عنه، ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين قبل مقتل عثمان، وإنما حدثت بعد قتله رضي الله عنه، وبعد تولية علي رضي الله عنه إمرة المؤمنين وخلافة المسلمين، فعندها نشأ الخلاف، فجماعة رأت رأي علي رضي الله عنه وأنصاره، وجماعة رأت رأي طلحة والزبير ثم رأي معاوية وأتباعه، ثم نجم عن ذلك حزبان سياسيان كبيران بين المسلمين: شيعة علي وشيعة معاوية، وكل واحد من هؤلاء يرى رأيه في تولية الحكم وتدبير الأمور[١].

ويرى الدكتور العواجي[٢] أن الراجح ظهورها بعد معركة صفين حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان[٣]، ثم ظهر في مقابلهم أتباع علي وأنصاره حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئاً فشيئاً.. على أنه -فيما يبدو- لا مانع أن يوجد التشيع بمعنى الميل والمناصرة والمحبة للإمام علي وأهل بيته قبل ذلك - إذا جازت تسمية ذلك تشيعاً - لا التشيع بمعناه السياسي عند الشيعة، فإن هؤلاء ليسوا شيعة أهل البيت وإنما هم أعداؤهم والناكثون لعهودهم لهم في أكثر من موقف.

---

(١) انظر ظهير، إحسان إلهي، (ت ١٤٠٧هـ)، الشيعة والتشيع، ط١٠، ١م، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٩٩٥م، ص ٢٦.

(٢) العواجي، غالب بن علي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط٤، ٣م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر، جدة، ٢٠٠١م، ج١، ص١٧٣-١٧٤.

(٣) اسم معركة حدثت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والخوارج، وكانت سنة ٣٨هـ.

ويرى الأستاذ حامد مسوحلي الإدريسي أن نشأتهم كانت في زمن اختلاف علي ومعاوية، فقال: «انقسم المسلمون إلى طائفتين عظيمتين -كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، طائفة ترى أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة وترى نصرته والجهاد معه، إعزازاً للدين وقياماً بواجبهم تجاه إمام المسلمين، فسموا بشيعة علي، أي حزبه وأتباعه. وفريق يرى أن قتلة عثمان ما زالوا أحياء، لم تطلهم يدُ الشريعة، ولم ينالوا جزاء فعلتهم الشنيعة، فنهضوا مع معاوية رضي الله عنه وجاهدوا معه، نصرةً للدين وانتقاماً لذي النورين زوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

فبقي اسم الشيعة ملازماً لأولئك الزمرة التي ناصرت علي بن أبي طالب وجاهدت معه، وكان أغلبهم من أهل العراق»[١].

أهم فرق الشيعة:

فرق الشيعة كثيرة جداً، أوصلها البعض إلى قريب السبعين فرقة[٢]، ومعظمها ذهب وتلاشى، وأكبرها وأهمها ثلاث فرق وهي:

(١) **الاثنا عشرية** – وهي كبرى الفرق الشيعية.

(٢) **الزيدية:** إحدى فرق الشيعة نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقُتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة،

---

(١) الإدريسي، حامد مسوحلي ، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية ، ط ١، ١م، مكتبة الرضوان، مصر، ٢٠٠٧ م، ص ١٢.

(٢) انظر العواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ج١، ص١٨٠.

ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[(١)].

(٣) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا[(٢)].

وما يهمنا في هذا البحث الفرقة الأشهر والأكبر وهي التي ذكرتها أولاً، ألا **وهي الشيعة الاثنا عشرية.**

ولهذه الفرقة **أسماء أخرى**، أشهرها:

١- **الرافضة**، قال أبو الحسن الأشعري: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»[(٣)]. وكلامه مختصر وضحه كلام ابن خلدون، فقال: «لما ناظر الإمامية زيداً في إمامة الشيخين، ورأوه يقول بإمامتهما ولا يتبرأ منهما رفضوه، ولم يجعلوه من الأئمة، وبذلك سُمُّوا رافضة»[(٤)]

٢- **الاثنا عشرية أو الإمامية**، سموا بذلك لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم سرداباً في دار أبيه بمدينة سُرَّ من رأى، ولم يخرج حتى الآن.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١، ص٧٦.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٨٣. وللتوسع انظر أستاذنا الخطيب، محمَّد أحمد، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ط١، ١م، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٤، ص٥٧.

(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٣٣.

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمَّد الحضرمي الإشبيلي، (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون ضمن كتابه ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٢، ٨م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٤٨.

وهؤلاء الاثنا عشر إماماً الذين يعدُّونهم معصومين من كل خطأ وخطيئة، هم:

ــ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يلقبونه بالمرتضى، رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبدالرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة.

ــ الحسن بن علي رضي الله عنهما، ويلقبونه بالمجبتى (٣ ــ ٥٠هــ) .

ــ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد (٤ ــ ٦١هــ) .

ــ علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ــ ٩٥ هــ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

ــ محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ــ ١١٤هــ) ويلقبونه بالباقر.

ــ جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ــ ١٤٨هــ) ويلقبونه بالصادق.

ــ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ــ ١٨٣هــ) ويلقبونه بالكاظم.

ــ علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ــ ٢٠٣هــ) ويلقبونه بالرضا.

ــ محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ــ ٢٢٠هــ) ويلقبونه بالتقي.

ــ علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ــ ٢٥٤هــ) ويلقبونه بالنقي.

ــ الحسن العسكري بن علي عبد الهادي (٢٣٢ ــ ٢٦٠هــ) ويلقبونه بالزكي.

ــ محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هــ ــ ...) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر. ويزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابًا في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد[١].

٣- **الجعفرية**، سموا بذلك لانتسابهم إلى الإمام جعفر الصادق، وهو سادس الأئمة عندهم،

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١، ص٥٢.

وذلك لأن معظم ما يذكرونه في كتبهم من الاعتقادات والفقهيات ينسبونها إليه[١].

عقيدة الشيعة الإمامية:

لا يعنينا كثيراً ما كانت عليه عقائد متقدمي الشيعة الأوائل كهشام بن الحكم (المتوفى ١٩٩هـ) –وهو أكبر شخصية كلامية إمامية–، وداود الجواربي (توفي في بدايات القرن الثالث)، فأكثرُ العلماء على أنهم كانوا مجسِّمة مشبِّهة.

يقول الفخر الرازي: «وكان بدو ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل بَيَان بن سمعان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبدالرحمن القمي، وأبو جعفر الأحول الذي كان يدعى شيطان الطاق، وهؤلاء رؤساء علماء الروافض»[٢]

لكن الذي يعنينا هو ما استقرَّت عليه عقائدُ متأخريهم بعد ذلك، وكان ذلك في حدود سنة (٣٧٠هـ)، وفي ذلك يقول الإمام الذهبي: «ومن حدود سبعين وثلاثمئة، إلى زماننا هذا تصادق الرفضُ والاعتزالُ وتواخيا»[٣]

---

(١) انظر موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، إعداد: مجموعة من الباحثين (بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر)، ١٠م، وهي ضمن المكتبة الشاملة الألكترونية.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ط١، ١م، (تحقيق علي سامي النشار)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدوت تاريخ، ص٦٣-٦٤. وانظر الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، ١٥م، (تحقيق بشار عوّاد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ج٥، ص٧١٧، وج٥، ص٧٣٩.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط١، ٤م، (تحقيق

ومن ذلك الحين صارت عقائدهم في التوحيد والعدل كعقائد المعتزلة، وفي ذلك يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: «وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه»(١)

ويقول ابن تيمية: «وأما عمدتهم في النظر والعقليات، فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة، ووافقوهم في مسائل الصفات والقدر، والمعتزلة في الجملة أعقل وأصدق، وليس في المعتزلة من يطعن في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة»(٢)

ويقول: «إن جميع ما يذكره هؤلاء الإمامية المتأخرون في مسائل التوحيد والعدل، كابن النعمان، والموسوي الملقب بالمرتضى، وأبي جعفر الطوسي وغيرهم، هو مأخوذ من كتب المعتزلة، بل كثير منه منقول نقل المسطرة وبعضه قد تصرفوا فيه.

وكذلك ما يذكرونه من تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك، هو منقول من تفاسير المعتزلة كالأصم، والجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني، والرماني، وأبي مسلم الأصبهاني وغيرهم»(٣)

علي محمد البجاوي)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م، ج٣، ص١٤٩.

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٤٦.

(٢) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ط١، ٩م، (تحقيق محمد رشاد سالم)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦م، ج١، ص٧٠.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٥-٦.

ويقول ابن تيمية: «وهم (يعني الشيعة) يجعلون من أصول دينهم الذي لا يكون الرجل مؤمناً إلا به هو الإقرار بالإمام المعصوم المنتظر، ويَضُمُّ إلى ذلك جمهورُ متأخريهم الموافقين للمعتزلة التوحيدَ والعدلَ الذي ابتدعته المعتزلة»(١)

فهذه النقول تؤكد لنا بجلاء أن عقيدة الإمامية هي كعقيدة المعتزلة، في مسائل الصفات والقدر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن هنا سيأتي في مناقشة هؤلاء الشيعة المعاصرين أن كثيراً من انتقاداتهم لأحاديث الصحيحين، هي مأخوذة بعينها من كلام المعتزلة.

---

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج٦، ص٤٩٩.

ثالثًا: **مفهوم السُّنة عند الشيعة الإمامية**، **وموقفهم من مصادر أهل السنة في الحديث**.

عرَّف السيد حسن الصدر السُّنة أو الحديث بأنه: «كلامٌ يَحكي قولَ المعصوم أو فعله أو تقريره، وبهذا ينقسم إلى صحيح وما يُقابله، وبهذا عُلم أنَّ ما لا ينتهي إلى المعصوم فليس بحديث»[١]

ويقول محمد رضا المظفر في تعريف السنة: «السُّنة في اصطلاح الفقهاء: قول النَّبي أو فعله أو تقريره»، ثم قال: «أمَّا فقهاء الإمامية بالخصوص - فلِمَا ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجري قولُه مَجرى قول النبي، من كونه حُجَّةً على العباد واجب الاتِّباع - فقد توسَّعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قولَ كُلِّ واحدٍ من المعصومينَ أو فِعْلَه أو تقريرَه.

فكانت السُّنةُ في اصطِلاحِهِم: قولَ المعصومِ أو فعله أو تقريره، والسرُّ في ذلكَ أن الأئمةَ من آلِ البيتِ عليهم السلام ليسوا هم من قبيل الرُّواةِ عن النبيِّ والمحدثِينَ عنه؛ ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنَّهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النَّبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ الأحكام الواقعيَّة، فلا يَحكون إلاَّ عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي، وذلك من طريق الإلهام - كالنَّبي من طريق الوحي - أو من طريق التلقِّي من المعصوم قبله؛ كما قال مولانا أميرُ المؤمنين رضي الله عنه: علمني رسولُ الله ألفَ باب من العلم، ينفتح لي من كُلِّ باب ألفُ

---

(١) الصدر، السيد حسن، (ت ١٣٥٤هـ) نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة، ط١، ١م (تحقيق ماجد الغرباوي)، نشر المشعر بدون تاريخ، ص ٨٥.

باب»[١]

ويقول ابن بابويه المعروف بالصدوق[٢]: «إن الأئمة كالرسل قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه»[٣] .

ويحتجون لذلك بما روى الكليني[٤]: عن أبي عبدالله جعفر الصادق، حيث يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وأله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[٥].

لذلك فإن «حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»[٦].

وفي هذا تسويغ للكذب، فكل ما ينسب لأحد أئمتهم يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل إلى الله عز وجل. فالمعضل والمرسل والمرفوع والحديث القدسي شيء واحد لا فرق بينهم. لذلك قال قائلهم: «يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبدالله رضي الله عنه أن يرويه عن أبيه أو عن

---

(١) آل المظفر، محمَّد رضا بن محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ١٣٨٤هـ) أصول الفقه، مركز انتشارات وتبليغات اسلامي، قم، ١٣٧٠هـ، ج٢، ص٥٧.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (ت ٣٨١هـ)، صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه».

(٣) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، ١١٠م، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١٦، ص٣٧٢.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت ٣٢٩ هـ)، صاحب كتاب الكافي.

(٥) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ط٣، ٨م، (تصحيح علي أكبر الغفاري)، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، ج١ص،٥٣.

(٦) المازندراني، محمَّد بن صالح السروي (ت ١٠٨١)، شرح أصول الكافي، ط١، ١٢م، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٢٥.

أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى»[(١)]

ويعترف محمد تقي الحكيم بذلك، فيقول: «وألحقَ الشيعةُ الإماميةُ كلَّ ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قولٍ أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة»[(٢)]

ومما يزيد هذا وضوحاً قول أصوليهم الشيخ محمد رضا المظفر عن بيان المعصومين للأحكام: «ليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنة وحكايتها، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع، فقولهم: سنةٌ، لا حكاية عن السنة! »[(٣)]

إن المطالع لكتبهم لا يكاد يجد حديثاً منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل معظمها عن أئمتهم، ومعظم المعظم عن أبي عبدالله جعفر الصادق، وقليل عن أبيه محمَّد الباقر. وأقل منه ما يعزونه إلى سيدنا علي رضي الله عنه.

يقول الدكتور عدنان زرزور: «إن السنة النبوية لا تزيد في كتب الحديث عند الإمامية على خمسة بالمئة، وقد تتراوح في بعض أبواب الأصول والعقائد – بغض النظر عن الأسانيد – ما بين خمسة وعشرة بالمئة»[(٤)]

ويقول أيضاً: «إن من الملاحظ أيضاً أن السنة المنقولة عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) الحكيم، محمَّد تقي الحكيم، سنة أهل البيت ص٩، نقلا عن القفاري، ناصر بن عبدالله بن علي، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ط١، ٣م، دار النشر: بدون، ١٤١٤ هـ، ج١، ص٣١٠.

(٣) آل المظفر، أصول الفقه، ج٢، ص٥٥.

(٤) زرزور، عدنان محمد، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية، ط١، ١م، دار الأعلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ١٤٠.

عنه لا تحظى إلا بأقل من تلك المنقولة عن النبي الأكرم»[١].

وكما قلت: معظم رواياتهم هي من أقوال جعفر الصادق، وقليل من كلام أبيه محمَّد الباقر، وأقلُّ منه كلام علي رضي الله عنه، ونادراً ما تجد حديثاً مرفوعاً إلى النبي محمَّد صلى الله عليه وسلم.

وسأورد مقارنة[٢] في عدد الأحاديث المروية بين أهل السنة وبين الشيعة في كتبهم الأربعة المعتمدة لديهم في نقل ما يروونه، وهي:

«الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» للصدوق، و«تهذيب الأحكام» و«الاستبصار» كلاهما للطوسي، وسيأتي الحديث عن هذه الكتب مفصلاً قريباً:

١- الأحاديث المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم في كتب الشيعة الأربعة المذكورة = (٦٤٤) حديثاً فقط، وأغلبها مراسيل لا تصح!

أما في الكتب التسعة عند أهل السنة فتبلغ عشرات الألوف.

٢- روايات علي رضي الله عنه في كتبهم الأربعة = (٦٩٠) رواية، وأغلبها مراسيل لا تصح!

بينما في كتب أهل السنة التسعة[٣] فعدد روايات علي رضي الله عنه = (١٥٨٣) رواية.

٣- روايات الحسن بن علي رضي الله عنهما في كتبهم الأربعة = (٢١) رواية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٢) حسب ما ورد في موقع الفكر للبحث في كتب الشيعة: http://alfeker.net/search.php

(٣) المقصود بالكتب التسعة: صحيحا البخاري ومسلم، والسنن الأربعة: لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ثم موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي.

بينما في كتبنا التسعة = (٣٥) رواية.

٤- روايات الحسين بن علي رضي الله عنهما في كتبهم الأربعة = (٧) روايات فقط!!

وفي كتبنا التسعة = (٤٣) رواية.

٥- روايات علي بن الحسن السجَّاد ومحمد الباقر وجعفر الصادق في الكتب التسعة أكثر من روايات أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين التي في الكتب التسعة نفسها!!

٦- روايات محمد الباقر رضي الله عنه في الكتب التسعة إلا «الموطأ» أكثر من روايات أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي في الكتب التسعة نفسها!!

متى ظهر علم مصطلح الحديث لدى الشيعة:

إن الرافضة الاثني عشرية لم يصنفوا في علم مصطلح الحديث إلا في العصور المتأخرة، فهم فيه عالة على علماء أهل السنة، وهم يعترفون بذلك، ويعترفون أيضاً بأنه لم يكن لهم أي إسهام فكري فيه، وإنما اخذوه برمّته من كتب المصطلح التي وضعها علماء أهل السنة، فأول من صنّف فيه من علمائهم هو زين الدين العاملي الملقب بالشهيد الثاني[(١)]، وفي ذلك يقول الحُرُّ العاملي: «وهو أول من صنف من الإمامية في دراية الحديث، لكنه نقل الاصطلاحات من كتب العامة كما ذكره ولده وغيره»[(٢)] . قلت: ويقصد بالعامة أهل السنة.

---

(١) هو زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح العاملي الجبعي، المعروف بالشهيد الثاني،. عالم بالحديث، بحاث، إمامي. توفى سنة ٩٦٦هـ. انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٦٤.

(٢) الحر العاملي، محمَّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، ط١، ٢م، (تحقيق أحمد الحسيني)، مكتبة الاندلس،

ويقول الدكتور عبد الهادي الفضلي: «إن أقدم مؤلف إمامي وصل إلينا في هذا العلم هو كتاب «الدراية» للشهيد الثاني»[(١)]

ويقول الدكتور القفاري: «وقد كان التأليف في أصول الحديث وعلومه معدوماً عندهم حتى ظهر زين الدين العاملي الملقب عندهم بالشهيد الثاني (المقتول سنة ٩٦٥هـ) ، وهذا ما تعترف به كتب الشيعة نفسها، قال شيخهم الحائري: ومن المعلومات التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنف في دراية الحديث من علمائنا قبلَ الشهيد الثاني، وإنما هو من علوم العامة»[(٢)].

موقفهم من مصادر أهل السنة في الحديث:

عدَّ الإمامُ عبد القاهر البغدادي الشيعة من منكري السنة لرفضهم قبول مرويات جُلّ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم [(٣)].

يقول محمَّد حسين آل كاشف الغطاء: «إنهم (يعني الشيعة) لا يعتبرون من السنة –أعني الأحاديث النبوية– إلا ما صحَّ لهم من طرق أهل البيت عليهم السلام عن جدِّهم صلى الله عليه واله، يعني ما رواه الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن الحسين السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً.

بغداد. ج١، ص٨٦.

(١) الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث، ط٣، ١م،، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ. ص١١.

(٢) القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية، ج١، ص٣٧٠.

(٣) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله التميمي (ت: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط١،٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٩٧٧م. ص ٣٠٨ و٣٣٧.

أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي، وعمرو بن العاص ونظائرهم، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة»[١].

قلت: كلامه فيه نوع من المداراة أو قل: التقية، وإلا فالشيعة يكفِّرون الصحابة عموماً إلا نفراً يسيراً، ولذلك يردُّون أحاديث الكثرة الكاثرة من الصحابة كأبي هريرة وأنس وابن عمر وعائشة وغيرهم.

وقد نصت كتبهم على تكفير الصحابة، فمن ذلك ما ذكره شيخهم الطوسي في رجال الكشي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان الناس أهلَ الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرَّحى وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع»[٢].

وروى الكليني في «الكافي» بسنده عن حمران بن أعين قال: «قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلتُ فداك، ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا –وأشار بيده– ثلاثة»[٣].

---

(١) آل كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة واصولها، (ت ١٣٧٣ هـ)، ط١، ١م، (تحقيق عَلاء آل جَعفر)، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، ص ٢٣٦. الذي يقرأ كلامه يحسب أنهم يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم كماً كبيراً من الأحاديث، والحقيقة أن الشيعة الاثني عشرية لا يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا نزراً يسيراً من الأحاديث، كما قدمت في التمهيد ص٢٦.

(٢) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي، ط١، ٢م، (تحقيق محمد باقر الميرداماد الأسترآبادي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بدون تاريخ، ج١، ص٦.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٤٤.

ومما قاله علماء أهل السنة في ذلك:

يقول عبد القاهر البغدادي: «وأما الإمامية منهم، فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدَّتْ بعد النبي صلى الله عليه وسلم سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم»[(١)]

ويقول ابن تيمية بأنهم يرون: «أن المهاجرين والأنصار كتموا النصَّ وكفروا بالإمام المعصوم؛ واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا؛ بل كَفَروا إلا نفراً قليلاً بضعة عشر أو أكثر. ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا. وأكثرهم **يكفِّر من خالف قولهم**، ويسمُّون أنفسهم المؤمنين **ومن خالفهم كفاراً**، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تُظهر فيها أقوالهم دار ردة أسوأ حالاً من مدائن المشركين والنصارى، ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين»[(٢)] .

وأما بقية الناس فيعدّون **كلَّ من ليس إمامياً كافراً**، وفي ذلك يقول إمامهم المجلسي: «وإن أعداء الأئمة عليهم السلام كفَّار مخلَّدون في النار، وإن أظهروا الإسلام، فمن عرف الله ورسوله والأئمةَ عليهم السلام وتولاهم وتبرّأ من أعدائهم فهو مؤمن، ومن أنكرهم أو شكَّ فيهم، أو أنكر أحدَهم أو شكَّ فيه، أو تولى أعداءهم أو أحدَ أعدائهم، فهو ضالٌّ هالك، **بل كافر لا ينفعه عملٌ** ولا اجتهاد، ولا تقبل له طاعة، ولا تصحُّ له حسنات»[(٣)]

مع أن هذا الكلام يخالف ما جاء عن جعفر الصادق رضي الله عنه، فقد روى الكليني بسنده في

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٣٠٨.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، ط١، ٣٧م، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ج٣، ص٣٥٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٥، ص٣٦٢.

«الكافي» أصح كتبهم، أن منصورَ بن حازم سأل أبا عبدالله جعفر الصادق: «أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، صدقوا على محمد صلى الله عليه وآله أم كذبوا قال: بل صدقوا»[١]

وروى الطوسي بسنده عن أبي الصباح الكناني، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنا نعيَّر بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية. قال: فغضب أبو عبدالله ثم قال: إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه»[٢].

لهذا يقول ابن تيمية: «ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس»[٣].

والنتيجة من كل ما تقدَّم أنهم –كما قال ابن تيمية–: «يردُّون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري ومسلم، ويرَوْنَ أنَّ شعر شعراء الرافضة: مثل الحميري وكوشيار الديلمي وعمارة اليمني خيراً من أحاديث البخاري ومسلم. وقد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وقرابته أكثر مما رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل»[٤].

هذا، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٦٥.

(٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي، ج٢، ص٢٥٥.

(٣) ابن، تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٤٧٩. وانظر بقية كلامه رحمه الله هناك، حيث عقد مقارنة بينهم وبين اليهود والنصارى تصوّر لك حالهم بكل وضوح.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص ٤٨١.

الفصل الأول

شبهات المعاصرين من الشيعة الإمامية في أحاديث الموت والقبر، والرد عليهم.

وفيه مباحثان:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الموت وما يتصل به.

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث عذاب القبر ونعيمه.

المبحث الأول

الشبهات في أحاديث الموت وما يتصل به.

المطلب الأول: حديث المسلم الذي يشهد له أربعة بخير يدخل الجنة.

المطلب الثاني: حديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه.

المطلب الثالث: حديث الذي أوصى أبناءه بأن يحرقوه ثم يذروه في الهواء بعد موته.

المطلب الأول:

حديث المسلم الذي يشهد له أربعة بخير يدخل الجنة.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عَن أنس بن مالك ﷺ قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»(١)

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ(٢)، قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ.

فَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ» فَقُلْنَا: وَثَلاَثَةٌ، قَالَ: «وَثَلاَثَةٌ» فَقُلْنَا:

---

(١) البخاري، أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، (٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر، ط١، ٩م، (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت (١٣٦٧)، ج٢، ص٩٧، ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، ط١، ٥م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، (٩٤٩)، ج٢، ص٦٥٥.

(٢) أبو الأسود: هو ظالم بن عمرو بن سفيان الديلي، ويقال: الدؤلي. انظر المزي، تهذيب الكمال، ج٣٣، ص٣٧.

وَاثْنَانِ، قَالَ: «وَاثْنَانِ» ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ[١].

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «نصت الروايات على وجود وسائل إضافية، وطرق مبتكرة يستطيع الإنسان بواسطتها الإفلات من العقاب، بل حتى الدخول إلى الجنة، منها:

١- ما تضمنته الروايتان في الفقرة الثالثة، وهو أنه من استطاع أن يضمن وجود أربعة شهود أو ثلاثة أو شاهدين يشهدون له بالخير، دخل الجنة. ونحن لا ندري كيف يصحُّ ذلك، والناس أسرار وأبواب موصدة، ولا يعلم ما في ضمائرهم غير الله سبحانه وتعالى، فكم من كافر ومنافق ومجرم لا يرى الناس منهم إلا الخير والصلاح؟ وكم من مؤمن عالم عامل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يعرف عنه أحد من الناس شيئاً؟

فلو مات المرائي وهو يُظهر خلاف ما يُبطن، وشهد له حسب ظاهره ألفُ شاهد بالخير، فهل سيحاسبه الله وفقاً لما علمه هو عنه، أو وفقاً لما علمه الناس؟

٢- نصت الرواية على أن النبي صلى الله عليه وسلم حدد عدد الشهود بأربعة، وأن عمر أضاف من عنده الثلاثة والاثنين، ولم يسألوه عن الواحد، ولو سألوه لقال: نعم، فإذا كان عمر قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم، فلماذا لم يفصح عنه إلا بعد السؤال، وإذا كان من عنده فكيف تسنى له أن يقرر ما ليس له به علم؟!!»[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في الكتاب والباب السابقين (١٣٦٨)، ج٢، ص٩٧.

(٢) العبيدي، عبد الحسين عبد الهادي، جولة في صحيح البخاري - حوار بين العقل والنقل، ط١، م١، مكتبة فدك، إيران، قم، ٢٠٠٩م، ص ٢٣١.

ويقول محمَّد جواد خليل: «يحاول أهل العامة[١] أن يعطوا الصحابة من القدسية كلما سنحت لهم الفرصة، سواء البخاري أو غيره.

وتريد أيضاً أن تجعل الصحابة ميزاناً لبقية المسلمين ولو بإشارة منهم كما مرَّ عليك في الروايتين السابقتين، وتريد أن تقول: إن هذا دليل مؤكد على عدالتهم!»[٢]

ثم استند محمَّد جواد في ردِّه لهذا الحديث بما أخرجه **البخاري أيضاً عن خارِجة بن زَيدِ بنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ[٣] -امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم- أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اقْتُسِمَ المُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ[٤]، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي – وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِي» قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي**

---

(١) أهل العامة أو العامة أو النواصب هذه ألفاظ يستعملها الشيعة ويقصدون بها أهل السنة.

(٢) خليل، محمد جواد، كشف المتواري في صحيح البخاري، ط١، ٣م، دار الإرشاد، لندن، ٢٠٠٦، ج١، ص٣٤٨.

(٣) هي أم العلاء بنت الحارث بن ثابت بن خارجة ابن ثعلبة بن الجلاس بن أمية الخزرجية صحابية من المبايعات، روى لها البخاري والنسائي. انظر المزي، تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٣٧٥.

(٤) قوله: «اقتسم المهاجرون قرعة» واقتسم: بضم التاء مبنياً للمفعول، أي: اقتسم الأنصارُ المهاجرين بالقرعة في نزولهم عليهم، وسكناهم في منازلهم، لما دخلوا المدينة «فطار لنا عثمان» أي: وقع في سهمنا. انظر القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك المصري (ت ٩٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧، ١٠م، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ، ج٧، ص٢٠٩. وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٧٦.

أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا[(١)].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

نخلص من كلام هذين الطاعنين إلى النقاط التالية:

١- بواطن الناس لا يعلمها إلا الله، فكيف تصح شهادتهم على الميت؟ كما أن شهادتهم لا تنفع المرائي عند الله، وكذلك لا تضرُّ الصالحَ عند الله.

٢- أضاف عمر من عنده ثلاثة شهود ثم شاهدين، ولو سئل عن شاهد واحد لأقره، وإذا كان عمر سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لماذا لم يفصح بذلك الا بعد السؤال، واذا كان هذا الإخبار من عنده، كيف يقوله من غير علم؟

٣- يريد أهل السنة جعل الصحابة ميزاناً يقاس به بقية الناس وصولاً منهم لجعل الصحابة أعدل الناس، فلا يقدر أحد على الطعن فيهم.

والجواب:

١- نعم بواطن الناس لا يعلمها إلا الله تعالى، لكن الشارع الحكيم رتب الأحكام على ما يظهر للمسلمين من حال المشهود له، كقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[(٣)]، وغيرها من الآيات، فإذا لم يكن لشهادة الناس ومعرفتهم بالمشهود له فائدة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٣)، ج٢، ص٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٢.

فلماذا طلبه الشارع الحكيم منا؟

والمعتبر في هذه الشهادة شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقة؛ لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا مَنْ بَيْنه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تُقبل. قاله الداوودي[١].

٢- فهم هذا صاحب الشبهة أن ما جاء في الرواية الثانية، وهو (فقلنا: وثلاثة، قال: «وثلاثة» فقلنا: واثنان، قال: «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد) أن هذا سؤال موجَّه من أبي الأسود[٢] لعمر رضي الله عنه. وهذا فهم مغلوط، بل هو سؤال موجَّه من الصحابة الكرام للنبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فهو حديث مرفوع.

٣- وأما قضية معارضته لحديث أم العلاء في قصة موت عثمان بن مظعون، فقد كان هذا في أول الإسلام؛ لأن عثمان بن مظعون مات سنة ثلاث للهجرة، وهو أول من دفن في البقيع[٣]، لذلك قال: «**وَاللَّهِ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِي**»، وذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[٤]، وهو قبل نزول قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٥] لأنَّ الأحقاف مكيَّة، وسورة الفتح مدنيَّة بلا خلاف، ويؤيده أيضاً ما ثَبَتَ عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: «أنا أول مَن يدخل الجنَّة»[٦] وأن هذه الأمة

---

(١) انظر، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٤، ص٧٤٧.

(٢) أبو الأسود: هو راوي الحديث عن عمر، تقدم التعريف به ص٤٩.

(٣) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٥٩.

(٤) سورة الأحقاف، الآية ٩.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٥)، ج٢، ص٥٨٥.

نصف أهل الجنة[١] وغير ذلك من الأخبار الصَّريحة في معناه[٢].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يكون عدد الشهود عموماً أقل من اثنين، والشهادة على الميت نوع من الشهادة، فلا تكون أقل من اثنين، ومعلوم أن شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، فتكون شهادتها ربع شهادة الاثنين، وعليه فلم ينطبق الشرط. قال ابن بطال: «وذلك أقل ما يجزئ من الشهادة على سائر الحقوق، رحمة من الله لعباده المؤمنين، وتجاوزاً عنهم حين أجرى أموره في الآخرة على ما أجراه فى الدنيا، وقَبِلَ شهادة رجلين من عباده المؤمنين بعضهم على بعض في أحكام الآخرة»[٣].

وهناك أمر يجب ملاحظته، وهو أن أم العلاء حكمت لعثمان بن مظعون بحكم غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، فقالت: «لقد أكرمك الله» وهذا جزم منها، وما يدريها بأن الله أكرمه أو لم يكرمه، في حين أن حديث أنس هو امتداح لأعمال ظاهرة، وليس حكماً لمصير من أثنوا عليه خيراً أو من أثنوا عليه شراً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٨)، ج٨، ص١١٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١)، ج١، ص٢٠٠.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٤، ص ٥٢٨.

(٣) ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩ هـ)، شرح صحيح البخاري، ط٢، ١٠م، (تحقيق ياسر بن إبراهيم)، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م، ج٣، ص ٣٥٦.

المطلب الثاني:
حديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن عبدالله بْن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ[١]، قَالَ: تُوُفِّيَتْ ابْنَةٌ لِعُثْمَانَ ﷺ بِمَكَّةَ، وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا – أَوْ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا، ثُمَّ جَاءَ الآخَرُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي – فَقَالَ عبدالله بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ: أَلاَ تَنْهَى عَنِ البُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ، ثُمَّ حَدَّثَ، قَالَ: صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ[٢] إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ[٣]، فَقَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلاَءِ الرَّكْبُ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهَيْبٌ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ فَقُلْتُ: ارْتَحِلْ فَالحَقْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ: وَاأَخَاهُ وَاصَاحِبَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا صُهَيْبُ، أَتَبْكِي عَلَيَّ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»

---

(١) هو عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة: زهير بن عبدالله بن جدعان القرشي التيمي، المكي الأحول. كان قاضيا لعبدالله بن الزبير، ومؤذنا له. توفي سنة ١١٧هـ. روى له الجماعة.

(٢) البيداء، بفتح الموحدة وسكون المثناة التحتية: مفازة (صحراء) بين مكة والمدينة. قاله القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٤٠٣.

(٣) نوع من الشجر، صِغَارُ الوَرَق قِصَارُ الشَّوْكِ، من فصيلة الطلح. انظر الزيات، المعجم الوسيط، ج١، ص٤٤٨.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ المُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ القُرْآنُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا[٢].

وفي رواية أخرى عن عَمْرَةَ بِنْتِ عبدالرحمن، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا: سَمِعَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم، قَالَتْ: إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم عَلَى يَهُودِيَّةٍ يَبْكِي عَلَيْهَا أَهْلُهَا، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا»[٣]

الشبهات:

يقول محمد جواد خليل[٤]: «لقد اختلط الأمر على عمر! فعائشة تردُّ على ما اعتقده عمر طيلة حياته، حيث كان يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي» أو «إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه».

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته (١٢٨٦-١٢٨٨)، ج٢، ص٧٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩٢٧-٩٢٩)، ج٢، ص٦٤٠-٦٤١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته (١٢٨٩)، ج٢، ص٨٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩٣٢)، ج٢، ص٦٤٣.

(٤) خليل، كشف المتواري في صحيح البخاري ج١، ص٢٩٦.

فقالت: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه» وهو الصحيح. أليس من المحتمل أن عمر روى لنا أحاديث كان قد نسي منها شيئاً؟! أو أنه قلبها رأساً على عقب، وأصبح فهمها ومعناها على عكس ما أراده الرسول الأكرم؟! كما فهم عمر وقلب لنا هذه الرواية!»

ثم طعن المذكور في حديث عمر أيضاً لكونه مخالفاً لما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين، وكان ظئراً[١] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجودُ بنفسه، فجعلتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفانِ، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢].

فقال: «هل إن إبراهيم عليه السلام ابن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان يعذب ببكاء الرسول عليه كما مر علينا ذلك في الحديث السابق كما كان يعتقد عمر بذلك؟!»

---

(١) القين، بالقاف وسكون التحتية آخره نون: الحداد، واسم أبي سيف: البراء بن أوس الأنصاري. انظر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٤١٤.

والظِّئْرُ، بالكسر: العاطفةُ على ولَد غيرِها، المُرْضِعةُ له في الناسِ وغيرِهم. قاله الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٤٣٢. واستعاره الراوي، فقصد به زوجها أبا سيف.

(٢) حديث بكاء النبي على ابنه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا بك لمحزونون» (١٣٠٣)، ج٢، ص٨٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٢٣١٥)، ج٤، ص١٨٠٧.

وبنحو كلام جواد قال جعفر السبحاني[١].

وأما عبد الحسين العبيدي فلم يقف إلى هذا الحدّ، بل أراد التوصل إلى نفي عذاب القبر، فقال: «إن هذه التصحيحات تساهم في إعادة بناء ثقة المسلم بعقيدته بعد أن حاولت الروايات الأولى هدمها ونقلها إلى عالم الأوهام والأساطير، فالعقل لا يحتمل فكرة تعذيب الله لعبد من عباده، لأن أهله يبكون عليه، ولماذا لا يبكون وقد فقدوا عزيزاً عليهم وفارقوه بقية حياتهم؟ ولكنه يحتمل أن يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة موضوعية هي أن أهل الميت المذنب العاصي يبكون عليه وهم لا يعلمون بما سيلاقيه من عذاب بما ارتكبه من آثام .. كما لا يحتمل العقل إيقاع العذاب على جيفة في قبر لا تعي ولا تحس ولم يجر حسابها بعد، ولكنه يحتمل أن يقع ذلك العذاب بعد قيام الساعة وإدانة العصاة»[٢]

مناقشة الشبهات والرد عليها:

أقول: كلا، لم يقلب سيدُنا عمر رضي الله عنه المعنى، ولا أخطأ في تبليغ الحديث، وذلك للأسباب التالية:

الأول: أن الذي روته السيدة عائشة حديث وهذا حديث، ولا تناقض بينهما، ولكل واحد منهما حكمه.

الثاني: أنها أنكرت حديث عمر باجتهادها حين استدلت بالآية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، والنص مقدم على الاجتهاد، فلا يلتفت معه إلى رأي أحد.

---

(١) انظر السبحاني، جعفر بن محمد حسين التبريزي (معاصر)، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، م١، كتاب ألكتروني منشور على كثير من مواقع الشيعة على الشبكة العنكبوتية، منها موقع شبكة الإمامين الحسنين، ص٥٦.
(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٤٤.

الثالث: أن ما ذكرته لا يُحفظ عن غيرها، وحديث عمر محفوظ عنه، وعن ابنه، وكذلك رواه المغيرة بن شعبة[١]، فصار الحديث من رواية ثلاثة من الصحابة[٢]، وهم أولى بالحفظ والضبط من واحد[٣].

وأما الرد على الاستدلال بالآية الكريمة، فالجواب عنه ما قاله ابن القيم: «والمعارضة التي ظنتها أم المؤمنين رضي الله عنها بين روايتهم وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ غير لازمة أصلاً، ولو كانت لازمة، لزم في روايتها أيضاً أن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً، فإن الله لا يعذب أحداً بذنب غيره الذي لا تسبَّب له فيه»[٤].

وبعد ثبوت الحديث من رواية جمع من الصحابة، بقي أن نفهم معناه، فأقول: قد جمع كثير من أهل العلم بين حديثي عمر وعائشة بضروب من الجمع:

١- أن ذلك خاص بمن أوصى أن يُناح عليه، فيكون النوح بسبب فعله، ويكون هذا جارياً على المتعارف من عادة الجاهلية كما قال قائلهم:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (١٢٩١)، ج٢، ص٨٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩٣٣)، ج٢، ص٦٤٣.

(٢) أضاف إلى هؤلاء الثلاثة من الصحابة السيوطي: حفصة وأنساً وعمران بن حصين وأبا موسى وأبا بكر وأبا هريرة. انظر السيوطي، قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، ص١٢٣.

(٣) انظر ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمَّد (٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ط١، ٤م، دار الوطن، الرياض، ج١، ص٥٦.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ)، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، مطبوع بحاشية كتاب عون المعبود للعظيم آبادي، ط٢، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، ج٨، ص٢٧٩.

إذا متُ فانْعِيني بما أنا أهلُه ... وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبد[١]

وهذا القول ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام. يعني لمن أوصى أو لم يوصِ.

الثاني: أن عمر والصحابة فهموا منه حصول ذلك وإن لم يوصِ به. وأيضا الوصية بذلك حرام يستحق بها الموصي التعذيب نيح عليه أم لا، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما علق التعذيب بالنياحة لا بالوصية.

٢- أن ذلك خاص بمن كان النوح من عادته وعادة قومه وأهله وهو يعلم أنهم ينوحون عليه إذا مات، فإذا لم ينههم كان ذلك رضاً منه بفعلهم، وذلك سببُ عذابه، وهذا مسلك الإِمام البخاري في "صحيحه"، فإنه ترجم عليه وقال: «إذا كان النوح من سنته» [٢].

٣- أن المراد بالحديث ما يتألم به الميت ويتعذب به من بكاء الحي عليه، وليس المراد أن الله تعالى يعاقبه ببكاء الحي عليه، فإن التعذيب هو من جنس الألم الذي يناله بمن يجاوره مما يتأذى به ونحوه، قال النبي صلَّى الله عليه وسلم: «السفر قطعة من العذاب»[٣] وليس هذا عذاباً على ذنب، وإنما هو تعذيب وتألُّم، فإذا وُبِّخ الميت على ما يُناح به عليه لحقه من ذلك ألمٌ وتعذيب، ويدل على

(١) طرفة، طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: ٥٦٤ م)، ديوان طرفة بن العبد، ط٣، ١م، (تحقيق مهدي محمد ناصر الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٩.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته، ج٢، ص٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب(١٨٠٤)، ج٣، ص٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب، (١٩٢٧)، ج٣، ص١٥٢٦.

ذلك ما روى البخاري في «صحيحه»[(١)] عن النعمان بن بشير قال: «أغمي على عبدالله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أأنت كذلك؟»

وهذا أصحُّ ما قيل في هذا الحديث. ولا ريب أن الميت يسمع بكاء الحَيِّ ويسمع قرع نعالهم، وتعرض عليه أعمال أقاربه الأحياء، فإذا رأى ما يسوؤهم تالم له، وهذا ونحوه مما يتعذب به الميت ويتألم، ولا تعارض بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ بوجه ما[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا اختيار أبي جعفر الطبري من المتقدمين، ورجحه ابن المرابط[(٣)] وعياض[(٤)] ومن تبعه، ونصره ابن تيمية[(٥)] وجماعة من المتأخرين»[(٦)].

وأما طعن محمَّد جواد في حديث عمر استناداً إلى بكاء النبي على ابنه عليهما الصلاة والسلام، فلا حجة فيه، إذ ليس المقصود به دمع العين، بل النوح، كما قال ابن الملقن: «كل حديث أتى فيه النهي عن البكاء فمعناه: البكاء الذي يتبعه الندب والنياحة عند العلماء، فإنه إذًا يسمى بكاء؛ لأن الندب على الميت كالبكاء عليه، فإن البكاء بالمد: الصوت. وبالقصر: الدمع، كما نص عليه أهل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم (٤٢٦٧)، ج٥، ص١٤٤.

(٢) انظر ابن القيم، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ج٨، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) هو محمد بن خَلَف بن سعيد بن وهْب الأندلسي، صنَّف كتابًا كبيرًا في شرح البخاريّ، ورحل إليه النّاس، وسمعوا منه، وكان من العالمين بمذهب مالك. توفي سنة ٤٨٥هـ. انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥٤٨.

(٤) عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي القاضي، (ت ٥٤٤هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط١، ٨م، (تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٨م، ج٣، ص ٣٧٢.

(٥) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٤، ص ٣٧٤.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٥٩٨.

اللغة: الخليل والأزهري والجوهري[١] وغيرهم»[٢].

قلت: ويؤيد كلامَ ابن الملقن ما جاء في حديث عمر المرفوع، وهو قوله: يعذب ببعض بكاء أهله عليه» فأفاد أن بعضه يعذب به وبه لا يعذب به، وكذلك.

وفي حديث المغيرة بن شعبة المرفوع زاده توضيحاً، ففيه: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن نِيح عليه يُعذَّب بما نِيح عليه»[٣]

وأما ما نقلته عن عبد الحسين العبيدي من نفيه لعذاب القبر، فسيأتي الرد عليه في المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث عذاب القبر ونعيمه، من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال الجوهري: البُكا يُمَدُّ ويُقْصَرُ، فإذا مددت أردت الصوتَ الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصَرْتَ أردت الدموعَ وخروجها. انظر الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، ٦م، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٦، ص٢٢٨٤.

(٢) انظر ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت٨٠٤هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ط١، ٣٦م، (تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط وجمعة فتحي)، إصدار وزارة الأوقاف بدولة قطر، ٢٠٠٨م، ج٩، ص٥٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت (١٢٩١)، ج٢، ص٨٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩٣٣)، ج٢، ص٦٤٣.

المطلب الثالث:

حديث الذي أوصى أبناءه بأن يحرقوه ثم يذروه في الهواء بعد موته.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ[(١)] اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»[(٢)].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»[(٣)].

الشبهة:

أورد عبد الحسين العبيدي هذا الحديث مع أحاديث أخرى تحت عنوان: «وسائل جديدة للإفلات

---

(١) رغسه: بفتح الراء والغين المعجمة المخففة والسين المهملة، من الرَّغْس، وهو النَّماء والكَثْرَةُ والخَيْرُ والبَرَكَةُ. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان (٣٤٧٨)، ج٤، ص١٧٦، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٧)، ج٤، ص٢١١١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٨١)، ج٤، ص١٧٦، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦)، ج٤، ص٢١٠٩.

من النار»[١]، معتبراً هذا الحديث أسلوباً من أساليب الهروب من النار!

مناقشة الشبهة والرد عليها:

لا شك أن ظاهر هذا الحديث مشكل، وقد أشار إلى هذا بعض أهل العلم، لكن هذا لا يعني أن يرد الحديث برُمَّته، بل الواجب في ذلك الرجوع إلى أهل العلم ومعرفة أقوالهم في حل هذا الإشكال الظاهر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢].

وممن أورد هذا الإشكال الإمام الخطابي، فقال: «قد يُسأل عن هذا، فيقال: كيف يُغفَر له وهو مُنكِر للبَعثِ والقُدرة على إحيائه وإنشاره؟»[٣]

وكذلك ابن الجوزي فقال: «وَقد اعتُرض على هَذَا الحَدِيث فَقيل: هَذَا رجل كَافِر، لقَوْله: إِن يقدر الله عَلَيْهِ. وَمن ظن أَن الله تَعَالَى لَا يقدر عليه فهو كَافِر، فَكيف يُقَال: غفر الله له، وتلقاه برحمته؟»[٤]

والجواب عنه من وجهين:

الأول من حيث الصحة، فهذا الحديث صحيح لا غبار عليه، فهو حديث مستفيض إن لم يكن متواتراً، وليس لأحد أن ينكره، فلا ينكره إلا جاهل أو معاند، فقد رواه جمع من الصحابة الكرام عن

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٣) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب (٣٨٨ هـ)، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ط١، ٤م، (تحقيق محمد بن سعد آل سعود)، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٥٦٥.

(٤) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين ج٣، ص١٥٦

النبي صلى الله عليه وسلم، ثلاثة منهم في الصحيح، وخمسة خارج الصحيح[١].

الثاني من حيث معناه، فقد أجاب العلماء عن هذا الإشكال بعدة أجوبة:

القول الأول: أن هذا الرجل شك في قدرة الله تعالى على جمعه إن تفرق رماد جسمه في الهواء، لكونه كان جاهلا بقدرة الله، ولم يكن منكراً لوجود الله، ولا منكراً لليوم الآخر، ومن جهل صفة من صفات الله مع إيمانه بسائر الصفات ليس كافراً، بل الكافر هو من يكفر بما علمه من الحق ثم أنكره وجحده.

قال ابن قُتيبة: «هذا رجل مؤمن بالله، مقربه، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذ أحرق وذري الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته ما بنيته وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته.

وقد يغلط في صفات الله تعالى، قوم من المسلمين ولا يحكم عليهم بالنار، بل ترجأ أمورهم إلى من هو أعلم بهم وبنياتهم»[٢].

وقال الخطابي: «إنَّه ليس بمُنكِرٍ للبعث، إنما هو رجل جاهل، ظن أنه إذا فُعل به هذا الصنيع

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري البخاري ومسلم، وذكرت تخريجه قبل قليل، وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٤٨١)، ج٤، ص١٧٦، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦)، ج٤، ص٢١٠٩. وأخرجه من حديث حذيفة البخاري في الكتاب والباب نفسيهما (٣٤٧٩) ج٤، ص١٧٦.

وأما ما هو خارج الصحيح، فأخرجه من حديث أبي بكر ضمن حديث الشفاعة أحمد في مسنده (١٥)، ج١، ص١٩٣، ومن حديث ابن مسعود (٣٧٨٥)، ج٦، ص٣٢٦، ومن حديث أبي مسعود الأنصاري بإثر الحديث (١٧٠٦٤)، ج٢٨، ص٢٩٦-٢٩٧، ومن حديث معاوية بن حيْدة (٢٠٠١٢)، ج٣٣، ص٢١٦. وأخرجه من حديث سلمان الفارسي الطبراني في «الكبير» (٦١٢٣)، ج٦، ص٢٤٩.

(٢) ابن قُتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، ط٢، ١م، المكتب الاسلامي، بيروت،١٩٩٩م، ص١٨٦.

تُرك فلم يُنشر ولم يعذب، ألا تراه يقول: «فجمعه. فقال: لم فعلتَ ذلك؟ فقال: من خشيتك»، فقد تبين أنه رجل مؤمن بالله، فعل ما فعل من خشية الله إذا بعثه إلا أنه جهل، فحسب أن هذه الحيلة تنجيه مما يخافه»[(١)].

وإليه ذهب أيضاً من أهل العلم ابنُ عبد البر، وقال: «وهذا قول المتقدمين من العلماء، ومن سلك سبيلهم من المتأخرين»[(٢)] وابنُ تيمية[(٣)].

القول الثاني: أن هَذَا رجل غلب عَلَيْهِ الْخَوْف والجزع، فَقَالَ هَذَا الْكَلَام وَهُوَ لَا يدْرِي مَا يَقُول، كَمَا قَالَ ذَلِك الرجل: «أَنْت عَبدِي وَأَنا رَبك»[(٤)]، واختاره القرطبي[(٥)]، وابن حجر[(٦)].

وهذا القول لا يسلم لهم، لأن هذا أخطأ من شدة الفرح، بينما الآخر يعتقد ذلك، فالخطأ لا يؤاخذ العبد عليه، بخلاف الاعتقاد.

القول الثالث: أَن يكون بمعنى التَّضْيِيق، من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[(٧)]، أَي ضُيِّق، فَالْمَعْنى: أَن يُضيِّق عَليَّ ويبالغ فِي محاسبتي. وإليه ذهب الطحاوي[(٨)]. وهذا القول لا يخلو من ضعف، وذلك لأن التضييق نوع من العذاب، فيكون قد اتحد الشرط والجزاء، فيصير المعنى: «لئن

---

(١) الخطابي، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ج٣، ص١٥٦٥.

(٢) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج١٨، ص٤٢.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣، ص٢٣١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧)، ج٤، ص ٢١٠٤.

(٥) القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، ج٧، ص٧٦-٧٧.

(٦) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٠، ص٣١٩.

(٧) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٨) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١هـ)، شرح مشكل الآثار، ط١، ١٦م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ، ج٢، ص٢٧.

عذَّبني رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي».

القول الرابع: أو تكون بمعنى: إِن قدَّر وَسبق قَضَاؤُهُ أَن يعذب كل ذِي جُرم، ليعذبني عذاباً لا يعذِّبه أحداً[1]. وهذا المعنى لا يستقيم، لأن المعنى سيصير: «إن قدَّر الله أن يعذبني ليعذبنِّي» فلمَ أمر بالتذرية حينئذ؟

وعليه يكون القول الأول هو القول الراجح، لأن الحديث يدل أن الرجل كان مسلماً، بدليلين:

الأول: أنه ما أمر أولاده بحرقه إلا لخشيته من الله، والكافر لا يخشى الله ولا يحسب لذلك حساباً.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن الله قد غفر له، والكافر لا يغفر الله له، ولا يدخل الجنة.

---

(١) انظر ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين ج٣، ص١٥٧

المبحث الثاني

الشبهات في أحاديث عذاب القبر ونعيمه:

المطلب الأول: مناقشة أحد النافين لعذاب القبر.

المطلب الثاني: حديث سؤال الملكين للميت، وحديث عرض المقعد على الميت.

المطلب الثالث: حديث تعذيب الذي يمشي بالنميمة والذي لم يستتر من بوله.

المطلب الرابع: حديث استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر، وحديث تعذيب اليهود في قبورها.

المطلب الأول:
مناقشة أحد النافين لعذاب القبر.

قبل ذكر كلام الطاعن والرد عليه، ينبغي الإشارة إلى أن الإيمان بعذاب القبر هو عقيدة أهل السنة والجماعة جميعاً، وكذلك أكثر المعتزلة وأشهرهم القاضي عبد الجبار والزمخشري[١]، وحتى الإمامية أثبت كبارُ محدثيهم عذابَ القبر كالكليني في «الكافي»[٢] وأبي جعفر الطوسي في كتابه «تهذيب الأحكام»[٣]، والسبب في ذلك أن الأحاديث والنصوص في عذاب القبر وصلت إلى حدٍّ التواتر كما قال أهلُ العلم، وسيأتي النقل عنهم بعد قليل.

ومع ذلك نجد هؤلاء المعاصرين من الشيعة الإمامية ينفون عذاب القبر.

يقول ابن حزم: «ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهلُ السنة وبشر بن المعتمر والجبائي **وسائر المعتزلة** إلى القول به»[٤]

يقول القاضي عبد الجبار: «لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو،

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٣٠٦ و٦٨٥.

(٢) الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٢٦ و٦٣٣ وج٣، ١٩٧.

(٣) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج١، ص٤٠ وج٣، ص٣.

(٤) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٥م، ج٤، ص٥٥-٥٦.

وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبِّرة»[١]

ويقول الحافظ ابن حجر: «وأنكره (يعني عذاب القبر) الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي، وخالفهم جميع أهل السنة، وأكثر المعتزلة»[٢]

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «الاعتقاد بحياة القبر وعذابه ليس من ضروريات الدين، ومن حقنا الخوض في بحث الأخبار المتعلقة به للوصول إلى قناعة محددة تجعلنا على بينة مما نؤمن به ونتبناه من أفكار وعقائد، أو على الأقل لنكون على الطريق الصحيح لفهم ما يطلب منا تصديقه والإقرار به».

ثم قال: «عند مفارقة الروح للجسد تنطلق الروح إلى خالقها، ويدفن الجسد في التراب، فيتحلل ويتلاشى بعد حين .. فمن أين.. وكيف .. سيكون عذاب القبر؟»[٣]

مناقشة الشبهة والرد عليها:

أقول: يفهم من كلامه أن الإيمان بعذاب القبر ليس من المعلوم بالضرورة، وسأنقل كلام أهل العلم في ذلك:

يقول الإمام أحمد: «والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكرٍ ونكير؛ والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار بعد

---

(١) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، ط٣، ١م، (تحقيق عبد الكريم عثمان)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٧٣٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٧٤٩

(٣) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٣٨.

ما امتحشوا، كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي صلى الله عليه وسلم، نصدِّقها ولا نضرب لها الأمثال. هذا ما اجتمع عليه السلف من العلماء في الآفاق»(١)

وأصرح منه ما قاله ابن تيمية: «أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير **كثيرة متواترة** عن النبي صلى الله عليه وسلم»(٢)

ويقول شارحُ الطحاوية ابنُ أبي العز: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»(٣)

ونخلص من كلام هؤلاء العلماء إلى ما يلي:

١- أن الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه بلغت حدَّ التواتر. وقد صنِّفت في جمعها رسائل قديماً وحديثاً، من أهمها كتاب «إثبات عذاب القبر وسؤال

---

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمَّد (ت ٥٩٧هـ)، مناقب الإمام أحمد، ط٢، ١م، (تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر، ١٤٠٩هـ، ص٢٢٣.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٢٨٥.

(٣) ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية ط١٠، ٢م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالله بن المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٥٧٨.

وبنحوه قال الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ٢٦م، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، ج٢، ص٧٠٠.

الملكين»[١] للإمام البيهقي، حيث أودعه ما يزيد على مئتي حديث.

٢- وجوب الإيمان بذلك لتواتره، ومعلوم أن منكر المتواتر يخشى عليه من الكفر، إن لم نقل: كافر.

٣- لا نتكلم في كيفيته، إذ العقول لا تدرك ما وراء المعروف المحسوس من أمور الغيبيات، لكونها لا تعرف إلا ما تدركه ضمن مجال حواسها المحدودة القدرة.

٤- أن الروح تُعاد إلى الجسد لكن بصورة غير المعتادة المعروفة، حتى يتم تنعُّم الميت أو تعذيبه.

ويقول ابنُ أبي العز أيضاً: «اعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكلٌّ من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبر أو لم يُقبر، أكلته السباعُ أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صُلب أو غرق في البحر، ووصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور»[٢]

أقول: استند المنكرون حصول عذاب القبر ونعيمه إلى شيئين:

الأول: الضرورة العقلية؛ قالوا: من المحال عقلاً بعد موت الإنسان وصيرورته جثة هامدة أن يشعر بالعذاب أو النعيم.

الثاني: الضرورة الحسية التجريبية؛ قالوا بأن كثيراً من القبور فتحت فلم يجدوا فيها التعذيب المذكور والمطارق والحيات.. إلخ.

والجواب عن ذلك فيما يلي:

---

(١) قام بتحقيقه أستاذنا الدكتور شرف القضاة، وصدر عن دار الفرقان في عمان، سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٧٩-٥٨٠.

أولاً: أهل الإيمان يوقنون بصدْقِ ما أخبر به الشارِع، وأنّه على حقيقته، وأنّه مُحالٌ طروء الكَذِبِ في أخباره. والدلائل العقلية قد انعقدت على صِدْق ما أخبروا به = فوجبَ حَمْلُ ما تضافرتْ عليه النصوص، ودلّت عليه الأخبار من عذاب القَبْر ونعيمه، وحصول السؤال للميت من المَلَكَيْنِ على الحقيقة. والإيمان بذلك هو من الإيمان بالغيب؛ الذي هو من أخصّ خصائص أهل الإيمان، وهو الفيصل بينهم وبين الكافرين، وهو مدار الابتلاء .

ثانياً: أنه ليس هناك ما يُحيلُ ذلك؛ لا من جهة الدلائل النَّقلية، ولا من جهة الدلائل العقلية. فعذاب القَبْر ونعيمه ثابتٌ في الأَخْبَارِ، وليس في بداهة العقل ما يدفعه. بل تلك الأخبارُ موافقة لأحكامِه أتمّ الموافقة.

ثالثاً: أنّ دعواهم استحالة حصول العذاب للمقبور، وقد صار جثة هامدةً، أو في حال انتقاض بِنْيَتِهِ، مع انتفاء الحياة عنه دعوى لا تخلو إمّا أن يُقصد بها استحالة حصول العذاب للمقبور، ووقوع المساءلة والخطاب؛ في حين أن الحياةَ منتفيةٌ عنه؛ فهذا قد يُسلَّم لهم لدلالة الشَّرعِ على تعلُّق العذاب والنعيم بالرُّوح والبدن .

وإمّا أن يُراد بها منعُهم حصولَ هذه الحياة للمقبور؛ ليجري عليه العذاب والنعيم، والمساءلة والخطاب فهذا باطل؛ لأنّ النصوص قد أبانتْ أن الرُّوح تُعاد إلى الميت، فيلزم من ذلك التصديقُ بما وراء ذلك من السؤال والخطابِ، والعذاب والنعيم للمقبور(١).

---

(١) انظر النعمي، دفع دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، ص٤٤٧.

المطلب الثاني:

حديث سؤال الملكين للميت، وحديث عرض المقعد على الميت.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؟

فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عبدالله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا – قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(١).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن ابن عمر ﷺ مرفوعاً: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤)، ج٢، ص٩٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت والجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر (٢٨٧٠)، ج٤، ص٢٢٠٠.

مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «أوضحت (هذه الرواية) أن تحديد مصير الميت إلى الجنة أو إلى النار متعلق بإقراره بأن محمداً عبدالله ورسوله، فإذا قالها أبدل مقعده من النار إلى الجنة. ولا ندري ما ضرورة حسابه يوم القيامة ما دام أمره قد حسم وهو بعدُ في قبره؟

أما الشتائم التي تكال على الكافر والمنافق وضربه بمطارق الحديد على رأسه، فلا نستطيع معها إلا أن نتصور أننا في محل حدادة، وليس في قبر!»[(٢)].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- الكاتب يرى أن سؤال الملكين للميت حساباً، وهذه مغالطة كبيرة، فالحساب لا يكون إلا يوم القيامة، كما أن الذي يتولَّى الحسابَ هو اللهُ عز وجل، وليس الملكين، فالعبيد عبيده وهو ربهم، وعليه حسابهم، وقد نصت الآيات الكريمة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٩)، ج٢، ص٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت والجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر (٢٨٦٦)، ج٤، ص٢١٩٩.

(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٤٢.

(٣) سورة الرعد، آية ٤٠

(٤) سورة الشعراء، الآية ١١٣.

حِسَابَهُم ﴾[1]، والآيات هنا تفيد الحصر كما هو واضح، وهذا يعلمه الكبير والصغير.

وأما الملكان فيسألانه، ولم يقل: فيحاسبانه، وهذه الأسئلة هي ثلاثة أسئلة كما ورد في حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[2] قال: «في القبر إذا قيل له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك»[3].

ومن العجيب أن هذا الحديث وجدتُه في أحد كتبهم الثمانية المعتمدة لديهم؛ كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي، فقد جاء فيه: «فإذا أدخل قبره أتاه ملكان –وهما فتانا القبر– يجران أشعارهما، ويبحثان الأرض بأنيابهما، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك، ومن نبيك، وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والاسلام ديني، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية، فيفسحان له في قبره مدَّ بصره، ويفتحان له باباً إلى الجنة، ويقولان له: نم قريرَ العين نوم الشابِّ الناعم، وهو قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان ٢٥ و٢٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، ط٢، ٥م، (تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد وإبراهيم عطوة)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام، (٣١٢٠)، ج٥، ص٢٩٥. وهو في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٦٩)، ج٢، ص٩٨، وفي صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر (٢٨٧١)، ج٤، ص٢٢٠١، لكنه مختصر قليلاً عندهما.

وإذا كان لربه عدواً؛ فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً وأنتنه ريحاً، فيقول له: ابشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم...»[١]

وبعد هذا، أقول لهذا الطاعن: ما المانع شرعاً وعقلاً أن يبدأ النعيم أو العذاب في القبر لمن يستحقهما؟

بل قد نصَّ القرآن على أن النعيم أو العذاب يبدآن عند توفي الملائكة للميت، وقبل نزوله القبر، سواء للمؤمن أو لغيره، فقال سبحانه وتعالى في حق **المؤمنين:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[٢]

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم» ثم قال: «وقوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال مجاهد، والسدي، وزيد بن أسلم، وابنه: يعني عند الموت قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وزيد بن أسلم: أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أي على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢٥.

(٢) سورة فصلت، الآيتان ٣٠ و٣١.

تُوعَـدُونَ ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير»

ثم قال: «وقوله: ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم»[1].

وقال سبحانه في حق **الكافرين الظالمين** وما يُبشَّر به عند التوفي: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[3]

وقال: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، ط٢، ٨م، (تحقيق سامي محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م. م٧، ص١٧٥ و١٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٣.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان ٥٠ و٥١.

مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[١]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «قال الله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: في سكراته وغمراته وكرباته، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: بالضرب كما قال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾. وقال الضحاك وأبو صالح: ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: بالعذاب. وكما قال تعالى ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله»[٢].

وقال ابن تيمية: «قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ دلَّ على وقوع الجزاء عقب الموت.

---

(١) سورة محمد، الآيتان ٢٧ و٢٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م٣، ص٣٠٢.

وقال تعالى في الأنفال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهذا ذوق له بعد الموت»[١].

وأما الآية التي تشير إلى عذاب القبر، فهي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[٢]

قال ابن تيمية: «قال غير واحد من العلماء: المرة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ؛ ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة»[٣]. قلت: وما قاله هو قول جمهور المفسرين[٤].

قال الطبري: «والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر. وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرتين إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٢٦٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٠١.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٢٦٦.
(٤) انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م١١، ص٦٤٥. وابن الجوزي، الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمَّد البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، م٤، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٣.
وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٠٥.

جهنم»[١]

وأما قول الطاعن: «أننا في محل حدادة، وليس في قبر!» فماذا يقول هذا الطاعن فيما رواه الكليني في «الكافي» أصحِّ كتبهم، بسنده إلى أبي جعفر عليه السلام: «قال النبي صلى الله عليه وآله: إني كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها، وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم، وكنتُ أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يُهيجها حتى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟! وأعجب حتى حدثني جبرئيل عليه السلام أن الكافر يُضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويذعر لها إلا الثقلين، فقلتُ: ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر»[٢]

فقد خالف هذا الطاعن كلَّ المذاهب بما في ذلك مذهبه الجعفري!

أقول: ينبغي أن نعرف أن الدور ثلاث، جعل الله تعالى لكل دار منها أحكاماً تختص بها:

الأولى: دار الدنيا، جعل أحكامها على الأبدان، والأرواحُ تبعاً لها. ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه.

الثانية: دار البرزخ؛ جعل أحكامها على الأرواح، والأبدانُ تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدانُ الأرواح في نعيمها وعذابها، فالأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

فالأبدان في الدنيا ظاهرة والأرواح خفية. بينما الأرواح في البرزخ ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، وأحكام البرزخ تجرى على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجرى أحكام

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م١١، ص٦٤٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٣٣.

الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً.

وقد أرانا الله تعالى من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجرى على روحه أصلاً، والبدنُ تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تاثيراً مشاهداً فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيتألم بذلك الضرب، أو يرى أنه يأكل ويشرب، فيشعر بالشبع، مع أنه نائم، والسبب في ذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسَّ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ، بل هو أعظم، فإن تجرُّد الروح هنالك أكمل وأقوى، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع.

الثالثة: الدار الآخرة؛ وفيها يصير الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً[١].

---

(١) انظر ابن القيم، كتاب الروح، ص٦٣-٦٤.

المطلب الثالث:

حديث تعذيب الذي يمشي بالنميمة والذي لم يستتر من بوله.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ، قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مكة، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»(١)

الشبهات:

طعن عبد الحسين العبيدي في هذه الأحاديث من خلال النقاط التالية:

١- مثل هذه القضية ليست حدثاً عابراً حتى ينسى الراوي مكان حدوثه أكان في مكة أم في المدينة.

٢- ينبغي أن يكون - لعظمه - حديثاً متواتراً يرويه جميع المسلمين عن كل من حضره.

٣- صراخ هؤلاء المعذبين يقتضي رجوع الروح إليهم في قبورهم ليتمكنوا من الصراخ.

٤- عذب أحدهما من أجل النميمة، والآخر من أجل أنه لم يستتر من بوله، ما بال الظالمين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٦)، ج١، ص٥٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢)، ج١، ص٢٤٠.

والقتلة والطواغيت وغيرهم لا يصرخون في قبورهم، وهم أولى بالعذاب من هذين؟!

٥- إذا قدَّر الله عليهما العذاب، فماذا تعني محاولة النبي صلى الله عليه وسلم؟ أهي لإعاقة تنفيذ أمر الله فيهما، أم أنه أرحم بعباد الله من خالقهم؟! فإن قيل: هذا من الشفاعة، قلنا: إنما تصح الشفاعة بعد الوقوف للحساب وعرض الاتهام.

٦- ما علاقة بقاء السعف رطباً في تخفيف العذاب؟! أليس كان بمقدور النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهما بتخفيف العذاب، فيحصل ذلك كرامة له، وليس للسعف الرطب؟![١]

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- زعمُ هذا الطاعن بأن مكان الحادثة له أهمية كبيرة زعمٌ عارٍ عن الصحة، فليس للمكان كبير أهمية بحيث يترتب عليه فهمُ الحديث، ولما كان كذلك لم يضبطه الراوي، وهو جرير بن عبد الحميد، ومع ذلك ضبطه غيره، فقد جاء الحديث من رواية عَبيدة بن حُميد بن صهيب الكوفي مجزوماً بكونه في المدينة، ومتابعة عبيدة لجرير هذه أخرجها البخاري أيضاً في «صحيحه»: «عن ابن عباس، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما.. إلخ»[٢].

هذا، ومن المعلوم أن الحيطان – وهي البساتين- إنما كانت في المدينة، ولم تكن في مكة، وهذا ما وضَّحه حديثُ جابر بن عبدالله حيث قال في روايته: إن الحائط كان لأم مبشِّر الأنصارية[٣]. ومعلوم أن الأنصار هم سكان المدينة، ولو كلَّف الطاعن نفسه ورجع إلى شروح الصحيح لعلم ذلك،

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر (٦٠٥٥)، ج٨، ص١٧.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ج١، ص٦٥٠ لكتاب الأفراد للإمام الدارقطني.

ولكن وراء الأكمة ما وراءها!

٢- قوله: ينبغي أن يكون حديثاً متواتراً، هذا تشغيب منه، لأن الطاعن قد أنكر عذاب القبر مع تواتره، كما سبق النقل عن أهل العلم بذلك(١).

وهذا الحديث قد ورد عن جمع من الصحابة الكرام، وهم: جابر بن عبدالله، ويعلى بن مرَّة، وأبي بكرة، وأبي أمامة(٢).

٣- إن اتصال الروح بجسد الميت بطريقة لا يعلمها إلا الله حاصل، فالميت يتنعم أو يعذب ونحن لا نشعر بذلك. وهل يجب أن تدركه حواسُّك حتى تؤمن به؟

وسأضرب للتوضيح مثالين على ذلك، مثالاً شرعياً يشبه هذا الحديث، وآخر مادياً.

أما المثال الشرعي، فيقول الله جل جلاله في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٣)

ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

---

(١) ص٦٩.

(٢) حديث جابر أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، (٣٠١٢) ج٤، ص٢٣٠٦، وحديث يعلى أخرجه أحمد في مسنده (١٧٥٥٩)، ج٢٩، ص١٠١، وحديث أبي بكرة أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٣٧٣)، ج٣٤، ص٧. وحديث أبي أمامة أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٩٢)، ج٣٦، ص٦٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]

يقول الطبري: «يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم وترك معاصيَّ وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت مِن خلقي مَن سلبتُه حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً؛ فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي أحياءٌ عندي في حياة ونعيم وعيش هنيٍّ ورزق سَنيٍّ، فرحين بما آتيتهم من فضلي وحبوتهم به من كرامتي».

ثم نقل عن مجاهد قال: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من ثمر الجنة **ويجدون ريحها وليسوا فيها**[٢].

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون، كما جاء في صحيح مسلم[٣]: إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش...» [٤]

وعليه، يكون حال هذا الطاعن أحد وجهين:

١- إما أن يقول: لا يصحُّ هذا، فيكون قد كذَّب القرآن.

٢- وإما أن يقرَّ بحياة الشهداء وأنهم الآن منعمون في قبورهم، فيكون قد أقرَّ على نفسه

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩ -١٧٠.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢، ص٦٩٨ و٦٩٩.

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١٨٨٧)، ج٢، ص١٥٠٢.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٤٦.

بالجهل.

وأما المثال المادي، فهناك أشياء موجودة حولنا، وحواسُّنا المحدودة لا يمكن لها أن تدركها إلا من خلال أجهزة معينة، فمثلا الإشارات الكهرومغناطيسية التي تبثها المحطات في كل مكان ليل نهار لا نحسُّ بها البتة، مع أنها منتشرة في كل مكان تقريباً، ولو حدثك شخص عن وجودها حولك وأنها تأتي من جهة السماء، وتنقل لنا الأصوات والصور وغيرها -قبل أن تعرف بها- ما صدقتَه، لأنك لا تحسُّ بها، لكنك إذا استعملت جهازاً خاصاً باستقبالها كالتلفاز والهاتف النقال وغيرها لأحسست بوجودها.

فإذا كانت هذه الأشياء موجودة فعلاً وأنت لا تحسُّ بها، وهي من صنع البشر، فكيف بالتي خلقها الله جلَّت قدرته؟!!

وعليه، ففي مقدور الله تعالى أن يُنعِّم هذا الميت أو يُعذِّبه وأنت لا تشعر بذلك.

٤- وأما زعم الطاعن بأن الظالمين والقتلة والطواغيت ونحوهم أولى بالعذاب من هذين المذكورين في الحديث، فأقول له: من أخبرك بأنهم لا يعذبون؟ ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[(١)]

ففرعون وملَؤه يُعرضون على النار صباح مساء إلى أن تقوم الساعة، ثم بعد الساعة يدخلون جهنم، وهو أشد العذاب.

قال الطبري: «لما هلكوا وغرَّقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على

---

(١) سورة غافر، الآية ٤٦.

النار كل يوم مرتين غدواً وعشياً إلى أن تقوم الساعة»[١]

وقال ابن كثير: «وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾»[٢]

كما أن كلام الطاعن يشعر بأنه يظن أن قول النبي ﷺ: «وما يعذبان في كبير» أن هذين الذنبين من الصغائر، وهذا فهم مغلوط، يرده قوله ﷺ: «بلى» بمعنى أنهما من الكبائر. ومعنى قوله: «وما يعذبان في كبير» أي: في ظن الناس، ولكن الحاصل خلاف ذلك، لذلك عذب صاحبا القبرين بما عذبا به، فالنميمة ضررها بالغ بين الناس، وعدم الاستنزاه من البول يضر بالصلاة وبقبولها.

٥- زعمه بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لرحمة هذين المعذبين إعاقة لتنفيذ أمر الله فيهما، وأنا أسأل المؤلف هنا سؤالاً: ألست تعتقد بأن النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته يشفعون يوم القيامة؟ الجواب أظنه يعتقد ذلك[٣]، فهل هذا إعاقة لما قدَّره الله؟

الأمر الآخر ادعى هذا الطاعن أنَّ شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة بيوم القيامة، نقول له: هل معك دليل صحيح على هذه الدعوى؟

٦- وأما قضية السعف الرطب، فقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «يحتمل أن يكون ذلك لدعاء كان منه في التخفيف عنهما مدَّة بقاء النداوة في الجريدة، وليس ذلك من أجل أنَّ في الجريدة عينها

---

(١) انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص٣٣٧.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١٤٦.

(٣) وذلك لأن هذا ثابت في أصح أصولهم، انظر الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٦٩.

معنى يوجبه»[١]

(١) الخطابي، أعلام الحديث، ج١، ص٢٧٤.

المطلب الرابع:

حديث استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر، وحديث تعذيب اليهود في قبورها.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ عن عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ».

قَالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ. زَادَ غُنْدَرٌ[١]: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»[٢].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن عائشةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ[٣] أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ

---

(١) غندر لقب للراوي، واسمه محمد بن جعفر الهذلي البصري، كان ربيباً لشعبة فأكثر عنه، توفي سنة ١٩٣ أو ١٩٤ هـ. وروى له الستة، وطريقه هذه وصله النَّسائي في سننه، كتاب السهو، باب التعوذ في الصلاة (١٣٠٨)، ج٣، ص٥٦، بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٢)، ج٢، ص٩٨.

(٣) ولم أنعم، بضم الهمزة وكسر العين بينهما نون ساكنة، أي: ولم أحسن. قاله القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٩، ص٢١٠.

لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا» فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[١].

الحديث الثالث:

أخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[٢].

الحديث الرابع:

أخرج البخاري عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[٣].

الشبهات:

طعن عبد الحسين العبيدي في هذه الأحاديث من خلال النقاط التالية:

١- كيف لم تسمع عائشة بعذاب القبر إلا من اليهودية؟ ولماذا لم تسمع به حين سمع الناس صراخ الأموات في القبور، ولم تسمع به عندما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يهود تعذب في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر (٦٣٦٦)، ج٨، ص٧٨، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٦)، ج١، ص٤١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٧)، ج٢، ص٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٨)، ج١، ص٤١٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٥)، ج٢، ص٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت والجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر (٢٨٦٩)، ج٤، ص٢١٩٩.

قبورها؟

٢- لماذا لم يتعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر في صلاته الا بعدما أخبرته به عائشة عن اليهود؟

٣- الغريب أن البهائم وحدها من يسمع صوت المعذبين، مع أنها تسمع صوت الإنسان وتميزه، فهي من نفس طبقة الصوت؟

٤- كلا الحديثين من رواية السيدة عائشة، فلماذا مرة كان المخبِر عجوزاً يهودية، ومرةً عجوزين من عُجز المدينة؟ فوحدة الراوي واختلاف الروايتين دليل ضعفهما(١).

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- ليس شرطاً أن تسمع السيدة عائشة رضي الله عنها بكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، خاصة أن هذه الحادثة حدثت في إحدى حيطان أو بساتين المدينة، ولم تكن معه حينئذ، لذلك لم تسمعه، وسأذكر في النقطة التالية أنها عَلِمتْ بعد ذلك.

٢- بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لم يتعوذ إلا بعد قصة اليهودية، لأنه كان يظن أن عذاب القبر مختص بغير المسلمين من يهود ومشركين، ثم أوحى الله إليه بوقوعه على من يشاء وقوعه عليه من الموحدين، فقد روى مسلم عن عائشة، قالت: «دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأةٌ من اليهود، وهي تقول: هل شعرتِ أنكم تُفتنون في القبور؟ قالت: فارتاعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنما تُفتن يهودُ» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل شعرتِ أنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور؟» قالت عائشة: فسمعت رسول الله

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٤١.

صلى الله عليه وسلم، بعد يستعيذ من عذاب القبر»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «فالذي أنكَرَه النبيّ صلى الله عليه وسلم إنَّما هو وقوع عذاب القبر على الموحِّدين، ثمَّ أُعلِمَ صلى الله عليه وسلم أنَّ ذلك قد يقع على مَن يشاء الله منهم، فجَزَمَ به وحَذَّرَ منه وبالَغَ في الاستعاذة منه تعليماً لأُمَّتِه وإرشاداً، فانتفى التَّعارُض بحمد الله تعالى»[٢].

٣- قوله: إن البهائم لديها نفس طبقة صوت الإنسان. أقول: قد أعطى الله بعض مخلوقاته حواسَّ خارقة لا توجد لدى الإنسان، وهذا معروف ومشاهد، فعلى سبيل المثال ترى بعض الطيور كالصقور والنسور من مسافات بعيدة جداً تصل إلى بعض الكيلو مترات، وبعض الحيوانات التي تصطاد ليلاً ترى بالليل المظلم جداً كما لو كانت نهاراً، بحيث لا يستطيع الإنسان المشاهدة إلا بالنظر من خلال الأشعة تحت الحمراء. وبعض المخلوقات لديها حاسة سمع متطورة جداً تشبه موجات الرادار، منها الخفاش، وهذا كله أصبح معروفاً لدى الناس في هذه الأيام، ويُدرَّس في المدارس والجامعات، فلماذا ينكر هذا الطاعن أن تسمع البهائم أشياء لا يستطيع سماعها الإنسان؟!

ألم يُخبِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ الديك يستطيع أن يرى الملائكة، وأن الحمار يرى الشيطان؟ فيما رواه البخاري ومسلم[٣] عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٤)، ج١، ص٤١٠. وانظر البخاري، كتاب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف (١٠٤٩ و١٠٥٠)، ج٢، ص٣٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٧٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٣٣٠٣)، ج٤، ص١٢٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك (٢٧٢٩)، ج٤، ص٢٠٩٢.

سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً» فهل يستطيع الإنسان أن يرى شيئاً من ذلك؟!

٤- زعم الطاعن أن الحديث ضعيف بسبب وحدة الراوي واختلاف الروايتين. والجواب أن كِلا الروايتين جاء فيهما أن المخبرة يهودية، لكن مرة ذُكرت واحدة، ومرة ذُكرت ثنتان، وهذا محمول على أنَّ إحداهما تكلَّمَت وأقرَّتها الأُخرى على ذلك، فنَسَبَت القول لكلا العجوزين مَجازاً، ورواية الإفراد ذكرت المتكلمة وحدها. فأي إشكال في هذا؟

فهذا ليس من الاضطراب الذي يُضعَّف الحديث من أجله في شيء، ولكن يبدو أن الطاعن ليس من أهل الصنعة في الحديث، فلذلك وقع فيما وقع فيه!

الفصل الثاني

شبهات المعاصرين من الشيعة في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب والشفاعة والميزان والصراط، والرد عليهم

وفيه مباحثان:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب.

المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث الشفاعة والميزان والصراط.

المبحث الأول

الشبهات في أحاديث البعث والنشور والحشر والحساب:

المطلب الأول: حديث صعق الناس يوم القيامة، وأن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض.

المطلب الثاني: حديث مانع زكاة الأنعام، وحديث الشجاع الأقرع.

المطلب الثالث: حديث إخراج آدم عليه السلام بعث النار.

المطلب الرابع: حديث إلجام العرق لبعض الناس يوم القيامة.

المطلب الخامس: حديث تكليم الله للناس يوم القيامة بلا ترجمان، وحديث إدناء المؤمن من كنف الله.

المطلب السادس: حديثان في رؤية الله تعالى يوم القيامة.

المطلب السابع: حديثان في اتباع كل أمة ما كانت تعبد، وانتظار المؤمنين رؤية ربهم عز وجلّ.

المطلب الثامن: حديث الكشف عن الساق.

المطلب الأول:

حديث صعق الناس يوم القيامة، وأن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عن ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ(١) جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»(٢).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: «مَنْ؟»، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ

---

(١) آخذ بناحية منه بقوّة، انظر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٤، ص ٢٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١١)، ج٣، ص١٢٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام (٢٣٧٣)، ج٤، ص١٨٤٣.

الأَنْصَارِ، قَالَ: «ادْعُوهُ»، فَقَالَ: «أَضَرَبْتَهُ؟»، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى»[(١)].

الشبهة:

قال محمَّد جواد: «هذه الروايات دخيلة على الإسلام وهي من الإسرائيليات ومن روايات كعب الأحبار الذي تتلمذ على يديه أبو هريرة.

وإلا فكيف تصدق أن نبينا الأكرم لا يعلم أَفاق موسى قبله أم لا؟! ولا يعلم ما له من المنزلة الرفيعة عند ربه!!»[(٢)].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- زعم الطاعن أن هذا الحديث أخذه أبو هريرة من كعب الأحبار، ما دليله على ذلك؟ هل عنده رواية تثبت ذلك؟ أم هو مجرد تخرص؟

إن هذا الحديث لم ينفرد بروايته أبو هريرة ﷺ، بل رواه أبو سعيد الخدري أيضاً، وهو متفق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٢٤١٢)، ج٣، ص١٢١، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام (٢٣٧٤)، ج٤، ص١٨٤٥.

(٢) خليل، محمد جواد، كشف المتواري في صحيح البخاري، ج١، ص٤٦٣.

على صحته كما بينتُ في التخريج. وهذا يدفع ما قاله صاحب الشبهة من أن الحديث من الإسرائيليات.

٢- عدم علم النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأشياء الغيبية غير مستنكر؛ لأن الله تعالى لم يطلعه على كل الغيب، فهو يعلم من الغيب ما أطلعه الله عليه. وبعض شؤون يوم القيامة هو من الغيب، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)].

وقال أيضاً: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[(٢)].

٣- وأما قوله: «ولا يعلم ما له من المنزلة الرفيعة عند ربه!!» هذا إشكال قديم، تعرض للإجابة عنه بعض أهل العلم كابن الملقن، فذكر عدة إجابات:

١- أن النهى كان قبل أن يعلم أنه أفضل الأنبياء، ثم أعلمه الله، فقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[(٣)].

٢- أنه نهى عن تفضيلٍ يؤدي إلى الخصومة كما في الحديث مِنْ لطم المسلم اليهودي.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ (٤٧١٢)، ج٦، ص٨٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (٢٢٧٨)، ج٤، ص ١٧٨٢.

٣- أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله تواضعاً ولنفي الكبر والعجب.

٤- أنه نهى عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعض الأنبياء، لأنه كفر.

٥- أنه نهى عن التفضيل في النبوة نفسها لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[١]، وليس في ذوات الأنبياء، وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم، وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢][٣].

٦- أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك من أجل تقدير الأنبياء وعدم الاستهانة بمكانتهم ومنزلتهم. وفيه بيان فضل سيدنا موسى عليه السلام، فلكل نبي من أنبياء الله تعالى فضائله.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

(٣) انظر ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج١٥، ص٤٧٠.

المطلب الثاني:

حديث مانع زكاة الأنعام، وحديث الشجاع الأقرع.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي الغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا[١]، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا»

وَقَالَ: «وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى المَاءِ»

قَالَ: «وَلاَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ[٢]، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ، وَلاَ يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ[٣] فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ»[٤].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ

---

(١) الظِّلْف للبَقَر والغَنَم كالحافِر للفَرس والبَغْل، والخُفّ للبَعِير، قاله ابن الأثير، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط١، ٥م، (تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي)، المكتبة العلمية، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٥٩.

(٢) اليُعار أكثر ما يقال لصوت المعز، انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٢٩٧.

(٣) الرغاء: صوت الإبل، انظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٢)، ج٢، ص١٠٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٩٨٧)، ج٢، ص٦٨٠.

يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ[(١)] يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ – ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾[(٢)]» الآيَةَ[(٣)].

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي ما مفاده:

١- نحن عاجزون عن مناقشة هذا الحديث وأمثاله بأسلوب علمي جاد؛ لأنه لا يمكن قياسه بأي مقياس علمي، وأن قبوله أو رفضه أمر متعلق بالضمير والذوق السليم، ومتعلق بمقدار الوعي الثقافي والحضاري للمسلم!

٢- لم نكن نعلم أن الإبل والأغنام سيكون لها دور في تنفيذ العقوبات يوم القيامة للذين لم يدفعوا زكاتها في الدنيا.

٣- لا ندري عن القوة التي سيمنحها الله لمانع الزكاة يوم القيامة حتى يستطيع أن يحمل هذه الإبل على رقبته! وكم من العض والنطح سيواجه بعد أن يحملها على كتفه؟!

٤- إن تصورات الصحابة لم تتجاوز بدائيتهم في التفكير بواقع الحياة التي عاشوها والتي تملأ فيها الصحراء والإبل والغنم الجزء الأكبر من مساحات المعرفة لديهم. فانسحب ذلك على تفكيرهم بمجريات يوم القيامة، ولم تستطع عقولهم استيعاب أي شكل من أشكال الحساب والعقاب والثواب

---

(١) الشجاع بالضم والكسر: الحية الذكر. وقيل الحية مطلقاً. والزَّبِيبَةُ: نُكْتَة سوداءُ فوقَ عَيْنِ الحَّية. وقيل: هُما نُقْطَتان تكْتَنِفان فَاهَا. وقيل: هُما زبَدَتَان فِي شِدْقَيها. انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٩٢ و ٤٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٣)، ج٢، ص١٠٦. وهو في صحيح مسلم لكن من حديث جابر مطولا، انظر صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٩٨٨)، ج٢، ص٦٨٤.

خارج هذه الأطُر التي يعرفونها ويمارسونها! ولو أنهم تناولوا مثل هذه الأفكار في قصصهم وأساطيرهم لما كان لنا معهم كلام، ولكنهم أسندوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتهموه بما لم يقله، فحق علينا ردهم والاعتراض عليهم(١).

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- الطاعن يعترف بأن ردَّه لمثل هذه الأحاديث لا يعتمد على أسس علمية ولا منطقية، فهو وأمثاله من الشيعة والعقلانين يردُّون الأحاديث تبعاً لذوقهم الذي يزعمون أنه سليم!!

وأقول: إن عقول من سبقكم من أهل العلم من سلف هذه الأمة -وهم ألوف أو يزيد- أفهم من عقولكم، وأذواقُهم أحسن وأسلم من أذواقكم، حيث فهموا هذه الأحاديث وقبلوها، وقد شهد لهم بالصلاح والعلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خيرُ الناس قَرْني، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم»(٢).

وخيريتُهم خيريةُ إيمان وعلم معاً(٣)، فهم أهلُ العربية والبلاغة، وهم مَنْ شَهِدَ التنزيلَ وعَلِمَ مراميَه، أفأضرب عنهم صفحاً، ثم أقبل بعقولكم السليمة!!

٢- وأما قوله بأن لهذه الأنعام دوراً في تعذيب صاحبها الذي منع زكاتها، فما الإشكال في

---

(١) انظر العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢)، ج٣، ص١٧١، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣)، ج٤، ص١٩٦٣، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) بدليل حديث أنس بن مالك، وفيه: «وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل...» أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، (٣٧٩١)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضائل زيد بن ثابت، رقم (١٥٤)، وإسناده صحيح.

ذلك؟ وهو أمر لا يستحيل عقلاً ولا شرعاً، ألم يقل ربّنا عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)

وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٢)

يقول ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكماً، كما في قوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾(٣) أي: هذا بذاك، وهو الذي كنتم تكنزون لأنفسكم؛ ولهذا يقال: من أحبَّ شيئاً وقدَّمه على طاعة الله عُذب به.

وهؤلاء لما كان جمعُ هذه الأموال آثرَ عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها، كما كان أبو لهب – لعنه الله– جاهداً في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامرأته تعينه في ذلك، كانت يوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ٣٤ و٣٥.

(٣) سورة الدخان، الآيتان ٤٨، ٤٩

القيامة عوناً على عذابه أيضاً ﴿فِى جِيدِهَا﴾ أي: في عُنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه، ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه -كان- في الدنيا، كما أن هذه الأموال لما كانت أعزَّ الأشياء على أربابها، كانت أضرَّ الأشياء عليهم في الدار الآخرة، فيُحمى عليها في نار جهنم - وناهيك بحرِّها- فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم»[١].

٣- وأما استفساره عن القوة التي سيُمنحها هذا المعذب، فالجواب أنه لو منح القوة لحمل هذه الأنعام لحملها ومشى بها، وانتهى الأمر، لكنه لن يُمنح أيَّ قوة بالطبع، وكلما جاء ليحملها وطئته وعضَّته وداسته بأرجلها إلى أن يقضى بين العباد، كما في رواية مسلم «كلَّما مرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخراها، في يوم كان مِقدارُه خمسينَ ألف سنة، حتَّى يقضيَ الله بين العباد، ويَرَى سبيلَه إمّا إلى الجنَّة وإمّا إلى النار»[٢]

٤- يدعي هذا الطاعن أن هذا الحديث رواه أحد الصحابة، فصاغه من بنيات أفكاره، ومن واقع بيئته التي يعيش فيها، والواقع أن هذين الحديثين لم ينفرد بروايتهما أبو هريرة ﷺ، بل رواهما غيره من الصحابة الكرام، فالحديث الأول شارك أبا هريرة في روايته جابرُ بن عبدالله فيما أخرجه مسلم[٣].

والحديث الثاني شارك أبا هريرة في روايته جمعٌ من الصحابة الكرام، هم:

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٤١.

(٢) سبق تخريجها أول المطلب ص ١٠٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٩٨٨)، ج٢، ص٦٨٤.

جابرٌ عند مسلم[١]، وابنُ مسعود عند الترمذي والنَّسائي وابن ماجه[٢]، ومعاويةُ بن حكيم عند أبي داود والنَّسائي[٣]، وابن عمر عند النَّسائي[٤]، وثوبان عند ابن خزيمة وابن حبان[٥].

فرواية هذا الجمع من الصحابة للحديث يدلُّ على ثبوته، ويُلزمنا بقبوله، ويمنع من ردّه وتضعيفه، والسقم ليس في الحديث، وإنما في فهم من ردَّ الحديث وفي عقله.

---

(١) المصدر السابق، الكتاب والباب ذاتهما، (٩٨٨)، ج٢، ص٦٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١٢)، ج٥، ص٢٣٢، والنسائي في المجتبى، كتاب الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة (٢٤٤١)، ج٥، ص١١، وابن ماجه في السنن، كتاب الزكاة، باب ما جاء في منع الزكاة (١٧٨٤)، ج١، ص٥٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن، أبواب النوم ، باب في بر الوالدين، بإثر الحديث (٥١٣٩)، ج٤، ص٣٣٦، والنسائي في السنن، كتاب الزكاة، باب من يسأل ولا يعطي (٢٥٦٦)، ج٥، ص٨٢.

(٤) أخرجه النسائي في السنن، كتاب الزكاة، باب مانع زكاة ماله (٢٤٨١)، ج٥، ص٣٨.

(٥) أخرجه ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، ط١، ٤م، (تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ (٢٢٥٥) ج٤، ص١١. وابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط٢، ١٨م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، (٣٢٥٧)،ج٨، ص٤٩.

المطلب الثالث:

حديث إخراج آدم عليه السلام بعث النار.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةً وتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ»(١).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخُدري ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا ومِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا».

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٩)، ج٨، ص١١٠.

فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»(١).

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «الروايتان متعارضتان، حيث نصَّت إحداهما على نجاة واحد بالمئة من النار، في حين نصت الثانية على نجاة واحد بالألف.

كما أنهما أظهرتا أن الدخول إلى النار سيكون بالعدد والاختيار، وليس بالعمل والاختبار، حيث سيُسأل أبونا آدم عن العدد الذي يخرجه منهم ليبعثوه إلى جهنَّم، فيقال له تسع وتسعون، أو تسعمئة وتسع وتسعون. وهذه طريقة يأباها العقل، ولا يؤيدها النقل»(٢).

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- هذا التعارض الظاهر لم يخفَ على العلماء، ولو رجع هذا الطاعن إلى كتب الشروح قبل أن يصدر طعنه لوجد في شروح العلماء ما يُزيل هذا التعارض الظاهر، ومنهم الحافظ ابن حجر، فقد ذكرعدة أقوال في الجمع بينهما، منها:

١- أن مفهوم العدد لا اعتبار له، فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد، والمقصود من العددين واحد، وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين.

٢- يحمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم، فيكون من كل ألف واحد، ويحمل حديث أبي هريرة على ذرية آدم من عدا يأجوج ومأجوج، فيكون من كل ألف عشرة، بدليل أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨)، ج٤، ص١٣٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار (٢٢٢)، ج١، ص٢٠١.

(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص ١٩١.

٣- أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة، فيكون من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون كافراً، ومن كل مئة تسعة وتسعون عاصياً[١].

٢- قوله: إن الإدخال بالعدد والاختيار دون العمل والاختبار، هذا مغالطة، لأن الاختيار يكون ممن يستحق دخول النار، وليس فيهم الموحدون والصالحون.

وليس المقصود أن الاختيار يكون عشوائياً من غير تمييز بين الفريقين كما أوهم كلام الطاعن**!**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢].

---

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٢٠، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان ٣٥ و٣٦.

المطلب الرابع:

حديث إلجام العرق لبعض الناس يوم القيامة.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»(١).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن ابن عمر ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢) «حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»(٣).

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «عرق الناس يصل إلى سبعين ذراعاً في باطن الأرض، ثم يفيض حتى يصل آذانهم، لم نجد لذلك تخريجاً علمياً أو وجهاً منطقياً»(٤).

مناقشة الشبهة والرد عليها:

ليست هذه أول مرة يرد هذا الطاعن الأحاديث النبوية الغيبية المتعلقة باليوم الآخر والقيامة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول الله: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ (٦٥٣٢)، ج٨، ص١١١، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في صفة يوم القيامة (٢٨٦٣)، ج٤، ص٢١٩٦.

(٢) سورة المطففين، الآية ٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (٤٩٣٨)، ج٦، ص١٦٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة (٢٨٦٢)، ج٤، ص٢١٩٥.

(٤) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩١.

بمجرد كونها لا تنطبق مع عقله، ولا أول مرة يقيس فيها أمور الآخرة على مشاهداته الحسية المحدودة، وكأن قدرة الله يحيط بها عقله المحدود، أو كأن عقله يعلم ما وراء الطبيعة ويعلم الغيب، ويعلم ما أعده الله لأهل الجنة ولأهل النار؟!

ألا يخاف أن ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟![١].

هذا وقد شارك أبا هريرة وابنَ عمر في رواية الحديث المقدادُ بن الأسود –وهو ممن لا يكفِّره الشيعة، ويأخذون برواياته– وروايته عند مسلم، ولفظه: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» – قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ[٢]: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ – قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ[٣]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[٤].

فصار الحديث من رواية ثلاثة من الصحابة الكرام، فلا شك في ثبوته عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٩.

(٢) هو التابعي سليم بن عامر الكلاعي الخبائري الحمصي الذي رواه عن المقداد.

(٣) قال ابنُ بَرِّيٍّ: الحَقْوِ معقدُ الإزار ثُمَّ سُمِّيَ الإزار حَقْواً لأنه يُشَدُّ عَلَى الحَقْوِ. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة (٢٨٦٤)، ج٤، ص ٢١٩٦.

وقد أورد الحافظ ابن حجر هنا استشكالاً عقلياً: فقال: «واستُشكِلَ بأنَّ الجماعةَ إذا وقَفوا في الماءِ الذي على أرضٍ مُعتَدِلةٍ كانت تَغطيةُ الماءِ لهم على السَّواء، لكنَّهم إذا اختَلَفوا في الطّولِ والقِصَرِ تَفاوتوا، فكيفَ يكونُ الكلُّ إلى الأُذُنِ؟

والجوابُ: أنَّ ذلك من الخوارقِ الواقعة يومَ القيامة، والأَوْلى أن تكون الإشارةُ بمَن يَصِلُ الماءُ إلى أُذنَيه إلى غاية ما يَصِلُ الماء، ولا يَنفي أن يَصِلَ الماءُ لبعضِهم إلى دونِ ذلك». ثم استدل بحديث المقداد بن الأسود الذي أوردته وبغيره[1].

قلت: ليس بالضرورة أن يكون قانون سيلان السائل في الدنيا يجري على ما يكون يوم القيامة، فنحن نجد أن رواد الفضاء في انطلاقهم خارج الغلاف الجوي يحكمهم قانون يختلف عن قانون الأرض.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٢٠، ص٣٥٦.

المطلب الخامس:

حديث تكليم الله للناس يوم القيامة بلا ترجمان، وحديث إدناء المؤمن من كنف الله.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ مرفوعاً: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»(١).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ(٢) وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ.

وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٧٤٤٣)، ج٩، ص١٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٦)، ج٢، ص٧٠٣.

(٢) كَنَفَهُ: حاطه وصانه وبابه نصر، والكَنَفُ بالتحريك الجانب. انظر الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٤٢٤.

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[١]»[٢]

الشبهة:

أورد عبد الحسين العبيدي حديث عدي بن حاتم مع أحاديث أخرى تحت عنوان: إثبات الرؤية والحركة والأعضاء، ثم قال: «إن تلك الروايات اختصَّ كل منها بإثبات صفة، أو عضو، أو حالة محدودة، فمنها ما أشار إلى أن الله سيتكلم بصوت يسمعه البشر، ومنها ما ذكر أنه يغير مكانه ويتحرك، ومنها ما أثبت له صورة، ثم قدم، ثم ساق، ثم وجه ...

ثم يستعينون بعد ذلك بفهمهم الخاطئ لبعض آيات القرآن الكريم التي يوحي ظاهرها بوجود تلك الأعضاء، كقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾[٤]، وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[٥] وبذلك تمت لديهم الصورة، وأثبتوا لله تعالى كل الأعضاء والصفات والفعاليات التي يريدون»[٦].

وقال محمَّد النجمي: «الله جنباً إلى جنب عبده أخرج الشيخان في صحيحيهما، بأن الله يقف كتفاً

---

(١) سورة هود، الآية ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ (٢٤٤١)، ج٣، ص١٢٨، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨)، ج٤، ص٢١٢٠.

(٣) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٥) سورة القيامة، الآيتان ٢٢ و٢٣.

(٦) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢٠٠-٢٠١. وأما حديث ابن عمر فقد أورده العبيدي في ص٢٢٣، فأدرجته عقب حديث عدي بن حاتم لأن موضوعهما واحد.

إلى كتف عبده ومحاذياً إليه» وساق حديث ابن عمر[١].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- نفي مثل هذه الصفات هو مذهب المعتزلة، وتقدم الكلام في التمهيد أن الشيعة قلدت المعتزلة في الصفات.

ومسألة رؤية الله يوم القيامة سيأتي الجواب عنها في المطلب السادس، من المبحث الثاني، من الفصل الثاني[٢].

٢- قد ثبت في القرآن والسنة بأن الله عز وجل يتكلم، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٤]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[٥].

٣- من المعلوم قطعاً أن الذي سيحاسب الناسَ يوم القيامة هو اللهُ تعالى كما في آيات كثيرة، منها:

قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[٦]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) النجمي، محمد صادق، أضواء على الصحيحين، ط١، ١م، (ترجمة: يحيى كمالي البحراني)، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم، ١٤١٩هـ، ص١٦٥.

(٢) انظر ص١١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

(٦) سورة الرعد، آية ٤٠

حِسَابَهُم ﴾[١].

كذلك ذكرت الآيات كيف سيكون حساب المؤمنين وحساب غيرهم، فقال سبحانه في حق المؤمنين:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٢]، وقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[٣].

وما دام أن الله هو الذي سيحاسب الخلق فهو الذي سيتكلم معهم ويسألهم، وما حديث عدي بن حاتم إلا توكيد لما جاء في الآيات التي ذكرناها، وقريب من معنى حديث عدي بن حاتم حديث ابن عمر التالي، فلعل هذا الطاعن يريد من الله عزَّ وجلَّ أن يحاسب الناس بدون كلام، فما لهم كيف يحكمون؟!

٤- وأما الكلام على الساق والقدم، فسيأتي في المطلب الثامن، من المبحث الأول، من الفصل الثاني[٤].

وأما ما قاله النجمي: فلا أدري أفهم من إدناء الله عبده أنه يقف جنباً إلى جنب، وكتفاً إلى كتف؟! هذا تشغيب من النجمي، وإلا ففي الرواية نفسها الجواب، حيث قال: «فيَضَعُ عليه كَنَفَهُ

---

(١) سورة الغاشية، الايتان ٢٥ و٢٦.

(٢) سورة الانشقاق، الآيتان ٧و٨.

(٣) سورة الرعد، الآية ١٨.

(٤) ص١٣٩.

ويَسْتُرُهُ»، ولأنه سبحانه يريد أن يغفر لهذا العبد ذنوبه، ستره عن خلقه حين حاسبه، ثم قرَّره بذنوبه، فلما أقرَّ بها واعترف، غفرها الرحمن له. وهذا واضح مفهوم، لا يحتاج إلى كبير تفكير!

المطلب السادس:

حديثان في رؤية الله تعالى يوم القيامة.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن جرير بن عبدالله ﷺ قال: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[١][٢].

وفي رواية عنه ﷺ مرفوعاً: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»[٣].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس ﷺ مرفوعاً: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[٤].

---

(١) سورة ق، الآية ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (٤٨٥١)، ج٦، ص١٣٩، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما (٦٣٣)، ج١، ص٤٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٧٤٣٥)، ج٩، ص١٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ (٤٨٧٨)، ج٦، ص١٤٥، ومسلم

الشبهات:

طعن عبد الحسين العبيدي في هذين الحديثين من خلال النقاط التالية:

هذه الأحاديث تتعلق بتقرير رؤية الناس لله تعالى يوم القيامة رؤية العين، كما يرون البدر والشمس ليس دونهما سحاب.

١- فجميع هذه الأحاديث تتعارض مع قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[(١)]، وتتعارض مع كثير مما ورد في كتاب الله، كقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

٢- هذه الأحاديث فيها تجسيم لتعلق الرؤية بالأجسام المادية، وهذا ما اتفق العلم والعقل على رفضه، حتى عدها الكثير من العلماء إشراكاً بالله على أساس أن من ادعى رؤيته فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد جعل له أنداداً[(٣)].

وأما جعفر السبحاني فطعن في الحديث من خلال النقاط التالية:

في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (١٨٠)، ج١، ص١٦٣.

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩٧-١٩٨.

١- مسألة الرؤية من المسائل المستوردة من اليهود الذين كانوا يصرّون على موسى أن يريهم الرب في ميقاتهم، فنزل عليهم ما نزل.

ولما كان عليّ (عليه السلام) من المنكرين للرؤية والقائلين بالتنزيه، عمد مخالفوه إلى نقل روايات حول الرؤية عن الرسول صلى الله عليه وآله مقابلة له.

٢- هذه الرواية تخالف الذكر الحكيم حيث يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ويقول سبحانه مخاطباً لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولفظة «لن» في لغة العرب للتأبيد.

٣- تخالف أيضاً العقل الصريح الذي به عرفنا اللّه سبحانه، والذي يحكم بامتناع رؤيته لاستلزامها كونه جسماً أو جسمانياً، محاطاً واقعاً في جهة ومكان، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[(١)].

٤- تكلّم في قيس بن أبي حازم، فقال: «وقيس بن أبي حازم كان من مناوئي علي عليه السلام ومخالفيه. يقول ابن حجر[(٢)]: وقد تكلّم أصحابنا فيه فمنهم من رفع قدره وعظّمه وجعل الحديث عنه من أصح الاسناد، ومنهم من حمل عليه، وقال: له أحاديث مناكير، والذين أطروه حملوا هذه الأحاديث على أنّها عندهم غير مناكير، وقالوا: هي غرائب. ومنهم من حمل عليه في مذهبه وقالوا: كان يحمل على عليٍّ، والمشهور عنه أنّه كان يقدّمُ عثمان، ولذلك تجنب كثير من قدماء الكوفيين

---

(١) انظر السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص ٢٤٣.

(٢) هذا الكلام ليعقوب بن شيبة، وليس لابن حجر، فقد سقط أول الكلام من الطبعة الهندية القديمة لتهذيب التهذيب، فظنَّ الطاعن أن الكلام لابن حجر، وجاء على الصواب عند المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف الكلبي (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط١، ٣٥م، (تحقيق بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢٤، ص١٣-١٤.

الرواية عنه.

مناقشة الشبهات والرد عليها:

هذا القول هو قول المعتزلة وتبعتهم الشيعةُ عليه، يقول أبو الحسن الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار»[١].

ويقول ابن تيمية: «هذه الأحاديث وغيرها في الصحاح؛ وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول؛ واتفق عليها أهل السنة والجماعة؛ وإنما يكذب بها أو يُحرِّفها **الجهمية** ومن تبعهم من **المعتزلة والرافضة** ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة»[٢].

ورؤية الله تعالى يوم القيامة محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة، لم يختلفوا فيها قطٌّ، قال ابن تيمية: «الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف، وأمثال هؤلاء، وسائر أهل السنة والحديث، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والأشعرية والسالمية وغيرهم، فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى **والأحاديث بها متواترة** عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثه»[٣].

حتى حكم الإمام أحمد بالكفر على من أنكرها، فقال: «من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فقد

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٣١.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣، ص٣٩١.
(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٢، ص٣١٦.

كفر وكذَّب بالقرآن، وردَّ على الله تعالى أمره، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»[١].

وقال ابن تيمية: «والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر»[٢].

وسبب ذلك وجود الآيات والأحاديث المتواترة في رؤية الله يوم القيامة، كما نقلنا عن ابن تيمية.

وقد أحصى ابن القيم أحاديث الرؤية، فأوصلها إلى حوالي ثلاثين حديثاً، وقال: «الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية متواترة»[٣].

١- أما طعنه الأول فقد كفانا مؤنة الرد عليه الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله، فقد فنَّد شبههم من جميع الوجوه المحتملة، وسأنقله لجودته بتمامه، قال رحمه الله: «قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني مشرقة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤] يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

[١] إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٥].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٦، ص٥٠٠-٥٠١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٦، ص٤٨٦.

(٣) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، ط١، ام، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٩٦.

(٤) سورة القيامة، الآية ٢٢.

(٥) سورة الغاشية، الآية ١٧.

[٢] أو يكون عنى نظر الانتظار، كقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[(١)].

[٣] أو يكون عنى نظر التعطف، كقوله تعالى: : ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[(٢)].

[٤] أو يكون عنى نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: " انظر في هذا الأمر بقلبك "، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار؛ الذي يكون للقلب، وأيضاً فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر الانتظار، أنه قال:

---

(١) سورة يس، الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٧.

﴿إلى ربها ناظرة﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بقوله: «إلى»؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار «إلى»، ألا ترى أن الله تعالى لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ لم يقل: «إلى»؛ إذ كان معناه الانتظار.

وقال عز وجل مخبراً عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾(١)، فلما أرادت الانتظار لم تقل: «إلى».

وقال امرؤ القيس:

فإنكما إنْ تنظرانيَ ساعةً من الدهر تنفعْني لدى أمِّ جندب(٢).

فلما أراد الانتظار لم يقل: «إلى»، فلما قال سبحانه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.

ولما قرن الله عز وجل النظرَ بذكر الوجه؛ أراد نظرَ العينين اللتين في الوجه، كما قال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾(٣)، فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينظر نزول الملك عليه، يصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

فإن قيل: لم قلتم: إن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد إلى ثواب ربها ناظرة؟ قيل له: ثواب

---

(١) سورة النمل، الآية ٣٥.

(٢) امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، ديوان امرِئ القيس، ط١، ١م، (تحقيق عبدالرحمن المصطاوي)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٤

الله غيره، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة. والقرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره.

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صلوا لي واعبدوني، لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره؛ فلذلك لما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة، فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أراد بها لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا مما لا يقدرون على الفرق فيه»(١).

ثم استدل أبو الحسن الأشعري بأدلة أخرى انتزعها من الآيات على رؤية الله تعالى يوم القيامة، منها:

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٢)، قال أهل التأويل: النظر إلى الله عز وجل، ولم يُنعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له.

وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾(٣)، وإذا لقيه المؤمنون رأوه.

---

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت٣٢٤ هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، ط١، ١م، (تحقيق فوقية حسين محمود)، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ. ص٣٥-٤١.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٤.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[١]، فحجبهم عن رؤيته، ولا يحجب عنها المؤمنين[٢].

٢- وأما زعمُ الطاعن بأن رؤية الله تجسيمٌ لأنها تحدُّ الله بزعمه، فأقول: إن أول من تكلم بالجسم نفياً وإثباتاً هم طوائف من الشيعة والمعتزلة، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]. وهذا إنما يقولونه لتخويف الناس من إثبات صفات الله تعالى. فكل من يُثبت صفات الله التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسولُه صلى الله عليه وسلم، يقولون له: أثبتَ لله جسماً، فأنت مُشبِّه!

والجواب عن الحديث هو ما ذكره ابن تيمية، فقال: «قد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك – ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به» فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به وهو آية من آيات الله؛ فالله أكبر»[٤] أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي

---

(١) سورة المطففين، الآية ١٥

(٢) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص٤٥-٤٦، بتصرف يسير.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ط١، ١٠م، (تحقيق مجموعة من المحققين)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٦هـ، ج١، ص٢٩٠.

(٤) أخرجه أحمد، المسند (١٦١٨٦)، ج٢٦، ص١٠٥، وفي سنده وكيع بن حُدُس -بضمتين- فيه جهالة، تفرد بالرواية عنه يعلى بن عطاء، ولم يوثقه أحد غير ابن حبان، فذكره في «الثقات» ج٥، ص٤٩٦، وصرح بتوثيقه في كتابه «مشاهير علماء الأمصار» ص ٢٠٠، فقال فيه: من الأثبات، وقال الجوزجاني في «الأباطيل» ج١، ص٣٨٥: صدوق صالح الحديث. كما أن هذا الحديث يرويه وكيع بن عدس عن عمه، فمثله لا أقل من أن يعتبر بحديثه.

مشابهاً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجَوه كلٌ يراه فوقه قِبلَ وجهه؛ كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلاً. ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله، يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد»[١].

وأما مطاعن جعفر السبحاني:

١- جعل الطاعنُ طلبَ اليهود رؤيةَ الله في الدنيا هو سببَ ورود حديث أن أهل الجنة سيرون الله في الآخرة؟ ولا أدري ما وجه الربط بينهما؟

ومع ذلك أقول: هل الذي يعلق إيمانه برؤية الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٢] كالذي يؤمن بالغيب ويطيع أوامر الله دون أن يطلب رؤية الله؟ لا شك أن النتيجة ستكون مختلفة، وهي أن الله تعالى سوف يكافئه ويكرمه بالجنة ومن ثم برؤية وجهه الكريم، لأنه أطاعه بالغيب، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣].

٢- جعل الطاعن مسألة إثبات الرؤية هي مسألة مخالفة لسيدنا علي الذي كان ينفي رؤية الله يوم القيامة بزعم هذا الطاعن، وأن الصحابة الكرام عمدوا إلى مخالفته، فرووا روايات تثبت رؤية الله يوم القيامة ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٥، ص١٠٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٥٥.

(٣) سورة يونس، الآية ٢٦.

ونحن نطالبه بأن يأتي بسند صحيح عن سيدنا علي بن أبي طالب بأنه ينفي الرؤية، ولكن هيهات!

وكما قدمنا أن أحاديث الرؤية متواترة رواها حوالي ثلاثين من الصحابة، فلا يصحُّ أن يتفقوا كلهم على رواية أحاديث لأجل مخالفة علي بن أبي طالب فقط، مع العلم بمعرفتهم التامة بحكم من ينسب حديثاً كذباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهم الذين رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»(١).

٣- ثم نقل الطاعن كلاماً في قيس بن أبي حازم بأنه كان مناوئاً لسيدنا علي، ونقل ما يجرح ثقته وعدالته ليوهنه.

أقول: إن ما نقله الطاعن من الكلام عن ابن حجر -وهو في الحقيقة ليعقوب بن شيبة- في قيس بن أبي حازم، كلام مبتور، وإليك كامل كلامه كما أورده المزي(٢):

«قال يعقوب بن شيبة السدوسي: وقيس من قدماء التابعين وقد روى عن أبي بكر الصديق فمن دونه وأدركه وهو **رجل كامل**، ويُقال: إنه ليس أحد من التابعين جمع أن روى عن العشرة مثله إلا عبدالرحمن بْن عوف فإنا لا نعلمه روى عنه شيئاً.

ثُمَّ قد روى بعد العشرة عن جماعة من أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم وكبرائهم، وهو **متقن الرواية**. وقد تكلَّم أصحابنا فيه فمنهم من رفع قدره وعظَّمه، وجعل الحديث عنه من أصحَّ

---

(١) هذا الحديث متواتر، رواه أكثر من ستين نفساً من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ) معرفة أنواع علوم الحديث، ط١، ١م، (تحقيق نور الدين عتر)، دار الفكر، سوريا، ١٩٨٦م، ص٢٦٩.

(٢) المزي، تهذيب الكمال في أسماء، ج٢٤، ص١٣-١٤.

الإسناد، ومنهم من حمل عليه وقال: له أحاديث مناكير. والذين اطروه حملوا هذه الأحاديث عنه على أنها عندهم غَيْر مناكير، وقالوا هي غرائب، ومنهم من لم يحمل عليه في شيء من الحديث وحمل عليه في مذهبه، وقَالوا: كانَ يحمل على علي رحمة الله عليه وعلى جميع الصحابة، والمشهور عنه أنه كان يقدم عثمان، ولذلك تجنب كَثِير من قدماء الكوفيين الرواية عنه. ومنهم من قال: إنه مع شهرته لم يروِ عنه كبير أحد، **وليس الأمر عندنا كما قال هؤلاء**، وقد روى عنه جماعة منهم: إسماعيل ابن أَبي خالِد -وهُو أرواهم عنه، وكان ثقة ثبتاً- وبيان بْن بشر -وكان ثقة ثبتاً- وذكر آخرين، ثُمَّ قال: كل هؤلاء قد روى عنه».

فأنت ترى أن الحافظ يعقوب بن شيبة أثنى على قيس ووثقه، ودفع كلام من طعن فيه. وسأنقل بقية أقوال أهل العلم في الجرح والتعديل(١) بما قالوا عنه:

وثقه ابن معين، وقال: «قيس بن أبي حازم **أوثق من الزهري** ومن السائب بن يزيد».

وقال ابن خِراش : «قيس بن أبي حازم **كوفي جليل**، وليس فى التابعين أحد روى عن العشرة إلا قيس بن أبى حازم».

وقال إسماعيل بن أبي خالد: «حدثنا قيس بن أبي حازم هذه الأسطوانة يعني أنه **في الثقة مثل الأسطوانة**». وقال: «كبر قيس بن أبي حازم حتى جاز المئة بسنين كثيرة حتى **خرف وذهب عقله**».

وقال أحمد: «**أفضل التابعين:** قيس وأبو عثمان وعلقمة ومسروق، هؤلاء كانوا فاضلين، ومن

---

(١) الأقوال المذكورة استقيتها من المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٢٤، ص١٣-١٦، ومن ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص٤٤٤، وما كان خارجاً عنهما ذكرت مصدره.

علية التابعين»[١].

وقال أبو داود: «**أجود التابعين إسناداً** قيس بن أَبي حازم. روى عن تسعة من العشرة».

وقال يحيى بن سعيد: «قيس بن أبي حازم منكر الحديث، ثم ذكر له يحيى أحاديثَ مناكير منها حديث كلاب الحوأب».

قال ابن حجر: ومراد القطان بالمنكر **الفرد المطلق**.

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «**ثقة حجة**، كاد أن يكون صحابياً ... **لا ينكر له التفرد في سعة ما روى**، من ذلك حديث كلاب الحوأب ... **أجمعوا على الاحتجاج به**، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه»[٢].

وقال في كتابه «من تُكلم فيه وهو موثَّق»: **ثقة عندهم** إلا ما روى ابن المديني عن القطان قال: منكر الحديث، ثم ذكر أحاديث، **فلم يصنع شيئاً، قيس حجة**[٣].

فإذا نظرنا في أقوالهم وجدنا جميع الكبار وثقوه أحمد وابن معين وأبو داود ويعقوب بن شيبة وابن خراش، وتكلم يحيى القطان في غرائبه، ولم يتكلم في حفظه، ووضَّح ابنُ حجر أن المقصود بها التفرد المطلق، وهذا لا يُستغرب في حقِّ المكثرين كما قال الذهبي، فما من مكثر إلا وله غرائب يتفرَّد بها حتى الزهري، فكان ماذا؟!

---

(١) ابن عبد الهادي، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي (ت ٩٠٩هـ)، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، ط١، ١م (تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١١٠.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٣، ص٣٩٣.

(٣) الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، من تكلم فيه وهو موثوق أو صالح الحديث، ط١، ١م، (تحقيق عبدالله بن ضيف الله الرحيلي)، ٢٠٠٥م، ص٤٣٤-٤٣٥.

وقضية ما أصابه من خرف عند الكبر، فلا يضرُّه لأنه حال كبره لم تؤخذ عنه الرواية. لذلك قال الذهبي: أجمعوا على الاحتجاج به.

ثم لو افترضنا جدلاً بصحة هذا الكلام في قيس، فلا يضعف الحديثُ البتة، لأنه حديث متواتر جاء من طرق كثيرة جداً كما قدمتُ، والحمد لله رب العالمين.

المطلب السابع:

حديثان في اتباع كل أمة ما كانت تعبد، وانتظار المؤمنين رؤية ربهم عز وجلّ.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ(١) فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو...»

---

(١) تمارون بضم الفوقية وتخفيف الراء، إما أن تكون من المِراء، فيكون المعنى: هل تجادلون في ذلك؟ أو من المرية بضم الميم وكسرها، وهي الشك والجدل، فالمعنى: هل يدخلكم فيه شك؟ انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٧٧. وانظر ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢٠، ص ٤٧٦.

الحديث[١].

الحديث الثاني:

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ[٢] فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لاَ، قَالَ «وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا.

إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إلا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعبدالله بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، ج١، ص١٦٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢)، ج١، ص١٦٣. ولهذا الحديث تتمة ستأتي في المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار من الفصل الثالث ص١٧٦، ويأتي الكلام عليها هناك إن شاء الله.

(٢) رُوِي هَذَا الحرفُ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ الضُّرّ، أَي لا يَضُرُّ بعضُكم بَعْضاً، ورُوِيَ تُضارُونَ، بِالتَّخْفِيفِ، مِنَ الضَّيْرِ. وَمَعْنَاهُمَا واحدٌ؛ ضارَهُ ضَيْراً فضرَّه ضرّاً، وَالْمَعْنَى لا يُضارُّ بعْضُكم بعضاً فِي رُؤْيَتِهِ أَي لا يُضايقُه ليَنْفَرِدَ برُؤْيَتِه. والضرَرُ: الضيِّقُ. وقِيلَ: لا تُضارُّون فِي رُؤْيَته أَي لا يُخالِفُ بعضُكم بَعْضًا فيُكَذِّبُه. يُقَالُ: ضارَرْت الرجُلَ ضِراراً ومُضارَّةً إِذا خالَفْته. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٨٦.

كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ.

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعبدالله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»(١).

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي تحت عنوان «رؤية الله لم تكن الأولى»: «وهو ما نصت عليه الروايتان، حيث ورد في الأولى: «فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا..» وورد في (الثانية): «أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها..»

إن هذين النصين يقتضيان أنهم سبق لهم رؤيته، لأنهم لم يتعرّفوا عليه حين ظهر لهم أول مرة، إنما حصل ذلك في ظهوره الثاني .. فمتى رأوه؟ وبمَ ميزوه؟»

ثم أورد حديث الساق «يكشف ربنا عن ساقه»، وقال: «فالعلة هنا إذن في الساق»(٢).

مناقشة الشبهة والرد عليها:

لأهل العلم في آيات الصفات وأحاديثها مذهبان:

أحدهما – وهو مذهب السلف الصالح–: أن نمرَّها بلا كيف، مع إثبات معناها بما يليق بجلال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ (٤٥٨١)، ج٦، ص٤٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣)، ج١ ص١٦٧.

(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩٦.

الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا بأن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزّه عن المشابهة والمماثلة لسائر صفات المخلوقين.

والقول الثاني -وهو مذهب معظم المتكلمين-: أنها تتأول على ما يليق بها، على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع في العلم.

وإلى القول الأول ذهب متقدمو المحدثين والحنابلة، يقول الترمذي بعدما روى الحديث: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهلُ الحديث أن يرووا هذه الأشياءَ كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسَّر، ولا تتوهَّم، ولا يقال: كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه. ومعنى قوله في الحديث: «فيعرفهم نفسه» يعني: يتجلى لهم»[(١)].

ويقول ابن تيمية: «والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل، وغير ذلك من الأفعال اللازمة، قال أبو عمرو الطلمنكي: أجمعوا – يعني: أهل السنة والجماعة – على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء. قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ

---

(١) الترمذي، السنن، كتاب أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٢٥٥٧)، ج٤، ص٦٩١.

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(٢)]»[(٣)].

ويقول الحافظ ابن حجر في تفسير رواية الترمذي المذكورة: «وقوله في هذه الرِّواية: «فيُعرِّفهم نفسَه» أي: يُلقي في قلوبهم عِلماً قطعيّاً يَعرِفونَ به أنَّه ربّهم سبحانه وتعالى»[(٤)].

وعلى المذهب الثاني؛ مذهب التأويل، فسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث بعدة أقوال:

قال الخطابي: «وتخريج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يُشهدهم رؤيته ليثبتوه، فتكون معرفتهم له في الآخرة عياناً، كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علماً واستدلالاً، ويكون طروء الرؤية بعد أن لم تكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه فيه قبل.

ويشبه أن يكون – والله أعلم – إنما حجبهم عن تحقيق الرؤية في الكَرَّة الأولى حتى قالوا: «هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا» من أجل مَن معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عند ربهم محجوبون، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه: «أنت ربّنا».

وقد يحتمل أن يكون ذلك قول المنافقين دون المؤمنين، وهذا وإن لم يكن مذكوراً في الحديث فالمعنى يرشد إليه، والفحوى تدلُّ عليه. وقد يستدل على المراد بسياق الكلام وبمقدماته وبفحواه»[(٥)].

وقال القاضي عياض: «هذا الملك هو الذي جاءهم فى الصورة التي أنكروها من سماتِ الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق، أو يكون: «يأتيهم الله في صورة» أي: يأتيهم بصورةٍ ويُظهرها لهم

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٢) سورة الفجر، الآية ٢٢.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٥، ص ٥٧٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢٠، ص٤٨٨.

(٥) الخطابي، أعلام الحديث، ج١، ص٥٢٥.

من صور ملائكته أو مخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله والخالق، ليمتحنهم ويختبر صحة إيمانهم، وهذه آخر امتحان المؤمنين ليميز الله الخبيث من الطيب، وليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما ضمن لهم فى كتابه، وإذا قال لهم هذا الملكُ أو هذه الصورةُ التي عرضها عليهم: أنا ربكم، رأوا عليه من دليل الحدَثِ وسيما الخِلقة ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس بربهم، ويستعيذون بالله منه، كما جاء في الحديث: «ويقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه».

ثم قال: «والصورة قد ترجع في اللّسان إلى معنى الصفة ومعنى الحقيقه، كقولهم: صُورَةُ هذا الأمرِ وصورة الحديث كذا، أي: حقيقته وصفته، وإليه يرجعُ قولهُ: «الصورة التي رأوه فيها أولاً» أي: علموه من تنزيههِ وتقديسه، واعتقدوه من أنه لا يشبُهُهُ شيء».

ثم قال: «كله – إن شاء الله – راجع إلى عظيم ما أراهم من عجائب قدرته وباهر سلطانِه، فأراهم أولاً ما امتحنهم به حتى ظهر صحةُ إيمانهم ويقينهم ومعرفَتِهم، ثم قلب لهم ذلك وحوّل محنتهم بأمانِهِم وفتنتهُم بتثبيتهم، وأظهر لهم من حقيقة سلطانه وباهر آياته وعظيم ملكوتهِ ما لا يشكون فى صحتِه، ويستدلُون على أن ذلك الذى عرفوه وحققوه قبل له ولا يليق بغيره، فيتجلى لهم عند ذلك فيقولُ: أنا ربُكُم، فيقولون: أنت ربُّنا»(١).

قلت: وقع في رواية أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة: «ثمَّ يَطلُع عزَّ وجلَّ عليهم فيُعرِّفُهم

---

(١) عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج١، ص٥٤٥–٥٤٨. وبنحو قول عياض قال من قبله كابن بطال في شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص٤٦٣، ومن بعده كالنووي في شرحه لمسلم، ج٣، ص١٩، والقرطبي في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ج٢، ص٧٤٤، وغيرهم من الشراح.

نفسَه، ثمَّ يقول: أنا رَبّكم فاتَّبِعوني، فيَتبعُه المسلمونَ»[١].

وأما حديث الساق الذي أورده الطاعن، وقال فيه: «العلة هنا إذن في الساق»: فهو الآتي في المطلب التالي.

---

(١) ابن حنبل، المسند (٨٨١٦)، ج١٤، ص٤١٣-٤١٥، والترمذي، السنن، كتاب أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٢٥٥٧)، ج٤، ص٦٩١. وقال الترمذي: حسن صحيح.

المطلب الثامن:
حديث الكشف عن الساق.

الحديث الثالث عشر:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عن سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»(١).

---

(١) هذا الحديث انفرد سعيد بن أبي هلال بروايته عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، بجعل الساق مضافة إلى الله عز وجل، وقد رواه أربعة غيره عن زيد بن أسلم من دون إضافة الساق إلى الله تعالى.

أما طريق سعيد بن أبي هلال المذكورة أعلاه فأخرجها البخاري (٤٩١٩) ج٦، ص١٥٩، و(٧٤٣٩) ج٩، ص١٢٩، ومسلم بإثر (١٨٣) ج١، ص١٦٧، وأبو عوانة في «المستخرج» (٤٣٣)، وابن منده في «الإيمان» (٨١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٥). ولم يسق مسلم لفظه. ووقع في رواية أبي عوانة لفظة الساق من دون إضافة.

وأما الطرق الأربعة التي روته بدون إضافة الساق، فهم: خارجة بن مصعب عند الطيالسي (٢٢٩٣)، وعبدالرحمن بن إسحاق عند أحمد (١١١٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» ج٢، ص٤٢١، وحفص بن ميسرة عن مسلم (١٨٣) ج١، ص١٦٧، وابن منده في «الإيمان» (٨١٨)، وهشام بن سعد عند مسلم (١٨٣) ج١، ص١٧١، وابن أبي عاصم (٦٣٥)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» ج١، ص٣٧٧ وج٢، ص٤٣٢، وأبو عوانة في «المستخرج» (٤٣٠) و(٤٣١)، وابن منده في «الإيمان» (٨١٦)، وفي «الرد على الجهمية» (٢)، والحاكم (٨٧٣٦)، وأبو نعيم في «المستخرج» (٤٨٥)، أربعتهم (خارجة وعبدالرحمن وحفص وهشام) عن زيد بن أسلم، به، بلفظ: «عن ساق»، من دون إضافة.

ونقل الحافظ في «فتح الباري» ج١٤، ص٤٥٤-٥٥٤ عن الإسماعيلي أن في لفظة «ساقه» يعني التي بالإضافة: نُكرة. ثمَّ أخرجه الإسماعيلي من طريق حفص بن مَيسَرة عن زيد بن أسلم بلفظ: «يَكْشِفُ عن ساقٍ»، وقال: هذه أصحّ لموافَقَتِها لفظ القرآن في الجملة.

وفي الباب عن عبدالله بن مسعود عند عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٦٣). لكن وقع عند بعض من أخرجه كالمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨)، والحاكم (٣٤٢٤)، وسنده حسن.

وعن أبي هريرة عند الدارمي (٢٨٤٥)، وفيه: «... فيقولُونَ: إذا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا، عَرَفْنَاهُ، **فَيَكْشِفُ لَهُمْ عن سَاقِهِ** فَيَقَعُونَ

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «العلة هنا إذن في الساق، ولا بد أن تكون لديهم علامة فيها ميَّزوه بها وتأكدوا من أنه هو[١]، فخروا له ساجدين!!

أفتكون تلك العلامة المميزة هي أثر ضربة سهم النمرود التي تتحدث عنها روايات بني إسرائيل؟ فلما رأوها اقتنعوا!!

فهل بعد هذا اللغو من كلام؟ إلا أن نستغفره تعالى ونعوذ به من شر ما يدعي الجاهلون»[٢].

ويقول محمَّد النجمي: «تأمل في حديث الساق: يتضح من هذين الحديثين أن إحدى علامات معرفة الله في يوم القيامة هو الساق، وما دام الله تعالى لم يكشف عن ساقه يظل المؤمنون في حالة شك وتحيُّر وتردُّد بالنسبة إلى وجوده تعالى، ويظهر لك الأمر جلياً لو تأملت في نص الحديثين. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً»[٣].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

هذا الحديث الذي رواه الشيخان يثبت ظاهره الساق لله تعالى، لذلك عدَّ بعضُ أهل العلم هذا

سُجُودًا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يَبْقَى كُلُّ مُنَافِقٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ يَقُودُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ» وفي سنده يونس بن بكير فيه كلام، لكن يصلح في المتابعات والشواهد، وشيخه محمد بن إسحاق، صدوق حسن الحديث، وقد صرح بسماعه من شيخه، فانتفت شبهة تدليسه. لكن يعكر على ذلك، أن الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٢) من الطريق نفسه، الساقُ فيه غير مضافة. وانظر ما أورده الذهبي في الباب في كتابه « كتاب الأربعين في صفات رب العالمين» ص١١٦ فما بعدها.

(١) يعني الله تبارك وتعالى.

(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩٦.

(٣) النجمي، أضواء على الصحيحين، ص١٧٣.

الحديثَ تفسيراً للآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[١]، والبعض لم يعدّه تفسيراً لها، وتمسك بظاهر الآية التي جاءت مطلقة من غير إضافة، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «الصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية هل المراد به الكشف عن الشدة، أو المراد به أنه يكشف الربُّ عن ساقه. ولم يتنازع الصحابةُ والتابعون في ما يذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية، بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٢]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٣] ونحو ذلك، فإنه لم يتنازع فيها الصحابةُ والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفةً لله تعالى؛ لأنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، ولم يقل: «عن ساق الله»، ولا قال: «يكشف الربُّ عن ساقه»، وإنما ذكر ساقاً منكَّرة غير معرَّفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرَّده لا يدلُّ على أنها ساقُ الله.

والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرَّج في «الصحيحين» الذي قال فيه فيكشف الربُّ عن ساقه».

وسأورد أقوال أهل العلم في ذلك:

١- ومن هنا ذهب غير واحد من السلف إلى إمرار الحديث على ظاهره من غير تشبيه ولا تكييف، وقالوا: قراءته تفسيره. وممن قال بهذا الحديث ابن مسعود رضي الله عنه[٤].

وقال الخطابي: «هذا الحديث مما تهيَّب القولَ فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه، ولم

---

(١) سورة القلم، الآية ٤٢.

(٢) سورة ص، الآية ٧٥.

(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٧.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسير» (٣٢٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ج٢، ص١٨٥، وأبو يعلى الفراء في «إبطال التأويلات» (١٦١)، من طريقين عن ابن مسعود، وكلا الطريقين فيها انقطاع. وخرجته قريباً من حديثه مرفوعاً بمعنى حديث أبي سعيد.

يكشفوا عن باطن معناه، على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب»[١].

٢- معنى الساق: الشدة والكرب، أسند الطبري في تفسير الآية هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقتادة[٢].

٣- أن المراد بالساق: النَّفْس. ومنه قول علي ﷺ حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج فقال: والله لأقاتلنهم ولو تلفت ساقي. يريد: نفسه، فيكون المعنى: أن الله يتجلى لعباده المؤمنين، فيرونه، فإذا رأوه سجدوا له سبحانه وتعالى.

٤- وقيل: معناه يكشف عن نور عظيم، واستند من قاله على حديث أبي موسى الأشعري، عن النبيَّ صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: «عن نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا»[٣].

٥- وقيل المراد: يكشف لهم عن ساقِ بعضِ المخلوقين من الملائكة، فيجعل لهم شيئاً لبيان ما يشاء من حكمته في أهل الإيمان والنفاق. وهذا قول ضعيف، لا دليل عليه[٤].

الترجيح:

أقول: ما دام أن الصحابة قد اختلفوا في تفسير هذه الآية كما سبق نقله عن ابن تيمية، فعلينا أن

---

(١) الخطابي، أعلام الحديث، ج٣، ص١٩٣٠.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٣، ص١٨٦ فما بعد.

(٣) أخرجه أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، (٣٠٧ هـ)، مسند أبي يعلى، ط١، ١٣م، (تحقيق حسين سليم أسد)، دار المأمون، دمشق، ١٩٨٤م، ج١٣، ص٢٦٩. والطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٢٣، ص١٩٥. وفي سنده روح بن جناح، قال الحافظ: ضعيف، وفيه أيضاً راو مبهم، فالحديث ضعيف الإسناد.

(٤) انظر لهذه الأقوال الخطابي، أعلام الحديث، ج٣، ص١٩٣٠-١٩٣٣، وابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج٢٣، ص٤٤٧-٤٤٨، وابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢٤، ص٣٦٨.

ننظر في سياق الآية الكريمة لنفهمها حسب السياق والسباق، ووجدت هذا عند شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد قال: «إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لايصلح إلا لله، فعُلم أنه هو الكاشفُ عن ساقه.

وأيضاً فحَمْلُ ذلك على الشدة لا يصحُّ؛ لأن المستعمل في الشدة أن يقال: «كشف الله الشدة» أي: أزالها، كما قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢].

وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال: كشف الشدةَ، أي: أزالها، فلفظ الآية: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وهذا يراد به الإظهار والإبانة، كما قال: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾.

وأيضاً فهناك تحدث الشدة ولا يزيلها، فلا يكشف الشدة يوم القيامة، لكن هذا الظاهر ليس ظاهراً من مجرد لفظ ساق، بل بالتركيب والسياق وتدبُّر المعنى المقصود»[٣].

وعليه فالقول في إثبات هذه الصفة لله عزَّ وجلَّ كالقول في إثبات صفاته الأخرى، فمن المعلوم أن عقيدة المتقدمين من أهل السنة –وعلى رأسهم المحدثون– يقبلون ما جاءت به السنة النبوية الصحيحة من أحاديث في العقيدة، فلا فرق عندهم في القبول بينها وبين أحاديث الفقه والسيرة وغيرها إذا صحت سنداً ومتناً، وعليه فهم يثبتون ما أثبته الله تعالى لنفسه من غير تشبيه ولا تعطيل.

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٥٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٧٥.

(٣) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ج٥، ص٤٧٣–٤٧٤.

قال أبو عيسى الترمذي: «وقد قال غيرُ واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه: هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف، هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة...

وقال إسحاق بن إبراهيم[(١)]: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه.

وأما إذا قال -كما قال الله تعالى-: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٢)]»[(٣)].

هذا، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه. ثقة حافظ مجتهد، كان عالم خراسان، من طبقة الإمام أحمد. روى له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه. توفي في نيسابور سنة ٢٣٨هـ.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، ج٣، ص٤١.

المبحث الثاني:

الشبهات في أحاديث الشفاعة والميزان والصراط:

المطلب الأول: أحاديث طلب الناس الشفاعة من الأنبياء.

المطلب الثاني: حديث الرجل السمين الذي لا يزن عند الله جناح بعوضة.

المطلب الثالث: حديث الصراط المضروب فوق جهنَّم.

المطلب الرابع: حديث القنطرة.

المطلب الأول:

أحاديث طلب الناس الشفاعة من الأنبياء.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ.

فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ

يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ – فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ[١] فِي الحَدِيثِ – نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ – وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا– نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ

---

(١) أبو حيان هو يحيى بن سعيد التيمي أحد رجال إسناد الحديث. وهذه الثلاث هي: وهي قوله: إني سقيم، وبل فعله كبيرهم، وقوله لسارة هي أختي، انظر البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (٣٣٥٨)، ج٤، ص١٤٠.

مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»(١).

وفي رواية أخرى عنه ﷺ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بِلَحْمٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، - فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ - فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنَ أهل الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ، فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى»(٢).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أنس ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا.

فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ(٣)، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ.

فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، فَيَقُولُ: ائْتُوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ (٤٧١٢)، ج٦، ص٨٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤)، ج١، ص١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يزفون﴾ (٣٣٦١)، ج٤، ص١٤١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤)، ج١، ص١٨٤.

(٣) أي: لست في المنزلة التي تحسبونني، وهي مقام الشفاعة. انظر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١٠، ص٤٤٦.

خَلِيلَ الرَّحْمَنِ.

فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ.

فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: ائْتُوا عِيسَى عبدالله وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنَ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ»[1].

الحديث الثالث:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (٤٤٧٦)، ج٦، ص١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، ج١، ص١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٢)، ج١، ص١٣، ومسلم

الشبهات:

طعن عبد الحسين العبيدي وجعفر السبحاني في هذه الأحاديث من خلال النقاط التالية:

١- تشير الروايات المذكورة إلى أن الناس يجتمعون للتداول والتشاور فيمن يلجأون إليه من الأنبياء ليشفع لهم عند الله، ويخلصهم من العذاب. وتصورهم يملكون الحرية والإرادة في التنقل بين الأنبياء، وكأنهم ليسوا في يوم القيامة الشديد الهول، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(١).

٢- من الغريب أن تفكر أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم باللجوء إلى الأنبياء تاركين خلف ظهورهم نبيهم وإمامهم رسولَ الرحمة وخاتم الأنبياء. أليس من الصواب أن يلجأوا إلى من لولاه ما عرفوا ربهم وعبدوه؟!

٣- نصت الروايات على أن الأنبياء رفضوا الشفاعة لسببين:

١- أن الله غضب غضباً لم يغضب قبله ولا بعده مثله، لذلك لم يستطيعوا تكليمه ورجاءه.

٢- لكونهم عملوا ذنوباً ومعاصي يخجلون منها.

فالسبب الأول -وهو غضب الله- ليس انفعالاً وثورة حتى يتحاشى الأنبياءُ مخاطبته والشفاعة لديه، فهذا يكون للإنسان.

في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٤)، ج١، ص١٧٢.

(١) سورة الحج، الآية ٢.

والسبب الثاني هو اتهام للأنبياء عليهم السلام بارتكاب المعاصي والذنب، إما لعدم الاعتقاد بعصمتهم، أو لعدم الإحاطة بالتطبيقات الميدانية لتلك العصمة، أو لعدم فهمها فهماً صحيحاً.

هذا مضمون كلام العبيدي. بينما فهم منه جعفر السبحاني أن الغضب كان على الأنبياء، فقال: «الأنبياء لا سيما أولو العزم منهم معصومون عن العصيان قبل البعثة وبعدها، فما معنى أنه سبحانه غضب على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى غضباً لم يغضب قبله، ولن يغضب بعده مثله؟!».

٤- وصفت الروايات الأنبياء بالأنانية بقولهم: «نفسي نفسي»، أليس الأنبياء مكانتهم عظيمة؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[١].

٥- وردت في الروايات عبارات فيها تضخيم غير معقول كقوله: «بين كل مصراعين من أبواب الجنة كما بين مكة وحمير، أو مكة وبصرى». وهذه حتما ستكون ركبت على أبواب يبلغ حجمها مئات أو آلاف الكيلومترات، فما حكمة وجودها؟ ولا مجال لحملها على المجاز، لاستغراقها بالتفاصيل والمفردات.

٦- شفاعة كل نبي مختصة بأمته، فلا يشفع نوح لقوم موسى أو عيسى، وستحشر كل أمة بإمامها، ويجري حسابها وفقا لأحكام شريعتهم التي نزلت على نبيهم، ونبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم مع أفضليته ليس مطلوباً منه الشفاعة لجميع الأمم، ولا إلغاء دور باقي الأنبياء وتعطيل كراماتهم.

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٩.

٧- هذه الروايات وأشباهها لا تهدف إلا لتهوين ارتكاب الجرائم والمحرمات وظلم الناس في أعين أصحاب السلطة، وإعطائهم الأمل في النجاة من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فافعل أيها السلطانُ ما شئتَ، وارتكب المحرمات، وتمتع بالدنيا وملذاتها، فهنالك الكثير مما رواه لك أبو هريرة وأمثاله يؤكد لك أنك ستنجو من العذاب![١].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- يورد الطاعن هنا إشكالاً بأن الناس لا يملكون الحرية للتشاور والتنقل بين الأنبياء، والجواب عنه أن القرآن الكريم قد أشار إلى شيء من ذلك في غيرما آية، فقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

ثم قال بعدها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٢].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٧٠-١٧٤، السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص٣٤٦.
(٢) سورة طه، الآيات ١٠٢-١٠٨
(٣) سورة سبأ، الآية ٣١.

وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾[٢].

فهذه الآيات الكريمات وغيرها تشير إلى وجود كلام بين الناس يوم القيامة، وعليه فلا مانع شرعياً ولا عقلياً من صحة الحديث، والظاهر أن هذا يكون في العَرَصات[٣].

يقول ابن كثير: «يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عَرَصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار»[٤].

ويقول الدكتور عمر الأشقر: «وهذا المذكور في هذه الآيات هو تلاوم أهل النار في عرصات القيامة، فالأتباع يقولون لقادة الضلال: أنتم الذين كنتم تزينون لنا الباطل، وتغروننا بمخالفة الحق،

---

(١) سورة الروم، الآيتان ٥٥ و٥٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات ٢٧-٣٢.

(٣) العَرْصَةُ: كلُّ بُقعةٍ بين الدُورِ واسعةٍ ليس فيها بناءٌ، والجمع العِراص والعَرَصات. قاله الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٠٤٤.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١٠.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾(١)، ولكن القادة ورجال الفكر والزعماء يرفضون هذا، ويقولون لهم: أنتم تتحملون نتيجة أعمالكم فقد اخترتم الكفر، ولم يكن لنا من سلطان عليكم، إن طغيانكم واستكباركم هو الذي أوصلكم إلى هذه النهاية(٢).

٢- ليس في الحديث أن التي تذهب لتستشفع هي أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم، وإنما الناس، ومعلوم أن عموم الناس أكثر من أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم بكثير، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»(٣). وعموم الناس الموجودون في المحشر لا يعلمون أن الشفاعة تكون مخصوصة بسيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم، إذ هم ليسوا من أمة نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم، بدليل لما ذهبوا إلى آدم قالوا له: أنت أبو الناس، يعني أنت أبونا، وأنت أولى الناس بأولادك لتطلب من الله أن يرحمهم، وعليه فلا إشكال.

٣- ورد الجواب عن ذلك في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا (١٠٩) يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا (١١٠) وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾(٤).

وقال: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.
(٢) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، القيامة الكبرى، ط٦، ١م، دار النفائس، عمان، ١٩٩٥م.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٩)، ج٨، ص١١٠ من حديث أبي هريرة.
(٤) سورة طه، الآيات ١٠٩-١١١.
(٥) سورة مريم، الآية ٨٧.

فالأيات الكريمات تشير إلى عدم استطاعة أحد الشفاعة أو طلبها إلا بإذن من الله وأن يكون له عهد عند الله بذلك، فمن هنا لم يستطع أحد طلب الشفاعة في وقت الحشر، ولم تكن مختصة إلا بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، والأنبياء الكرام يعرف كل منهم منزلته، فلم يقدر أحد على سؤال الله ما كان خارجاً عن منزلته، ومما يدل على ذلك أيضاً ما جاء في حديث أنس ﷺ المخرج في «الصحيحين»:

«فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليلُ الرحمن. فيأتون إبراهيم، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله. فيأتون موسى فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روحُ الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم. فيأتوني، فأقول: أنا لها»[١].

وسبب قول كل نبي: «لست لها» فسَّره حديثُ أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوةٌ مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة»[٢]، لذلك لم يقدم الأنبياء عليهم السلام على طلب الشفاعة يوم الحشر، ونحن لا ننكر أن للأنبياء شفاعةً، بل لهم شفاعة كما ورد في الحديث: «ثم يشفع الأنبياءُ في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٠)، ج٩، ص١٤٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، ج١، ص١٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٦٣٠٤)، ج٨، ص٦٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (١٩٨)، ج١، ص١٨٩.

فيخرجونهم منها»[1]، لكن ليس وقتها في المحشر كما قلنا.

وأما غضب الله فيكون شديداً في يوم القيامة لأنه يوم الحساب، ويوم الحساب يكون مرة واحدة ليس له سابق ولا لاحق، لهذا قال: لم يغضب مثله قبله ولا بعده.

وأما زعمه بأن فيه اتهاماً للأنبياء، فهذا ليس صحيحاً، فقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الأمور، فخطيئة آدم أشار إليها القرآن، فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2]، فسماها معصية.

وقال لنوح حين سأل أن يتجاوز عن ابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[3].

وقال في حق موسى ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4] فعدَّ موسى هذا القتل من عمل الشيطان، وطلب من الله مغفرة هذا العمل، فغفر له. وليس شرطاً أن يشير القرآن لكل ما ورد في الحديث من خطأ وقع فيه بعض الأنبياء عليهم السلام. فهل القرآن سلب الآنبياءَ عصمتَهم بذكره هذه الأخطاء؟!

---

(١) ابن حنبل، المسند (١١٠٨١)، ج١٧، ص١٤١. وابن أبي شيبة (٢٣٥ هـ)، المصنف، ط١، ٢٦م، (تحقيق محمد عوامة)، دار القبلة، جده، ٢٠٠٦م. (٣٥٣٣٢)، وحسَّن إسناد الحديث محققو الكتابين، وهو كما قالوا.

(٢) سورة طه، الآية ١٢١.

(٣) سورة هود، الآيتان ٤٦ و٤٧.

(٤) سورة القصص، الآيتان ١٥ و١٦.

٤- سبقت الإشارة في النقطة السابقة إلى أن الأنبياء لا يملكون الشفاعة في المحشر، وعليه فهم غير مستطيعين مساعدة أقوامهم في وقت الحشر؛ لأنه لم يؤذن لهم ولا يملكون إذناً ولا عهداً بذلك كما نصت الآية الكريمة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[١]، وكما في حديث أنس الذي تقدم هناك، وعليه فقد اعتذروا للناس، وليس في هذا أية أنانية أو إعراض.

٥- لقد تكلم العبيدي عن هذا الموضوع أيضاً عند حديث: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير» في المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار، من الفصل الثالث، وسيأتي الردُّ على هذا الطعن هناك إن شاء الله تعالى[٢].

٦- قدمتُ قريباً أن للأنبياء عليهم السلام شفاعة، وأنهم سيشفعون في أقوامهم، وذكرتُ الحديث في هذا، وقلت: إن شفاعة نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم إنما تكون عامة لكل الناس في المحشر، وليس على الإطلاق، وهذه الشفاعة هي التي سماها العلماء الشفاعة العظمى، قال ابن كثير: «شفاعته الأولى -وهي العظمى- الخاصة به من بين سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وهي التي يرغب إليه فيها الخلقُ كلُّهم، حتى الخليل إبراهيم، وموسى الكليم، ويتوسل الناسُ إلى آدم فمن بعده من المرسلين، فكلٌّ يحيد عندها، ويقول: لست بصاحبها، حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: «أنا لها، أنا لها» فيذهب، فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده، ويريحهم من مقامهم ذلك، ويميز بين مؤمنهم وكافرهم بمجازاة المؤمنين بالجنة، والكافرين

---

(١) سورة مريم، الآية ٨٧.

(٢) انظر ص ١٨٢-١٨٣.

بالنار»[١].

قلت: وهو ما أشار إليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً[٢]، كل أمة تتبع نبيَّها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[٣].

٧- أما ادعاء الطاعن بأن هذه الروايات تهدف إلى تهوين الجرائم، فهذا افتئات على الشريعة، فمعلوم أن حقوق العباد، وظلم بعضهم لبعض غير داخل في الشفاعة، والمقصود في الشفاعة ما يرتكبه العبد من ذنوب أو تقصير في حق الله تعالى، فقد صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه حديثان في ذلك:

الأول: ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[٤].

والثاني: ما رواه عنه صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، النهاية في الفتن والملاحم، ط١، ٢م، (تحقيق محمد أحمد عبد العزيز)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٠٢.

(٢) جُثاً بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوّناً مقصوراً، جمع جُثوة كخُطوة وخُطاً، أي: جماعات. انظر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٧، ص٢٠٩. وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (٤٧١٨)، ج٦، ص٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٦٥٣٤)، ج٨، ص١١١.

شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيتْ حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»(١).

ومن هنا كانت الذنوب ثلاثة أنواع؛ كما ورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوانٌ لا يعبأ الله به شيئاً، وديوانٌ لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله.

فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله، قال الله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾(٢).

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً: فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صومِ يومٍ تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء.

وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً: فظلمُ العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»(٣).

هذا بخصوص العباد عموماً، وأما ما ورد بخصوص الحكام والسلاطين، فسأكتفي بإيراد حديثين، كلاهما من حديث أبي هريرة أيضاً:

قال صلى الله عليه وسلم: ««ما مِنْ أميرِ عَشَرَةٍ إلا يُؤْتَى بِهِ يومَ القِيَامَةِ مَغْلُولاً، لا يَفُكُّهُ إلا العَدْلُ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٨١)، ج٤، ص١٩٩٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٣) ابن حنبل، المسند (٢٦٠٣١)، ج٤٣، ص١٥٥-١٥٦، والحاكم، المستدرك (٨٧١٧)، وصححه! وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة.

أو يُويقُهُ الجَوْرُ»[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنِعمَ المرضعةُ وبِئست الفاطمةُ»[(٢)].

فما قول هذا الطاعن بهذه الأحاديث التي قدمناها، التي هي من رواية أبي هريرة الذي ينقم عليه هذا الطاعن وطائفته؟!!

تُرى الحق على مَنْ؟ على أبي هريرة، أم على قصور اطلاع الطاعن؟!

---

(١) ابن حنبل، المسند (٩٥٧٣)، ج١٥، ص٣٥١، والحاكم، المستدرك بنحوه (٧٠٠٩)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٨)، ج٩، ص٦٣.

المطلب الثاني:

حديث الرجل السمين الذي لا يزن عند اللّه جناح بعوضة.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

«إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[(١)](٢).

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «مرّ الكثير من أحاديث أبي هريرة التي يشير فيها إلى آية قرآنية يعتقد أنها تدعم ما يدعيه، وكذلك إصراره في أغلب رواياته على إضفاء معانٍ مادية على قضايا معنوية، لا يمكن أن تتجسد بأي حال، وعلى نفس المنوال يحوك (هذا الحديث)، فقد فهم أبو هريرة أن قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ متعلق بميزان وقبان وأثقال، وأن عملية وزن حقيقية ستجري هناك، وأن الرجل العظيم السمين سوف لن يزن في ذلك الميزان جناح بعوضة، وقد عجز عن أن يفهم أن مضمون الآية الكريمة هو تعبير مجازي يقصد به الإشارة إلى القيمة والاعتبار، وليس الوزن بالكيلوغرامات.

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾ (٤٧٢٩)، ج٦، ص٩٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بدون باب (٢٧٨٥)، ج٤، ص٢١٤٧.

إننا لم نستطع أن نحمل كلام أبي هريرة على المجاز؛ لأنه لم يقصد المجاز أصلاً من خلال اختياره لرجل سمين، وهو يعني به ثقيل الوزن، وهذا يشير إلى وجهة سيره بالحديث. ولو كان قد قال: «يأتي الرجل الجبار أو الطاغية أو المتكبر يوم القيامة وهو لا يزن عند الله جناح بعوضة» لاستطعنا أن نحمل قوله على المجاز»[١].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- كلام الطاعن يشعر بأن الحديث مصنوع من صنع أبي هريرة رضي الله عنه، فقد طعن فيه وفي غيره من الصحابة غير مرة في كتابه هذا[٢]، مع أن أبا هريرة هو أحد رواة حديث: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»[٣]، فكيف له أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ويبوِّئ نفسه النار؟!

وهذا الإشكال قد أشار إليه بعض أهل العلم، قال الطيبي: «قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ فإن قلت: كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية، فإن المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله: «العظيم السمين» وفي الآية: إما وزن الأعمال لقوله تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ وإما مقدارهم، والمعنى نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار.

والحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية، وذكر الجثة والعِظَم لا ينافي إرادة مقداره

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٢) انظر على سبيل المثال ما ورد في كلام الطاعن ص١٠٢، وص١٧٨-١٧٩، وص٢١٨-٢١٩، وص٢٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١١٠)، ج١، ص٣٣، ومسلم في مقدمة صحيحه، (٣)، ج١، ص١٠. وهذا الحديث متواتر، رواه أكثر من ستين نفساً من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص٢٦٩.

وتفخيمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[(١)]»[(٢)].

وفي السياق ذاته ما ورد عن ابن مسعود، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القومُ منه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ممَّ تضحكون؟» قالوا: يا نبيَّ الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقلُ في الميزان من أُحُد».

وورد أيضاً من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولفظه: «ما تضحكون؟ لَرِجلُ عبدالله أثقلُ في الميزان يوم القيامة من أُحُد»[(٣)].

فذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساقين، وأراد وزنَ عمل صاحبهما ابن مسعود رضي الله عنه. فمع كون ساقيه دقيقتين إلا أن وزنهما كبير بوزنِ جبلِ أحد، وكذلك حديث أبي هريرة: مع أن الرجل سمين، فهو لا يزن شيئاً عند الله يوم القيامة، فيكون ذكرَ الإنسانَ وأراد عملَه، وهذا موجود مستعمل في لغة العرب، قال ابنُ الأعرابي: «العربُ تقول: ما لفلانٍ عندنا وزنٌ، أي: قدرٌ،

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٢) الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله (ت ٧٤٣هـ)، الكاشف عن حقائق السنن، ط١، ١٣م، (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧م، ج١١، ص٣٥٠٣.

(٣) أخرجه من حديث عبدالله بن مسعود نفسه أحمد في المسند (٣٩٩١) ج٧، ص٩٨-٩٩، وإسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. وأخرجه من حديث علي بن أبي طالب أحمد في المسند (٩٢٠)، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧)، وفي سنده أم موسى سُرِّية علي بن أبي طالب، وثقها العجلي، وقال الدارقطني: حديثها مستقيم، يخرج حديثها اعتباراً، وباقي رجال الإسناد ثقات من رجال الصحيح. فالحديث بمجموع الطريقين يرتقي إلى مرتبة الصحيح لغيره.

لخِسّته»[١].

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾: «يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلاً. وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقلُ بهم موازينُهم، لأن الموازين إنما تثقلُ بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيءٌ من الأعمال الصالحة فتثقلَ به موازينهم»[٢].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يُوزن مع عمله»[٣]، ثم استدل بهذا الحديث حديث الرجل السمين.

ثم قال: «ويا خيبة من ينفي وضعَ الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاءِ الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقالُ والفوالُ! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه»[٤].

أقول: هذا الطاعن ينفي وجود الميزان الحسي، لأنه يقول: «هو تعبير مجازي يقصد به الإشارة إلى القيمة والاعتبار، وليس الوزن بالكيلوغرامات»، مع أن إمامه المجلسي **أثبت الميزان، ورد على القائلين بأنه مجاز** في كتابه المعتمدة لديهم «بحار الأنوار»، وهو أحد أصولهم الثمانية،

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٤، ص٣٧.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٥، ص٤٢٩.

(٣) ابن أبي العز، شرح العقيدة الحطاوية، ج٢، ص٦١٠.

(٤) المرجع السابق، ج٢، ص٦١٣.

حيث يقول المجلسي فيه: «وأما إنكار الميزان بهذه الوجوه فليس بمرضي لما عرفتَ من وجوه التوجيه فيه. ثم قال: فنحن نؤمن بالميزان، ونرد علمه إلى حملة القرآن، ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان، والله الموفق وعليه التكلان»[١].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٢-٢٥٣.

المطلب الثالث:

حديث الصراط المضروب فوق جهنَّم.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو...» الحديث[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، ج١، ص١٦٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢)، ج١، ص١٦٣. ولهذا الحديث تتمة ستأتي في المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار، من الفصل الثالث ص١٧٦، ويأتي الكلام عليها هناك، إن شاء الله.

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «نصت الرواية الأولى على أن الصراط إنما هو جسم مادي حقيقي، يعبر فوقه العباد...، والصحيح هو أن الصراط ليس جسما مادياً، بل هو اصطلاح يراد به الطريق الصحيح القويم الذي يوصل إلى الله، والى تنفيذ شرائعه وأحكامه بما يضمن رضاه والفوز بنعيمه ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾[١]، ولم يرد في معاجم اللغة ولا كتب التفسير المعتبرة أيُّ معنى للصراط يقترب من المعنى الذي تداولته الرواية، وإن التصور بأنه جسر يضرب ليعبر عليه الناجون من خلق الله، ما هو إلا تصوّر ساذج يدفع إليه الفهم السطحي لتعابير كتاب الله التي طالما اعتمدت المجاز في إيصال الفكرة بأسلوب بلاغي تميز به القرآن الكريم»[٢].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

سبق إلى هذا الكلام المعتزلة، فكلامه ترداد لكلامهم، فالمعتزلة يأولون الميزان والصراط وغيرها، قال الإمام الغزالي: «وزاد الْمُعْتَزلَة عَلَيْهِم حَتَّى أولُوا من صِفَاته تَعَالَى الرُّؤْيَة، وَأولُوا كَونه سميعاً بَصيرًا، وَأولُوا الْمِعْرَاج وَزَعَمُوا أَنه لم يكن بالجسد، وأولُوا عَذَاب الْقَبْر، والْمِيزَان، والصراط، وَجُمْلَة من أَحْكَام الْآخِرَة، ولَكِن أقرُّوا بحشر الأجساد وبالجنة...» [٣].

وأما قوله: «ولم يرد في معاجم اللغة ولا كتب التفسير المعتبرة أي معنى للصراط يقترب من

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٦ و٧.

(٢) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩٧.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، قواعد العقائد، ط٢، ١م، (تحقيق موسى محمَّد علي)، دار عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٥م، ص١٣٧.

المعنى الذي تداولته الرواية» فأقول: الحقيقة: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، وهي ثلاث:

لغوية؛ وهي اللفظ المستعمل معناه اللغوي.

شرعية؛ وهي اللفظ الذي غلب المعنى الشرعي له على ما وضع له في اللغة، كالصلاة، فمعناها اللغوي الدعاء، لكن غلب عليها المعنى الشرعي: «أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة، مبدوءة بالتكبير ومختومة بالتسليم».

عرفية؛ وهي عامة، وخاصة.

والصراط معناه في اللغة الطريق الواضح، وبهذا المعنى استعمله القرآن الكريم. لكن جاء في السنة ما يخرجه عن هذه الحقيقة اللغوية إلى الشرعية، من خلال:

١- تسميته جسراً.

٢- وصفه بصفات حسية.

ومن هنا يمتنع أن يكون المعنى مجازياً قياساً على الصراط المذكور في سورة الفاتحة، لأنه قال فيه: «**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ**»، كما وصفه بأن له شوكاً كشوك السعدان. وجاء في حديث أبي سعيد الخُدري بصورة أوضح؛ حيث قال: «**ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ**[١] **لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**[٢]**، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ،**

---

(١) المفلطح: الذي فيه عرض واتساع. قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٤٧١.

(٢) أيْ مَلْويَّة كالصِّنَّارة، المرجع السابق، ج٣، ص٢٧٦.

المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وكَالْبَرْقِ وكَالرِّيحِ، وكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ[١]**، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ونَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»**[٢].

فهل بعد كل هذا، يقال: هو مجاز؟! والإيمان به سذاجة؟!

---

(١) الركاب: هي الرواحل من الإبل. قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٧٤٣٩)، ج٩، ص١٢٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣)، ج١، ص١٦٧.

المطلب الرابع: حديث القنطرة.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ[١] حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ[٢] بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[٣].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «وأما حبسهم في ذلك الحيز «القنطرة» لغرض تقاضي مظالم كانت بينهم، فقد رأينا أنهم جميعاً قد نُقّوا وهُذبوا ودخلوا الجنة، وليس فيهم من تخلف فدخل النار، فكيف تم التقاضي؟

هل عاتب بعضهم بعضاً، وعفا كلٌّ عن صاحبه وانتهى الأمر؟

وإذا كانوا قد تساوَوا بالحسنات، فأين ذهبت السيئات والمظالم والجرائم؟

إن أقل ما يقال في ذلك: إنه مخالف لما نعرفه من أن الحكم يومئذ لله الواحد القهار: ﴿يَوۡمَ هُم

---

(١) قال القسطلاني: أي ينجون من السقوط فيها بعدما يجوزون الصراط. انظر شرحه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٩، ص٣١٢.

(٢) القنطرة هي الجسر. قاله الجوهري في الصحاح، ج٢، ص٧٩٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم (٢٤٤٠)، ج٣، ص١٢٨، وفي كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٦٥٣٥)، ج٨، ص١١١.

بَـٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[١]، يوم تكون كل نفس بما كسبت رهينة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٢]، يوم لا يُسألون عما كانوا يفعلون ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٣]، وسيحاسبون وفق كتاب قال عنه تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[٤]»[٥].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

من المعلوم أن بعض الأحاديث لا يفهم معناها، ولا يدفع التعارض عنها، أو ما فيها من إشكال إلا بجمع أحاديث الباب، ليتبين للدارس الخاص من العام، والمطلق من المقيد ونحو ذلك، وقد ورد في هذا الباب حديثان، حديث أبي سعيد الخُدري وقد ذكرناه، وحديث أبي هريرة، وسآتي عليهما وأبين معناهما والجمع بينهما، إن شاء الله.

أما حديث أبي سعيد الذي أورده الطاعن، فقد بين معناه العلامة ابنُ بطال في شرحه للبخاري، فقال: «وهذه المقاصة التي في هذا الحديث هي لقوم دون قوم، وهم من لا تستغرق مظالمُهم جميعَ حسناتهم؛ لأنه لو استغرقت جميعَها لكانوا ممن وجب لهم العذابُ، ولما جاز أن يقال فيهم: خلصوا

---

(١) سورة غافر، الآية ١٦.

(٢) سورة غافر، الآية ١٧.

(٣) سورة النور، الآية ٢٤.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٥) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٨٨.

من النار. فمعنى الحديث -والله أعلم- على الخصوص لمن يكون عليه تبعات يسيرة.

فالمقاصَّة أصلها في كلام العرب مقاصصة، وهي مُفاعلة، ولا تكون المفاعلة أبداً إلا من اثنين، كالمقاتلة والمشاتمة، فكأن كلَّ واحد منهم له على أخيه مظلمة وعليه له مظلمة، ولم يكن في شيء منها ما يستحق عليه النار فيتقاصون بالحسنات والسيئات، فمن كانت مظلمته أكثر من مظلمة أخيه أخذ من حسناته فيدخلون الجنة، ويقتطعون فيها المنازل على قدر ما بقي لكل واحد منهم من الحسنات، فلهذا يتقاصون بالحسنات بعد خلاصهم من النار -والله أعلم- لأن أحداً لا يدخل الجنة ولأحد عليه تبعة»[١].

قلت: وأما الذين استغرقت مظالمُهم جميعَ حسناتهم، فهم من يدخل النار ولا يجتاز الصراط، وهو ما يدلُّ عليه حديث أبي هريرة الذي أورده البخاري رحمه الله في الباب نفسه قبلَ حديث أبي سعيد هذا، إشارةً منه إلى أن أصحاب المظالم على قسمين:

قسم تستغرق مظالمُهم حسناتِهم كلَّها بل وتقصر عن أداء الحقوق التي عليهم للآخرين، فيؤخذ من سيئات المظلومين ثم تطرح على هؤلاء الظالمين لهم. وهو ما يفيده حديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات أخيه فطُرحت عليه»[٢]. وحديثه الآخر: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من

---

(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج٦، ص٥٦٨-٥٦٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٦٥٣٤)، ج٨، ص١١١.

حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[١].

وقسم لا تستغرق مظالمهم حسناتهم، وهو مضمون حديث أبي سعيد الذي شرحه ابنُ بطال.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «هذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص.

فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار؛ لأجل تنقية ما في القلوب، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾»[٢].

وقد ورد هذا المعنى من قول الحسن البصري، قال: «بلَغَني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُحبَس أهل الجنَّة بعدما يجوزونَ الصِّراط حتَّى يُؤخَذ لبعضِهم من بعض ظُلاماتُهم في الدُّنيا، ويَدخُلونَ الجنَّة وليس في قلوب بعضهم على بعض غِلٌّ»[٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٨١)، ج٤، ص١٩٩٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٤٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسندٍ صحيحٍ عن الحسن مرسلاً، قاله الحافظ في «فتح الباري»، ج٢٠، ص ٣٦٩.

الفصل الثالث

شبهات المعاصرين من الشيعة في أحاديث الجنة والنار وغيرها، والرد عليهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار.

المبحث الثاني: الشبهات في حديثين يتصلان بموضوع الدراسة.

المبحث الأول

الشبهات في أحاديث الجنة والنار:

المطلب الأول: أحاديث أول زمرة تدخل الجنة صورتهم كالبدر.

المطلب الثاني: حديث ما بين مصراعي الجنة كما بين مكة وحمير.

المطلب الثالث: حديث يدعى صاحب كل عِبادة من بابها، وحديث أبواب الجنة ثمانية.

المطلب الرابع: حديثان في آخر من يدخل الجنة، وحصته فيها.

المطلب الخامس: حديث رؤية النبي ﷺ الجنة والنار حال صلاته للخسوف، وحديث عامة أهل الجنة المساكين.

المطلب السادس: حديث تحاجّ الجنة والنار.

المطلب السابع: حديثان في قول النار: هل من مزيد حتى يضع الربُّ فيها قدمه.

المطلب الثامن: حديث اشتكت النار إلى ربها فأذن لها بنفسين.

المطلب التاسع: حديث ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم.

المطلب الأول:

أحاديث أول زمرة تدخل الجنة صورتهم كالبدر.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ[(١)]، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[(٢)].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً.

لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ[(٣)]، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى

---

(١) الألوة: عود طيِّب الريح، يتبخر به، تُفتح همزته وتُضم. انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٦٣. وسيفسرها الراوي في الرواية التي سقتها عقبها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٥)، ج٤، ص١١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم (٢٨٣٤)، ج٤، ص٢١٨٠، من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة.

(٣) قال ابن منظور: اليَنْجُوجُ والأَنجُوجُ: العُودُ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ. اللسان، ج٢، ص٣٧٥.

صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»(١).

الحديث الثالث:

أخرج البخاري عن سهل بن سعد ﷺ مرفوعاً: «لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِئَةِ أَلْفٍ، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»(٢).

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «لدينا في (هذه الأحاديث) قضيتان:

الأولى: تتعلق بصفات أهل الجنة.

والثانية: عدد الداخلين إليها.

ونسأل أولاً: هل الصفات التي ذكرها الراوي عامة لكل من يدخل الجنة، أم هي خاصة فقط بأول زمرة تلجها كما هو مفهوم من الحديث؟

فإذا قيل: إنها صفات عامة. قلنا: ما وجه تخصيصها بالزمرة الأولى؟ وكيف ستكون كرامة لهم وحدهم، وهي عامة للجميع؟

وإذا قيل: إنما هي خاصة بالزمرة الأولى. قلنا: لقد أثبتم العكس على بقية أهل الجنة، أي أنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٤)، ج٤، ص١١٩، من طريق عبدالرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة. واخرجه بنحوه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم (٢٨٣٤)، ج٤، ص٢١٨٠، من طريق أبي صالح السمان عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٤٧)، ج٤، ص١١٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢١٩)، ج١، ص١٩٨.

سيبصقون ويمتخطون ويتغوطون وغير ذلك. فما دليلكم؟

ولماذا لم يستثنهم من الرشح أيضاً، فاضطر إلى جعله «رشحاً من مسك» ولم يجعل البول مثلاً بولاً من عنبر، فتنتهي المشكلة؟!

ثم ورد في الحديث: «ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن»، وهذا وصف غريب لا يمتُّ إلى الحسن بأية صلة، فأي جمال في امرأة يرى هيكلها العظمي من وراء اللحم؟ وربما العكس هو الصحيح، إذ لن يُرى إلا شكلٌ قبيح لا يشبه ما أودعه الله سبحانه من تمام الخلقة، وحسن التصوير لدى خلقه، ولا يقولن أحد: إنه المجاز، لأن هذا الوصف لا يحله مجاز ولا مبالغة.

أما حديث سهل بن سعد: «ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمئة ألف..» فهو من أحاديث الآحاد التي لعلماء الحديث رأيهم الفقهي فيها. أما نحن فلا بد أن نعرضها على منهجنا في المناقشة، فنقول: لقد شك الراوي في العدد، فتردد بين السبعين ألفاً أو السبعمئة ألف. وهو تردُّد فاحش سنتحدث عنه، ولكن بعد أن نعرف هل هذا التردُّد كان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم أو من قبل الراوي؟

قطعاً إنه لم يكن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(١).

فلا بد إذن أن يكون الراوي هو منشأ ذلك التردد، ولكن لا هو ولا البخاري أشارا إلى ذلك.

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٣ و٤.

وعليه حق لنا أن نسأل: هل النبي صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ هذا الحديث للصحابي المذكور فقط وخصَّه به دون غيره؟ أم أنه قد تحدث به بحضور جمعٍ من الصحابة؟

فإذا قيل: إنه قد خصَّه به، فإننا سنأخذ على الراوي عدم حضوره ذهنياً ووجدانياً مع النبي صلى الله عليه وسلم تلك الساعة في أمر أحب أن يُسِرَّه إليه، فخرج من عنده وهو لا يدري ماذا قال! ويا ليته شك بين الاثنين والثلاثة، أو بين المئة والمئتين، أو بين الستين ألفاً والسبعين...، ولكنه كان بين السبعين ألفا والسبعمئة ألف، وبين الرقمين فارق كبير جداً لا يمكن الخطأ فيه، وخصوصاً في قضية مثل هذه كانت الشغل الشاغل لعامة المسلمين.

وإن قيل: إن الراوي كان ضمن مجموعة من الصحابة حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، فالعجب سيكون أكبر، إذ لم يروه أحد غيره من الذين سمعوه، كما أنه لم يسأل منهم أحداً لتصحيح الرقم الذي سمعه، هذا أمر.

أما الأمر الثاني: فهو أن الراوي عندما حدَّدَ هذا العدد لم يضع في حسابه امتداد أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ثم إلى ما شاء الله، فقد بلغت الأمة عشرات أو مئات المليارات من المسلمين لحدِّ الآن، ودخول هذا العدد منهم إلى الجنة فقط، أمر ينذر بالويل والثبور، سيما وأن «صحيح البخاري» يروي عشرات الأحاديث التي نصت على أنه من قال: لا إله الا الله دخل الجنة، ومن سقى كلباً ظمآن دخل الجنة، ومن عرف أنَّ له رباً يغفر الذنوب يدخلها كذلك، ولو كان محملاً بالجرائم والذنوب... إلى كثير من أمثال هذه الأحاديث، والله أعلم»[١].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص ٢١٢-٢١٤.

مناقشة الشبهات والرد عليها:

سأحاول إن شاء الله الإجابة عن هذه الطعون واحداً واحداً، فأقول:

١- سأل الطاعنُ هل هذه الصفات لكل من يدخل الجنة أم للزمرة الأولى فقط؟

والجواب أن هذه الصفات لكل من يدخل الجنة، والرواية الأولى التي ساقها الطاعن هي من رواية همام بن منبه عن أبي هريرة، وهي التي بنى عليها حكمه، هي رواية مجملة، تفسرها روايات أخرى وسياقُ الثانية -وهي من رواية عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة- أوضحُ منها، وأوضحُ منهما رواية عبدالرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة، ونصها: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشدِّ كوكب إضاءةً.

قلوبُهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يُرى مخُّ ساقها من وراء لحمها من الحُسن، يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتُهم الذهب والفضة، وأمشاطُهم الذهب، ووَقودُ مجامرهم الألوَّة، ورشُحهم المِسك»[١].

وكذلك رواية أبي زُرْعة البَجَلي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُريّ في السماء إضاءةً.

لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطُهم الذهب، ورشُحهم المسك،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٦)، ج٤، ص١١٨.

ومجامرُهم الألوة الأَنجوج، عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»(١).

فأفادت هذه الروايات بأن المفاضلة في حسن الوجوه وشدة بياضها أو شدة نورها، وأما باقي الصفات فيشترك فيها جميع أهل الجنة.

وهذا ما أفاده أيضاً حديث الصحابيّ الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما الذي شارك أبا هريرة في روايته، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس»(٢)، فذكر جميع أهل الجنة بلا استثناء، فأفادت هذه الروايات اشتراك عموم أهل الجنة بهذه الصفات.

٢- وأما قوله: ولماذا لم يستثنهم من الرشح أيضاً، فاضطر إلى جعله «رشحاً من مسك» ولم يجعل البول مثلاً بولاً من عنبر، فتنتهي المشكلة؟!

فالجواب أن هذا تحكم من هذا الطاعن، والله تعالى أعلم بما يناسب أهل الجنة، ومع ذلك فالجواب عنه بأن خروج الرشح -وهو العرق- يخرج من الإنسان بدون جهد ولا إزعاج، كما أنه يكون باستمرار، بخلاف التغوط والتبول، فإنه يكون في حين دون حين، ويكون مع جهد وعمل أيضاً، يحتاج إلى نزع الملابس وبدو العورات، وهذا يحتاج إلى التستر، ولا سيما إذا كان عنده أحد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٢٧)، ج٤، ص١٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة (٢٨٣٤)، ج٤، ص ٢١٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا (٢٨٣٥)، ج٤، ص ٢١٨٠.

ممن يزوره، فضلاً عمن عنده من الولدان المخلدين، والله تعالى أعلم.

٣- اعترض على قضية بدوّ ما وراء اللحم، وأن شكله قبيح. لقد قاس هذا الطاعن ما في الجنة على ما تخيله عقله، وعلى ما تدركه حواسُّه، فظن الأمر بشعاً قبيحاً، وسأحاول تقريب الصورة، يرى المرء أحياناً بعضَ الناس من شدة بياضهم ونقاء جسمهم بعضَ عروقهم، فهل يكون ذلك عيباً وقبحاً؟ بل على العكس، فهذا البياض النقي تستحسنه النفوس والطباع، وهذا في الدنيا فكيف بمن أنشأهن الله إنشاء، فجعلهنَّ أبكاراً، عرباً أتراباً لأهل الجنة؟

وقد شاهدت يوماً معرضاً لأسماك الزينة، فأدهشتني سمكة لحمها شفاف، كأنه زجاج يرى من ورائه كل شيء، فكانت أجمل الأسماك التي شاهدت، فسبحان الخلاق!!

٤- وأما طعن العبيدي في حديث سهل بن سعد بأنه لا بد أن يعرضه على منهجه في المناقشة، وبأن الفرق بين الرقمين فاحش، وهو لمَّا حدَّثه به النبي صلى الله عليه وسلم إن كان خصَّه بالحديث، فهو واهمٌ غير حاضر الذهن، وإن كان حدَّثه به في آخرين، فلِمَ لم يصححوه له؟

فأقول: ليت الطاعن بين لنا منهجه في المناقشة، وليته بين لنا الأسس التي ينطلق منها في ردّه للأحاديث، فالذي لاحظته من خلال ردوده، أنه لا يعتمد على أسس علمية، ولا عقلية صحيحة ينطلق منها، بل غالبها ذوقية أو مذهبية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فقضية الشك التي في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، هي ليست منه، بل من الراوي عن سهل، وهو أبو حازم سلمة بن دينار، كما صرحت به رواية مسلم، حيث قال: عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليدخلن الجنة من أمتي

سبعون ألفاً، أو سبعمئة ألف» لا يدري أبو حازم أيهما قال[١].

كذلك لما أورد البخاري هذا الحديث في «صحيحه» أورده في ثلاثة مواضع:

الأول: في باب صفة الجنة وأنها مخلوقة من كتاب بدء الخلق[٢].

الثاني – وهو الأصل في الموضوع – في باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب[٣].

الثالث: في باب صفة الجنة والنار من كتاب الرقاق[٤].

ففي الباب الأول أورد حديث أبي هريرة مرتين: مرة قبل حديث سهل بن سعد، من طريق همام عن أبي هريرة، ومرة من طريق عبدالرحمن بن عمرة عن أبي هريرة، وفي حديث أبي هريرة أن العدد هو سبعون ألفاً بدون شك.

وفي الباب الثاني أورد قبل حديث سهل حديثَ ابن عباس، ثم أورد بعد حديث سهل حديث أبي هريرة من طريق ثالثة، هي طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، ليؤكد أن الرقم الصحيح هو سبعون ألفاً، سواء من حديث أبي هريرة الذي أورده من ثلاث طرق، أو من حديث ابن عباس. وفي هذا إشارة منه لتوهيم الرقم الثاني في حديث سهل، وهو سبع مئة ألف، ولذلك لم يلتفت في تبويبه إلى العدد الآخر، فبوَّب عليه في «صحيحه»: «باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب».

وهنا سؤال يطرح نفسه: وهو لماذا أورد حديث سهل بن سعد وفيه وهم من أحد الرواة؟

---

(١) مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢١٩)، ج١، ص١٩٨.

(٢) ج٤، ص١١٨.

(٣) ج٨، ص١١٣.

(٤) ج٨، ص١١٤.

والجواب أنا إذا عرفنا الوهم الوارد في حديث سهل، استبعدناه، وبقي القسم الصحيح من الحديث، وهو السبعون ألفاً، فيكون شاهداً ثالثاً لحديث الباب، فلا ينبغي استبعاده. وهذه عبقرية من البخاري رحمه الله.

قال ابن كثير: «ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»(١).

وفي الباب الثالث لم يورد البخاري معه شيئاً اكتفاء بما تقدم.

٥- وأما قضية أن الراوي لم يضع في حسابه أن عدد الأمة سيبلغ المليارات، والعدد المذكور في الحديث قليل بالنسبة لهم، فأقول: قد جاء تفسيره في حديث ابن عباس، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»(٢).

فالسبعون ألفاً هم جزء من هذه الأمة يتصفون بأنهم: لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. وليس هم كلَّ أهل الجنة كما أوهم كلام الطاعن، فقد بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن أمته ستكون نصفَ أهل الجنة، كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود، قال: كنا مع النبي في قبة، فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٥١٩. وأورد له شواهد كثيرة فيه ج٢، ص٩٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب (٦٥٤١)، ج٨، ص١١٢، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠)، ج١، ص١٩٩.

الجنة» قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة» قلنا: نعم، قال: «والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن **تكونوا نصفَ أهل الجنة**، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٨)، ج٨، ص١١٠، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١)، ج١، ص٢٠٠.

المطلب الثاني:

حديث ما بين مصراعي الجنة كما بين مكة وحمير.

الحديث الأول:

أخرج البخاري حديث أبي هريرة، وفيه: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «إذا كانت المسافة بين مصاريع أبواب الجنة كالمسافة بين مكة وحمير أو بصرى، فإنها حتماً ستكون قد رُكبت على أبواب يبلغ حجمها مئات، وربما آلاف الكيلومترات، وفي هذه الحالة ستفقد تلك الأبواب قيمتها والحكمة من وجودها، لأننا سنسأل: لمن وضعت مثل هذه الأبواب؟ مع أننا نعتقد بأن رواة هذا الحديث يتمنون وجود هكذا أبواب لكي يتسنى لهم الولوج خلسة من تحتها أو من خلال أي ثقب فيها. وطبعاً لا مجال لحمل تلك الروايات على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ (٤٧١٢)، ج٦، ص٨٤، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤)، ج١، ص١٨٤. وتقدم سياق الحديث بتمامه في المبحث الثاني: الشبهات في أحاديث الشفاعة من الفصل الثاني، ص١٤٨.

محمل المجاز لاستغراقها بالتفاصيل والمفردات»[١].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

أعجب من كلام هذا الطاعن، ما المانع عقلاً من أن تكون بهذه السعة؟ فنحن في حياتنا الدنيا نشاهد أن أبواب دور العبادة وأبواب النوادي والمسارح وغيرها تكون كبيرة بما يتناسب مع حجمها، ليتسنى للناس الدخول بسهولة ومنعاً للازدحام، وهذا لا يجادل فيه أحد، وعليه فالمنطق السليم أن تكون أبواب الجنة كبيرة متناسبة مع سعتها، فلقد وصف الله تعالى الجنة في القرآن بالسعة والعظمة فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٣]. فما دامت بهذه السعة، فلا بدَّ أن تكون أبوابها متسعة جداً على قدر حجمها، ومع هذه السعة الكبيرة ستغصُّ بالداخلين يوم القيامة، كما في ورد حديث معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنتم تُوفون سبعين أمةً أنتم آخرُها، وأكرمُها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتينَّ عليه يوم وإنه لكظيظ»[٤].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٧٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.
(٣) سورة الحديد، الآية ٢١.
(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢٠٠٢٥)، ج٣٣، ص٢٢٨، وإسناده حسن.

المطلب الثالث:

حديث: يدعى صاحب كل عِبادة من بابها، وحديث أبواب الجنة ثمانية.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[١]، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عبدالله هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الريَّان، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[٢].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن سهل بن سعد ﷺ مرفوعاً: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى

---

(١): معنى قوله: «زوجين»: أي: شيئين، كدينارين، أو درهمين، أو ثوبين، وشبه ذلك. وقيل: دينار وثوب، أو درهم ودينار، أو ثوب مع غيره، أو صلاة مع صوم، فيشفع الصدقة بأخرى، أو فضل خير بغيره. قاله ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج١٣، ص٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا» (٣٦٦٦)، ج٥، ص٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر(١٠٢٧)، ج٢، ص٧١١.

الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»[١].

الشـبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «إننا إذ نقوم بمناقشة الرواية فإننا نؤكد أنه لا يسعنا ولا يسع غيرنا تقرير أية قضية واعتبارها من الحقائق المتعلقة بالجنة أو النار – عدا ما ورد في كتاب الله – لذلك ستبقى المناقشة ضمن حدود تصادم الرواية مع البديهيات، والواقع الذي يفرضه العقل والمنطق، وتتحمله طبائع الأشياء، فنقول:

١– إذا كان للجنة أبواب، فهذا يعني أمرين:

– وجود جدران أو سياج، لأن الأبواب لا تركب في الفراغ.

– وجود حيز خارج الجنة، أي خارج تلك الجدران، ليس من ضمن الجنة».

ثم قال:

٢– لم نتمكن أن نفهم عملياً – أو حتى نظرياً – كيفية تخصيص أبواب الجنة لأهل الأعمال حسب أعمالهم.

فالصائم هو مصلّ بالضرورة، وإلا فلن تقبل صلاته. والمجاهد هو حتماً من الصائمين والمصلين، وإلا فلا اعتبار لجهاده. والمتصدق كذلك، وإلا لردت صدقته.

إذن فإن الذي سيدخل الجنة هو المؤمن الحقيقي الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويجاهد في سبيل الله، وهذا هو ما تدعمه النصوص الإلهية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة (٣٢٥٧)، ج٤، ص١١٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (١١٥٢)، ج٢، ص٨٠٨.

فإذا كان للصلاة باب ودخلها المصلون، وهم أنفسهم الصائمون المجاهدون المتصدقون، فمن سيدخل من الأبواب الأخرى؟ ولمن وضعت؟

وعلى ذلك سيكون السؤال الذي وضعوه على لسان أبي بكر وجواب النبي صلى الله عليه وسلم منافياً للمنطق، ومخالفاً للواقع، لأنه عملياً لا يمكن دخول نفس الشخص من ثمانية أبواب في نفس الوقت.

نعم، يمكن حدوث ذلك إذا قلنا: إن عمليات الدخول والخروج ستكون متعاقبة، أي سيجري إدخال أبي بكر من باب الصلاة، ثم يخرجوه ليعيدوه من باب الصيام «الريان» ثم يخرجوه ثم يعيدوه، وهكذا إلى أن يتم إدخاله من الأبواب الثمانية، وعندها سيكون من حقنا أن نسأل: لمَ كل هذا؟ أليس الدخول إلى الجنة قد تحقق منذ المرة الأولى؟ فعلامَ هذا التكرار، وما هو مبرره، وما هي الحكمة منه؟ أليست الجنة هي الهدف النهائي الذي يسعى إليه الخلق جميعاً بما فيهم الأنبياء والرسل؟ أم أن الأبواب هي الهدف؟»

وقال في موضع آخر: «إن أمثال هذه الأحاديث لا يمكن حملها على المجاز لأنها تتضمن أسماء وحركات لا بد أن تكون ممثلة لواقع معين ملموس، فعندما نقول: إن للجنة ثمانية أبواب، وذكرنا اسماً لكل منها، وحددنا من سيدخل من كلٍّ منها، فهذه أمور خارجة عن مجال المجاز، ولا بد أن تمثل واقعاً يقصده المتحدث»[١].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- يعترف الطاعن بأنه يردُّ الأحاديث الصحيحة من خلال الواقع الذي يفرضه العقل

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٨٨-١٨٩ و٢١٥.

والمنطق، وتتحمله طبائع الأشياء، فهو يقيس بعقله المحدود أمور الأخرة على أمور الدنيا، وهل الآخرة مثل الدنيا حتى يقيس تلك على هذه؟!

وكما يقول الأصوليون: الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فهل الطاعن يعرف أمور الآخرة حتى يقيسها على أمور الدنيا، لا زال العلم الحديث يجهل أكثر مما يعرف عن أمور الدنيا، فكيف بالآخرة التي لا عين رأتها ولا خطرت على قلب بشر؟!

٢- قوله: لا بدَّ من وجود جدران أو سياج لأن الأبواب لا تركب على فراغ. أقول: هذه لوازم عقلية يحاول الطاعن إلزامنا بها، وهي ليست بلازمة، فهل هي غير معقولة حتى يلزمنا بها؟ لو كانت كذلك لقلت له: كلامك صحيح، لكنها معقولة.

٣- ما المشكلة في وجود حيز خارج الجنة؟ وهل كل الكون يجب أن يكون داخل الجنة؟!

٤- وأما نداؤه من أبواب الجنة الثمانية، فما هو إلا على سبيل الإكرام، كما قال ابن الملقن: «يريد أن من كان من أهل الصلاة والجهاد والصيام والصدقة يدعى منها كلها، فلا ضرورة عليه في دخوله من أي باب شاء، لاستحالة دخوله منها كلها معاً، ولا يصحُّ دخوله إلا من باب واحد، ونداؤه منها كلها إنما هو على سبيل الإكرام والتخيير له في الدخول من أيها شاء»[١].

قلت: ويؤيد هذا الكلام ما رواه مسلم من حديث عمر مرفوعاً: «ما منكم مِن أحدٍ يتوضأ فيبلغ -أو فيسبغ- الوضوءَ ثم يقول: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً عبدالله ورسولُه إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلُ مِن أيِّها شاء»[٢]، فأوضح هذا الحديث أن المدعو إلى هذه الأبواب إنما هو

---

(١) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج١٣، ص٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (٢٣٤)، ج١، ص٢٠٩.

بالخيار، يدخل من أيها شاء، لا أنه يدخل منها كلها، ولا أنه يدخل ثم يخرج ليدخل من الباب الآخر كما افترض هذا المعترض!!

ويجمع بين قوله: «يدخلُ من أيِّها شاءَ» وبين قوله: «فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ» بأنَّه في الأصل مُخيَّر، لكنَّه يَرى أنَّ الذي يَختَصّ به أفضلُ في حقّه، فيختاره فيَدخُله مُختاراً لا مجبوراً ولا ممنوعاً من الدُّخول من غيره[١].

وذهب ابنُ عبد البر إلى أن معنى الدعاء من الأبواب هو إعطاؤه ثواب العاملين ونيله ذلك[٢].

---

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢٢٣.

(٢) انظر ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج٧، ص١٩٢-١٩٣.

المطلب الرابع:

حديثان في آخر من يدخل الجنة، وحصته فيها.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب...» إلى أن قال:

«حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعبدالله، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا(١) فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٢).

ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي(٣) رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا(٤)، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ،

---

(١) امتَحَشوا، بالمثناة الفوقية والمهملة المفتوحتين والشين المعجمة، بالبناء للفاعل، وفي بعض النسخ: امتُحِشوا، بضم المثناة وكسر الحاء، بالبناء للمفعول. أي: احترقوا واسودّوا. قاله القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص١١٦.

(٢) الحبة، بكسر الحاء المهملة: بزور الصحراء مما ليس بقوت. «حميل» بفتح الحاء المهملة وكسر الميم، ما جاء به السيل من طين ونحوه. شبه به لأنه أسرع في الإنبات. انظر المرجع السابق.

(٣) قشبني، بقاف فشين معجمة مخففة فموحدة مفتوحات، والذي في اللغة بتشديدة الشين، أي سمني وأهلكني. انظر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٢، ص١١٦.

(٤) قال ابن منظور: الذَّكاءُ: شدةُ وهَجِ النارِ؛ يُقَالُ: ذَكَّيْتُ النارَ إِذَا أَتْمَمْتَ إِشْعالَها ورفَعْتَها. لسان العرب، ج١٤،

فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا[١]، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ، أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»[٢].

ص٢٨٧.

(١) زَهْرةُ الدنيا بالسكون: غضارتها وحسنها. انظر الجوهري، الصحاح، ج٢، ص ٦٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود (٨٠٦)، ج١، ص١٦٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢)، ج١، ص١٦٣. وتقدم ذكر أول هذا الحديث في المبحث الأول:

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن عبدالله بن مسعود ﷺ مرفوعاً: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا[١]، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[٢]، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[٣].

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «ما معنى أن يؤكل الجسد كله ما عدا قطعة صغيرة من جبهته؟

إن الإنسان الذي ارتكب من المعاصي والآثام ما جعله أهلاً لدخول النار لن يكون سجوده أصلاً ذا قيمة، ناهيك عن أثر ذلك السجود، لأن قبول الصلاة مقترن بقبول ما سواها، وكذلك سائر العبادات حيث يكون الأصل فيها صدق التوجه والإقرار بالعبودية لله والالتزام بأوامره ونواهيه.

الشبهات في أحاديث الحشر والحساب، ص١٣٥، وفي المبحث الثالث: الشبهات في أحاديث الميزان والصراط، من الفصل الثاني ص١٦٤.

(١) كَبا لوجهه يَكْبو كَبْواً: سقط. قاله الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٤٧١.

(٢)الناجِذُ: آخرُ الأضراسِ. قاله الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٥٧١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٧١)، ج٨، ص١١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا (١٨٦)، ج١، ص١٧٣، ورواية مسلم مطولة.

فارتكاب المرء ما يفضي به إلى النار، يعني أنه لم يكن مؤمناً بالله إيماناً كافياً وحقيقياً، وهذا يجرُّ إلى الطعن بصحة صلاته، ناهيك عن قبولها.

إن هذا الحديث يتعارض مع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[1]، والذي فيه دلالة على أن النار لن تتلف جسد الإنسان ولا جلده حتى يقال: إنهم سيتعرفون عليه من آثار السجود، لأن مهمة النار ستكون إنضاج الجلد إلى درجة يقترب معها من التلف، فيجري تبديلها، ومعلوم ما في ذلك من حكمة تستهدف المحافظة على استمرار الشعور بالألم، لأن الأعصاب الناقلة لإيعازات الإحساس بالألم من وإلى الدماغ تتخلل جلد الانسان، وإن تلفها يعني توقف الشعور بالألم مما لن يُبقي تأثيراً محسوساً للاستمرار في تعريض الجسد إلى النار.

وقد ذكرت الرواية أن الذين يتم إخراجهم من النار ويلقون في ماء الحياة أو نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل. وهذا لا يصح مع ما ذكرناه من دلالات للآية آنفة الذكر، يضاف إليه أن ماء أو نهر الحياة لم نسمع بهما إلا في هذا الموضع.

أما الحوار المزعوم الذي دار بين الباري عز وجلّ وبين العاصي الآخير المزمع إخراجه من النار، فنقول فيه: إن الله لو شاء أن يغفر لعبد فلا رادّ لمشيئته، ولا رقيب عليها، فلماذا هذه التجزئة وما هي حكمتها؟ ولماذا هذه السلسلة من الإجراءات:

- يخرجه من النار

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٦.

- ثم يلقيه في نهر الحياة
- ثم يضعه بين الجنة والنار .. ولكن وجهه يقابل النار
- ثم يصرف وجهه عنها
- ثم يقربه من الجنة
- ثم يدخله فيها

وفي كل هذه المراحل يستخدم العبد العاصي مختلف وسائل الحيلة واللباقة، ويعطي العهود والمواثيق، ولكنه يغدر ولا يلتزم بها، ويستمر في سوء الأدب إلى نهاية المطاف حيث يكون جوابه على ذلك اللطف الإلهي المضروب بعشرة أمثاله... فهل يتقبل العقل والضمير الحي حدوث مثل هذا الحوار؟»[١].

ويقول محمَّد النجمي: «يعِدُه كذباً ويقرُّ الميثاق على عدم السؤال ثانية، وعندما لبَّى الله تعالى له طلبه وضمن له الحاجة الأولى يخلف الوعد، وينكث العهد، ويسأل مرة اخرى، ويخدع ربَّه في هذه المرة كذلك، وهكذا مرة بعد أخرى يكرر هذا العمل»

ثم قال: «يجرؤ في أن ينسب صفة الاستهزاء والسخرية –التي هي من صفات الجاهلين– إلى الله! ويقول لله: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! أعاذنا الله من هذه الموضوعات والخزعبلات وأقوال الزور من المزورين والقائلين بها، ونستغفره من كل ذلك»[٢].

ويقول محمَّد جواد: «طالما هذه النار التي تصهر الحجر والمدر، والخوارج من أهل النار

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٨٣–١٨٥.

(٢) النجمي، أضواء على الصحيحين، ص١٦٢ و١٦٣.

فكيف بهذه النار لا تصهر تلك الجباه؟!

وإن قلنا بعدم شموله، كَذَّبنا هذا الحديث.

وفي الرواية أيضاً أن آخر الناس دخولاً الجنة كان يعطي العهود والمواثيق الكاذبة لله سبحانه وتعالى بأن لا يسأله غير ذلك وكان ينقض تلك العهود بطلباته الكثيرة، فهل كان الله جل وعلا يتسلَّى مع هذا الرجل؟!

وفيها أيضاً اختلاف قول أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وهما في مجلس واحد!! وهو قول أبي هريرة: «لك ومثله» وقول أبي سعيد الخُدري: «وعشرة أمثاله»!!»[(١)].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- هذه العقيدة التي ذكرها الطاعن هي عقيدة المعتزلة، أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار لا يستحق دخول الجنة[(٢)]، وقدمت الكلام في التمهيد بأن عقيدة الاثني عشرية تتشابه وعقيدة المعتزلة في كثير من الأشياء، لهذا قال: «فارتكاب المرء ما يفضي به إلى النار، يعني أنه لم يكن مؤمناً بالله إيماناً كافياً وحقيقياً، وهذا يجرُّ إلى الطعن بصحة صلاته»، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من أن ارتكاب الكبائر لا يخلد المسلم في النار، وأن الأعمال توزن يوم القيامة فمن رجحت حسناته على سيئاته نجا، ومن لم ترجح حسناته على سيئاته فإنه يعذب في النار حيناً من

---

(١) جواد، كشف المتواري، ج٣، ص٥٤٧.

(٢) انظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٦، والقاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٩ فما بعد.

الزمن ثم يخرجه الله منها ويدخله الجنة، وقد يرحمه الله بلا عذاب، فهو في المشيئة[(١)].

٢- وأما استشهاده بهذه الآية فلا يصحُّ البتة، فصدر الآية الكريمة يتحدث عن الكفار لا عن عصاة المسلمين كما هو واضح، والحديث يشير إلى أن المصلين -وهم مسلمون- لا تصيب النار منهم مواضع السجود، وأما باقي الجسد فتصيبه النار. وفهم الطاعن من قوله صلى الله عليه وسلم: «تأكله النار» أن هذا يمنع من الإحساس، وهذا غير صحيح، فقوله في الحديث: «تأكله» هو يساوي قوله في الآية: ﴿نَضِجَتۡ﴾، لأنه بعد أكل النار لجلود أهلها، وهو احتراق الجلد سيبدل الله جلودهم من جديد، وفسَّر المفسرون قوله: ﴿نَضِجَتۡ﴾: **باحترقت واشتوت**[(٢)]، فلا تعارض بين الحديث والآية بحمد الله تعالى[(٣)].

٣- زعم الطاعن بأن إلقاء الخارجين من النار في ماء الحياة أو نهر الحياة ومن ثم نباتهم كما تنبت الحبة في جانب السيل، لم يُسمع بهما إلا في هذا الحديث، وليس كذلك، فقد شارك أبا هريرة في رواية الحديث أبو سعيد الخُدري في غير هذه الرواية ومن غير هذا المخرج عند البخاري ومسلم[(٤)]، وشاركه أيضاً في روايته أنس بن مالك عند الإمام أحمد[(٥)].

٤- قوله: «إن الله لو شاء أن يغفر لعبد فلا رادّ لمشيئته، .. فلماذا هذه التجزئة وما هي

(١) انظر الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي (ت ٣٢١هـ)، ضمن شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢٤.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٧، ص١٦٣.

(٣) وسيأتي مزيد على ما هاهنا في المبحث الأول: الشبهات في أحاديث الجنة والنار، من الفصل الثالث، ص١٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٢٢)، ج١، ص١٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٤)، ج١، ص١٧٢.

(٥) ابن حنبل، المسند، (١٢٤٦٩) ج١٩، ص٤٥١-٤٥٣، وإسناده حسن.

حكمتها؟» نقول: لا شك أن الله يفعل ما يشاء لا مُعقِّب لحكمه، وهو لا يُسأل –سبحانه– عمَّا يفعل، فلماذا يسأل الطاعن عما يريد أن يفعله الله بأسلوب الاعتراض، ولو أنه تفكر قليلاً لعلمَ الحكمة من ذلك.

لماذا أهل الأعراف لم يدخلهم الله الجنة مباشرة، أليس في مقدوره فعل ذلك؟ هل سألَ الطاعن نفسه لماذا؟

فالجواب عنها هو الجواب نفسه عمَّا في الحديث، فبقاء أهل الأعراف فترة من الزمن خارج الجنة هو كالعقاب لهم حتى يأذن الله لهم بدخول الجنة، لأنهم قوم استوت حسناتُهم وسيئاتهم كما قاله غيرُ واحد من الصحابة كحُذيفة وابنُ مسعود وابن عباس، وغيرهم من السلف والخلف[١].

٥– وأما جعل الطاعن ذلك الإنسانَ سيئ الأدب محتالاً، فليس كذلك، فلا هو سيئ الأدب ولا محتال، بل كل ما هناك أنه سأل الله تعالى وتمنَّى عليه، ولما سأله الله أنه إن أعطاه لا يسأل المزيد، كان صادقاً في جوابه وغير محتال؛ لأنه كان إذا رآى النعيم لم يصبر عنه، وضعف أمامه من جديد، وهذا ما أشار إليه حديثُ ابن مسعود الذي رواه مسلم[٢]: «يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتُكها سألتَني غيرَها. فيقول: لا، يا ربِّ، ويُعاهده أن لا يسأله غيرها، **وربُّه يعذرُه لأنه يرى ما لا صبرَ له عليه**، فيُدنيه منها، فيستظلُّ بظلها، ويشرب من مائها.

ثم تُرفع له شجرةٌ هي أحسن من الأولى، فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه لأشرب من مائها، ... فيعاهده أن لا يسأله غيرها، **وربُّه يعذرُه لأنه يرى ما لا صبر له عليه**، فيُدنيه منها فيستظل بظلها،

---

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٤١٨.

(٢) في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً (١٨٧)، ج١، ص١٧٤.

ويشرب من مائها.

ثم تُرفع له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه لأستظل بظلها، ... يا ربِّ، هذه لا أسألك غيرها، **وربُّه يعذرُه لأنه يرى ما لا صبرَ له عليها**، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي ربِّ، أدخلنيها، فيقول: يا ابنَ آدم ما يَصْرِينِي[1] منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟» وبهذا يندفع ما قاله الطاعن، والحمد لله.

وأما قول **النجمي** بأنه يخدع ربَّه، فلا أدري من أين استنبط ذلك، فرواية مسلم التي سقتها تبيِّن أن الله تعالى يعذره، وهذا من سعة رحمته ولطفه بعبده؛ لأن هذا العبد ضعيف لا يصبر، وقد نصَّ الكتابُ العزيز على ضعفنا وقلة صبرنا[2]، وكذلك الحديث: «**لأنه يرى ما لا صبرَ له عليها**»، فهذا ليس خداعاً.

وكذلك قوله: «أتستهزئ مني» هذا في ظنه، وسبب ذلك أنه كان يسأل الله كلما رأى شجرة أن يدنيه منها، وكان الله يقول له: «لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا ربَّ» فهذا الذي جعليه يقول ما قال لما امتن الله عليه بإعطائه عشرة أمثال الدنيا. وهذا واضح لا يحتاج إلى كبير تأمل.

وأما قول **محمَّد جواد:** اختلاف قول أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وهما في مجلس واحد، فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر فقال: «ويُمكِن أن يُجمَع بأن يكون عشرة الأَمثال إنَّما سمعَه أبو سعيد في حَقِّ آخرِ أهل الجنَّة دخولاً، والمذكور هنا في حَقّ جميع مَن يَخرُج بالقَبْضة. وجَمَعَ عِيَاض بين

---

(١) بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة. معناه: ما يقطع مسئلتك مني؟ مأخوذ من الصَّرْي بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع. انظر الجوهري، الصحاح، ج٦، ص ٢٤٠٠. والنووي، شرح مسلم، ج٣، ص٤٢.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ سورة النساء، الآية ٢٨، وقال: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ سورة الإسراء، الآية١١.

حديثَي أبي سعيد وأبي هريرة باحتمال أن يكون أبو هريرة سمعَ أوَّلاً قوله: «ومثله معه» فحدَّث به، ثمَّ حدَّث النبيّ صلى الله عليه وسلم بالزّيادة فسمعَه أبو سعيد»[١].

قلت: ومع هذا فقد روى الحديث كما رواه أبو سعيد بذكر عشرة أمثال الدنيا غير واحد من الصحابة الكرام، منهم عبدالله بن مسعود عند البخاري ومسلم[٢]، والمغيرة بن شعبة عند مسلم[٣]، وجابر بن عبدالله عند مسلم[٤]، حتى قال إسحاق بن راهويه: «هذا من أشرف الحديث، وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، منهم: حذيفة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وغيرهم»[٥]. فلا يظنَّ ظانٌّ أنها غير صحيحة، والحمد لله رب العالمين.

ومع ذلك أنا أسأله: من أين علمت أن أبا هريرة وأبا سعيد سمعا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد؟ قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. فليس في شيء من الروايات أنهما سمعاه من النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد، والذي جاء في الروايات أن أبا هريرة لما حدث به كان أبو سعيد في مجلسه، وهذا وقت الأداء، أداه أبو هريرة لمن كان حاضراً من الناس، وهو غير وقت التحمل من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الطاعن جعل مجلس التحمل ومجلس الأداء واحداً!!

---

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢٠، ص٥١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٧١)، ج٨، ص١١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا (١٨٦)، ج١، ص ١٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٩)، ج١، ص ١٧٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٩١)، ج١، ص ١٧٨.

(٥) أسنده عنه ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، عقب الرواية (٦٤٧٦)، ج١٤، ص٣٩٦.

المطلب الخامس:

حديث رؤية النبي ﷺ الجنة والنار حال صلاته للخسوف، وحديث عامة أهل الجنة المساكين.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن عبدالله بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ[(١)]؟ قَالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ

---

(١) أي: أحجمت وتأخرت إلى وراء، قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٨٠.

رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(١).

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أسامة بن زيد ﷺ مرفوعاً: «قُمْتُ عَلَى بَابُ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابُ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ»(٢).

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «إن ما ورد في الرواية كله غريب.. فمتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ومدّ يده ليقطف من ثمارها؟

لا بد أن يكون قد رآها عندما أسري به أو في المنام .. فإذا قيل: عندما أسري به. قلنا: إن أكثر روايات الإسراء والمعراج موضوعة، وليس هناك ما يؤيدها في كتاب الله أو في الحديث الصحيح.

وعلى افتراض صحة هذه الرواية، فلماذا عجز النبي عن قطف العنقود وقد حاول ذلك ومدّ يده؟

وإذا قيل: إنما كان ذلك في المنام، فلن يبقى أي معنى لقوله: «لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة (١٠٥٢)، ج٢، ص٣٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٩٠٧)، ج٢، ص٦٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (٥١٩٦)، ج٧، ص٣٠.

الدنيا»؛ لأن ما يحصل في المنام لا يمكن أن يمتد إلى الواقع.

أما موضوع كون أكثر أهل النار من النساء، فمع كونه من سقط القول، فإن تبريره بهذا التبرير ليس منطقياً ولا معقولاً؛ لأن الراوي ربط ذلك بكفرهن العشير ونكرانهن إحسانه، وهذا مجرد لغو وكلام فارغ ننزّه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قوله»[١].

ويقول جعفر السبحاني: «لو ثبت الحديث وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم اطّلع من عالم الغيب على أنّ أكثر أهل النار من النساء، لأخذنا به، لكنّه لم يثبت، والواقع المشهود في تاريخ البشر هو انّ نسبة وقوع المعاصي من قِبل الرجال أكثر منه عند النساء، فثمة معاصي موبقة لا يقوم بها غالباً إلاّ الرجال كاللواط والسرقة والقتل وغيرها.

أمّا النساء فيلازمن المنازل غالباً ويقمنَ بالوظائف البيتية أو العمل في المزارع والمعامل.

أضف إلى ذلك انّ المعاناة التي تلاقيها المرأة أيّام الحمل والوضع بمثابة مطهر لها من الذنوب ولو ماتت في هذا السبيل ماتت شهيدة، روى النَّسائي عن عقبة بن عامر أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «والنفساء في سبيل اللّه شهيد»[٢]. ومن لاحظ الروايات الواردة في هذا المجال رأى فيها قسوة ظاهرة في حقّ النساء»[٣].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٨٥.

(٢) النَّسائي، السنن، كتاب الجنائز، باب مسألة الشهادة (٣١٦٣)، ج٦، ص٣٧. وفي إسناده عبدالله بن ثعلبة الحضرمي تفرد بالرواية عنه عبدالرحمن بن شريح، ولم يؤثر توثيقه عن أحد، وذكره ابن حبان في الثقات. لكن يشهد له حديث أبي هريرة عند أحمد (٨٠٩٢)، ج، ص، ولفظه: «إن شهداء أمتي إذا لقليل القتل في سبيل الله شهادة، والبطن شهادة، والغرق شهادة، والنفساء شهادة، والطاعون شهادة»، وهو عند مسلم (١٩١٥)، ج٣، ص١٥٢١، لكن من دون ذكر النفساء.

(٣) السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص٢٥٠.

١- قول الطاعن: أكثر روايات الإسراء والمعراج موضوعة، وأنه ليس هناك ما يؤيدها. أقول: سأفترض أن كلامه صحيح، فالروايات الضعيفة التي وردت في قصتي الإسراء والمعراج لا تعنينا، بل الذي يعنينا هو هذا الحديث، وهو صحيح بلا ريب، لأنه صحيح الإسناد من جهة، ومن جهة أخرى رواه مع ابن عباس -وهو من آل البيت-، أربعةٌ من كبار الصحابة، وهم أمُّ المؤمنين عائشة، وأختها أسماء، وجابر بن عبدالله، وعقبة بن عامر، وكلها في «الصحيح» إلا الأخير، وهذا الأخير في صحيحي ابن خزيمة وابن حبان(١). فهل يريد هذا الطاعن أصح من هذا الحديث؟!

٢- وأما عدم أخذه صلى الله عليه وسلم العنقود، فقد أوضحته رواية جابر المذكورة، وفيها «فقصرت يدي عنه»، وفي رواية جابر عند أحمد(٢)، وأبي سعيد الخُدري عند أبي يعلى(٣): «فحيل بيني وبينه».

وعلل ابنُ بطال ذلك بقوله: «ولم يأخذه صلى الله عليه وسلم، ولم يأكل منه في الدنيا؛ لأن طعام الجنة باق أبدًا لا يفنى، ولا يجوز أن يكون شيء من دار البقاء في دار الفناء(٤). وقد قدَّر الله أن

(١) حديث عائشة أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة (١٢١٢)، ج٢، ص٦٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (٩٠١)، ج٢، ص٦١٩. وحديث أسماء أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (٨٦)، ج١، ص٢٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف (٩٠٥)، ج٢، ص٦٢٤. وحديث جابر أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف (٩٠٤)، ج٢، ص٦٢٢. وحديث عقبة بن عامر أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الرخصة في تناول المصلي الشيء عند الحادثة تحدُثُ (٨٩٠)، ج٢، ص٥٠، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب من صفته صلى الله عليه وسلم، وأخباره (٦٤٣٢)، ج١٤، ص٣٤٣.

(٢) ابن حنبل، المسند (١٤٨٠٠)، ج٢٣، ص١٠٩.

(٣) أبو يعلى الموصلي، المسند (١١٤٧)، ج٢، ص٣٨٠.

(٤) قلت: ويؤيده قوله ما جاء في حديث ابن عباس الذي نحن بصدده: «لأكلتم منه ما بَقِيَتِ الدُّنيا»

رزق الدنيا لا ينال إلا بالتعب فيه والنصب، ولا يبدل القول لديه، وأيضًا فإن طعام الجنة إنما شوَّق اللهُ إليه عباده، ووعدهم نيله جزاءً لأعمالهم الصالحة، والدنيا ليست بدار جزاء، ولذلك لم يصح لهم في الدنيا أخذه»[١].

٣- جعل الطاعنُ دخولَ النساء النار بسبب كفران الزوج وكفران الإحسان من سقط القول، وقزَّم الموضوع لدرجة أنه صيَّره كلاماً فارغاً، مع أن هذا الحديث ثبت عن جمع من الصحابة غير روايتي ابن عباس وأسامة بن زيد، وهم أبو سعيد الخُدري وجابر وابن عمر وأبو هريرة وابن مسعود [٢]، فصار مجموعهم سبعة صحابة، فالحديث مستفيض في أقل أحواله، إن لم يكن متواتراً.

وهذا الحديث يدل على أن كفران الزوج والإحسان من الكبائر، لأن التوعد بالنار من علامة كون المعصية كبيرة كما قال النووي[٣]، وقد عرفنا أن المعتزلة وتبعتهم الشيعة يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في النار، فما باله هنا يخالف أصوله ومذهبه، ويعتبر هذه الكبيرة من سقط القول وأنها كلام فارغ؟!

ومعلوم أن طاعة الزوج بالمعروف هو الأساس الأهم في بناء الأسرة، لذلك أعطاه الشارع

---

(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج٣، ص٤٢.

(٢) حديث أبي سعيد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤)، ج١، ص٦٨، وحديث جابر أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب صلاة العيدين (٨٨٥)، ج٢، ص٦٠٣. وحديث ابن عمر أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٧٩)، ج١، ص٨٦. وحديث أبي هريرة أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان، وحسنه (٢٦١٣)، ج٥، ص١٠. وحديث ابن مسعود أخرجه النَّسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب ما ذكر في النساء (٩٢١٢) و(٩٢١٣)، ج٨، ص٢٩٨.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٢، ص٦٦.

الحكيم القوامة، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[(١)]، وإن ما ينجم عن ذلك من هدم لهذا الأساس هو هدم للأسرة التي هي لبنة أساس المجتمع، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جمع من الصحابة أنه قال: «لو أَمَرْتُ أحداً أنْ يَسجُدَ لأحدٍ، لَأَمَرْتُ المرأة أنْ تَسجُدَ لزوجها»[(٢)].

وقول السبحاني: والواقع المشهود في تاريخ البشر أن وقوع المعاصي من الرجال أكثر من النساء. فأقول: من أين علمت هذا؟ هل لديك إحصائيات؟ ثم لماذا قصرتَ المعاصي على ما ذكرته من لواط وسرقة وقتل، المعاصي أكثر من ذلك بكثير، فكما أن بعضها يرتكبه الرجال أكثر من النساء، فبعضها الآخر ترتكبه النساء أكثر من الرجال.

والعجيب أن هذين الطاعنين ربما لا يعلمان أن هذا الحديث رواه الكليني في «الكافي» أصحِّ كتبهم بسنده عن جابر الجُعفي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم النحر إلى ظهر المدينة على جمل عاري الجسم، فمرَّ بالنساء فوقف عليهن، ثم قال: يا معاشرَ النساء تصدقنَ، وأطِعْنَ أزواجكن، فإنَّ أكثرَكنَّ في النار. فلما سمعْنَ ذلك بكيْنَ، ثم قامت إليه امرأةٌ منهن فقالت: يا رسولَ الله صلى الله عليه وآله، في النار مع الكفَّار؟! والله ما نحن بكفَّار

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩٤٠٣)، ج٣٢، ص١٤٥، وابن ماجه (١٨٥٣)، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، ج١، ص٥٩٥ من حديث عبدالله بن أبي أوفى، وأحمد في المسند (٢١٩٨٦)، ج٣٦، ص٣١١ من حديث معاذ بن جبل، وأحمد في المسند (٢٤٤٧١)، ج٤١، ص١٨، وابن ماجه في الكتاب والباب نفسهما (١٨٥٢)، ج١، ص٥٩٥ من حديث عائشة، والدارمي في السنن (١٥٠٤)، ج٢، ص٩١٧، وأبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة (٢١٤٠)، ج٢، ص٢٤٤ من حديث قيس بن سعد، والدارمي في السنن (١٥٠٥)، ج، ص٩١٨ من حديث بريدة، والترمذي في السنن، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (١١٥٩)، ج٣، ص٤٥٧، وابن حبان في صحيحه (٤١٦٢)، ج٩، ص٤٧٠ من حديث أبي هريرة.

فنكون من أهل النار. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: إنكنَّ كافرات بحقِّ أزواجِكن»[١].

فهل سيبقى الحديث بعد أن رواه الكليني في «الكافي» منكر المتن، أم يمكن أن يصحَّح؟

---

(١) الكليني، الكافي، ج٥، ص٥١٤.

المطلب السادس:
حديث تحاجّ الجنة والنار.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا.

فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»(١).

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي –وبنحوه يقول جعفر السبحاني–: «تضمن (هذا الحديث) مشادّة ومزايدات كلامية بين الجنة والنار، فالجنة تندب حظها العاثر؛ لأنها لا يدخلها غير ضعفاء الناس وسقطهم، والنار تزهو بأنها أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، فيحسم الباري عز وجل النزاع، فيخبر الجنة أنها رحمته، والنار أنها عذابه، وطمأنهما بأنهما ستمتلئان، فأما النار فإنها لن تمتلئ حتى يضع فيها رجله، فتقول: قط قط، وأما الجنة فسيخلق الله لها خلقاً جديداً حتى تمتلئ!!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ (٤٨٥٠)، ج٦، ص١٣٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٧.

فهل هذا كلام يقبله عقل أو يستسيغه ذوق؟ وهل يصدق مؤمن يعرف عظمة الله، ودقيق حكمته، وبديع خلقته، ولطيف صنعته مثل هذا الحديث؟

ماذا نفعل وقد ابتلينا بأناس عطلوا عقولهم، ونبذوا خلف ظهورهم كل ما في ديننا العظيم من أفكار عملاقة، وشرائع جبارة، وسنن خلاقة، وآيات خارقة، ومبادئ سامية، ومعارف راقية، وراحوا يلهثون وراء كل ناعق لينشغلوا بالقشور والتفاهات والروايات الباطلة التي لا تصلح الا حكايات للأطفال، وعندما يعترض عليهم معترض ينبرون للدفاع ويناضلون من أجل التأويل، وليتهم يستطيعون.

ونقول في الرد على هذا الحديث:

١- يا ترى بأي لسان تكلمت الجنة والنار؟ وبأي عقل فكرتا؟ وبأي عين شاهدتا؟ وبأي حس انفعلتا؟ ومن أي مبدأ انطلقتا وهما تتحاوران ذلك الحوار الساذج؟ وكيف استطاعت النار أن تعلم أنها أوثرت بالمتكبرين والجبابرة ولم تستطع أن تعلم أنها دار عذاب؟ وكيف عرفت أنهم من المتكبرين والجبابرة، أمن سابق لقاء، أم من واقع حال؟

ونفس الكلام نقوله عن الجنة، وكان الحري بها لو كانت تحس وتعقل وتتأثر وتتكلم أن تعرف أن هؤلاء الضعفاء والمساكين الذين دخلوها ما هم إلا أنبياء الله ورسله والصالحون والمؤمنون من عباده؟

٢- أولم يروِ أبو هريرة نفسه أن جبل أحد ارتجف عندما صعده النبي وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اثبت أحد، إنما عليك نبي وصديق وشهيدان» فلماذا عرف الجبل مَن صعده فارتجف، وجهلت الجنة آلاف الأنبياء والرسل والصالحين الداخلين إليها، فراحت تصفهم بالضعفاء وسقط الناس؟

٣- ماذا يضير الجنة أو النار إن امتلأتا أم لا؟ أليستا مخلوقتين لله يفعل بهما ما يشاء، ويدخل فيهما من يشاء؟

وما هي ضرورة امتلائهما التي ألجأت الجليل سبحانه وتعالى إلى وضع رجله أو قَدَمه في النار، وإيجاد خلق جديد يُدخله الجنة بلا عمل، لكي تمتلئا؟!!

إن الذي جرَّهم إلى هذه التأويلات هو وجود كلمة «الامتلاء» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[(١)]، وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٢)]، ولو علموا أن الامتلاء المقصود يتعلق بمن سيدخل الجنة والنار وليس بذات الجنة والنار، لما تكلفوا كل هذه المسالك الوعرة»[(٣)].

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- زعم هذا الطاعن أن هذا الحديث من الروايات الباطلة، لأنه لم يعجبه ولأنه يخالف عقله.

أقول: إن هذا الحديث من أصحِّ الأحاديث، فقد صحَّ من طريق جمع من التابعين عن أبي هريرة رضي الله عنه، هم: عبدالرحمن الأعرج، وهمام بن منبه، ومحمد بن سيرين، وأبو سلمة بن عبدالرحمن[(٤)].

---

(١) سورة ق، الآية ٣٠.

(٢) سورة ص، الآية ٨٥.

(٣) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢١٧-٢١٩، والسبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص٣٣٨.

(٤) طريق عبدالرحمن الأعرج أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ (٧٤٤٩)، ج٩، ص١٣٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،

وشارك أبا هريرة في روايته أيضاً أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه، فرواه عنه اثنان من التابعين: أبو صالح السمان، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة[(١)].

وصحَّ شطرُه الثاني – وهو وضع القدم – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[(٢)]. فهل بعد كلِّ هذا يقال فيه: حديث باطل؟!!

٢- وقوله: بأي لسان تكلمتا؟ وبأي عقل فكرتا؟ أقول له: بأي لسان تكلمت السماوات والأرض؟ وبأي عقل فكرتا لما قال الله لهما ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾؟[(٣)]، ربما قال: هذا كناية عن الطاعة والانصياع.

فحينئذ أقول له: بأي لسان تكلمت الأيدي والأرجل؟ وبأي عقل فكرتا؟ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ

باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٦. وطريق همام أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ (٤٨٥٠)، ج٦، ص١٣٨، ومسلم في صحيحه، في الكتاب والباب نفسيهما (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٧. وطريق محمد بن سيرين أخرجها البخاري مختصراً في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ (٤٨٤٩)، ج٦، ص١٣٨، ومسلم تاماً في صحيحه، في الكتاب والباب نفسيهما (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٧. وطريق أبي سلمة أخرجها الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار (٢٥٦١)، ج٤، ص٦٩٤.

(١) طريق أبي صالح عن أبي سعيد الخدري أخرجها مسلم في صحيحه، في الكتاب والباب السابقين (٢٨٤٧)، ج٤، ص٢١٨٧. وطريق عبيد الله أخرجها أحمد في مسنده (١١٠٩٩) ج١٧، ص١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ (٧٣٨٤)، ج٩، ص١١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٨)، ج٤، ص٢١٨٨.

(٣) سورة فصلت، الآية ١١.

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(١)].

وأقول له: بأي لسان تكلمت الجلود؟ وبأي عقل فكرت؟ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٢)].

وقوله: بأي عين شاهدتا؟ وبأي حس انفعلتا؟ أقول له: بأي عين شاهدت جهنم؟ وبأي حس انفعلت؟ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[(٣)].

وأقول له: بأي عين شاهدتْ جهنمُ؟ وبأي حسٍّ انفعلت؟ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[(٤)].

٣- زعمه بأن الجنة جهلت آلاف الأنبياء والرسل والصالحين، وراحت تصفهم بالضعفاء وسقط الناس. أقول له: معلوم أن الحكم للأغلب، وسأضرب له مثالاً لو كان عندك قنطار من دنانير ذهب فيه بعض دراهم الفضة، وسُئلتَ عما فيه، ماذا ستقول؟ ستقول: فيه دنانير من ذهب، ولن تذكر دراهم الفضة لأن عددها قليل جداً مع عدد دنانير الذهب.

وكذلك أهل الجنة، معظمهم من المساكين والضعفاء والمظلومين، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ

---

(١) سورة النور، الآية ٢٤.

(٢) سورة فصلت، الآية ٢١.

(٣) سورة الفرقان، الآية ١٢.

(٤) سورة ق، الآية ٣٠.

ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا ﴾[١].

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم -كما في حديث حارثة بن وهب عند البخاري-: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف[٣]، لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتلٍّ جوَّاظ[٤] مُستكبر»[٥].

وفي حديث عبدالله بن عمرو: «إن أهل النار كل جَعْظري[٦] جوَّاظ مستكبر، جمَّاع منَّاع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»[٧].

ألم يقل هرقل ملك الروم لأبي سفيان: «وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرتَ أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

(٢) سورة هود، الآية ٩١.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٨٧/١٧: بفتح العين وكسرها، والمشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا. والجوَّاظ فسره الراوي بالغليظ الفظ كما في سنن أبي داود ٢٥٣/٤.

(٤) العتلُّ: الشديد الجافي، والفظُّ الغليظ من الناس. والجوَّاظ: الجَموع المَنوع، وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين. قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٨٠، وج١، ٣١٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ (٤٩١٨)، ج٦، ص١٥٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٥٣)، ج٤، ص٢١٩٠.

(٦) الجعظري: الفظُّ الغليظ المتكبر. وقيل هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر، قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٢٧٦.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٧٠١٠)، ج١١، ص٥٨٥، وإسناده صحيح.

ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل»[١].

٤- وأما قضية وضع القدم فيها فسيأتي الكلام عليها في الحديثين التاليين إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (٧)، ج١، ص٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٧٧٣)، ج٣، ص١٣٩٣.

المطلب السابع:

حديثان في قول النار: **هل من مزيد حتى يضع الربُّ فيها قدمه**.

الحديث الأول:

أخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، رَفَعَهُ– وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُوقِفُهُ أَبُو سُفْيَانَ[(١)]– يُقَالُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأْتِ؟ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[(٢)].

الحديث الثاني:

أخرج البخاري عن أنس ﷺ مرفوعاً: «لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ»[(٣)].

الشبهات:

يقول عبد الحسين العبيدي: «الأحاديث الواردة (هنا) من العجائب التي انفرد بها أبو هريرة

---

(١) أبو سفيان هو سعيد بن يحيى بن مَهدي الحميري أحد رواة الحديث. ومعنى وأكثر ما كان يوقفه، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج١٣، ص٤٠٥: «كان يَرويه في أكثر الأحوال موقوفاً ويَرفَعه أحياناً، وقد رَفَعَه غيرُه أيضاً». قلت: منهم أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عند مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ (٤٨٤٩)، ج٦، ص١٣٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦)، ج٤، ص٢١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ (٧٣٨٤)، ج٩، ص١١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٨)، ج٤، ص٢١٨٨.

وأنس، فهي تستعصي على أي فهم أو تأويل، فإنها بعد أن جعلت لله رِجلاً جعلته عاجزاً عن تلبية مطالبة جهنم بالمزيد، فاضطر إلى وضع تلك الرجل فيها لتكفَّ عن الطلب والمناداة، وفاتهم أنه تعالى هو خالق الجنة والنار، وهو المقدر والمقرر لكل ما يتعلق بهما، واذا كانت النار تستوعب أكثر مما سيلقى فيها، فإن ذلك هو المقصود الوحيد من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]، فإنه تعالى أراد أن يوضح من باب التهديد والوعيد أن النار لن تمتلئ، وهي قادرة على استيعاب كل الخلق إذا عصوا وكفروا، ولم يقصد بأنها ستتكلم فعلاً وتطلب المزيد، واسمع قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[2]، وفي ذلك نص على أن جهنم ستمتلئ ﴿منك﴾ أي من جنس الشياطين، لأن الخطاب للشيطان ﴿وممن تبعك﴾ من الناس الذين ستغويهم، وكما هو واضح فإنه ليس هنالك رِجل ولا يد ولا أي شيء آخر.

وإذا ما جارينا الراوي وسألناه، هل سيُبقي الله رجله في النار أم سيرفعها؟ ولا نخاله يقول: إنه سبقيها، بل سيرفعها، فنجيبه: إن المشكلة ستتكرر إلى ما لا نهاية! فما حله الجديد؟

أما فيما يخص الجنة، فقد نصت الرواية (الثانية) على أنها ستبقى غير ممتلئة إلى أن يخلق الله لها خلقا جديداً «فيسكنهم فضل الجنة»، وأن أبسط ما يقال في الرد على ذلك هو: بمَ استحقَّ هذا الخلق الجديد دخول جنة أعدها الله للمؤمنين العاملين من خلقه دون أن يختبرهم ويبتليهم؟

إن مشكلة القوم التي تدفعهم إلى هذه المجاهيل والمزالق لا تعدو أن تكون وليدة جهل غلف

---

(١) سورة ق، الآية ٣٠.

(٢) سورة ص، الآيتان ٨٤ و٨٥.

عقولهم، وقتل قدرتهم على التفكير وفهم الأمور، فلم يستطيعوا تجاوز المعاني الظاهرية للكلمات ودلالاتها الحرفية، فتصوروا أن قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني أن تمتلئ النار تماماً بحيث لا يبقى فيها أي فراغ، وهذا ينسحب على الجنة أيضاً، في حين أن المقصود هو ليس المعنى الحرفي للامتلاء، وإنما لإشعار الناس وإنذارهم بأن النار قادرة على استيعاب أي عدد من الكافرين والمجرمين والعصاة مهما كثر وبلغ، أي أن معنى الامتلاء سيكون مبالغة بلاغية بقدرة النار على الاستيعاب، وليس بمعنى استغراق كل حيزها المكاني»[١].

ويقول جعفر السبحاني: «إنّ هذا الحديث بظاهره يُثبت للّه أعضاءً وانّه يضع قدمَه في الجحيم حتى تسكت النار، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ومعنى ذلك انّ بعض أجزاء جسمه تحلُّ في خلقه، لاَنّ النار بعض خلقه، كما يثبت للّه نقلة وحركة. تعالى اللّه عن ذلك.

ثمّ إنّ الذين يأخذون بحرفية الصحيحين صاروا بصدد تأويل الحديث تأويلاً لو صحّ لدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مقام الاِلغاز لا في مقام التعليم والتفهيم.

على أنّه سبحانه لو كان بصدد الحدّ من نار جهنم أو إملاءها حتى يتحقق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ لما كان له حاجة إلى وضع قدمه، بل كفى أمره بهما كما أمر بالنار في حقّ إبراهيم، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢]»[٣].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص١٩٨-٢٠٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٣) السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص٦٥١. **وبنحو كلامهما قال محمد جواد**، انظر كشف المتواري في صحيح البخاري، ج٣، ص٥٣٥.

مناقشة الشبهات والرد عليها:

١- ادعى هذا الطاعن أن الحديث انفرد بروايته أبو هريرة وأنس، وأقول إذا جاء الحديث من طريقين لا يسمى تفرداً، كما أن الحديث صحَّ من حديث أبي سعيد الخُدري عند مسلم[1]، فصار عدد رواته عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كبار رواة الحديث النبوي.

٢- قال: تستعصي على أي فهم. إن قصد الطاعن المعنى، فالمعنى مفهوم وواضح، يفهمه كل من يفهم العربية، وإن قصد الكيفية، فكل صفات الله عزّ وجلّ لا يدرك كنهَهَا أحدٌ ولا يعرف كيفيتها، وهذه منها، قال تعالى﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[2].

وقضية أن هذه الروايات جعلت لله رِجلاً. ليس هذا هو الخبر الوحيد الذي ذَكرَ صفةً من صفات الله تعالى، فبعض صفاته تعالى ذُكرت في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3]، وقوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[5] وغيرها من الآيات الكريمة.

وبعضها ذكر في السنة المطهرة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٧)، ج٤، ص٢١٨٧، وأحمد في مسنده (١١٠٩٩)، ج١٧، ص١٦٣.

(٢) سورة طه، الآية ١١٠.

(٣) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٤) سورة ص، الآية ٧٥.

(٥) سورة الزمر، الآية ٦٧.

القيامة خُبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خُبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة»[١]، فهذا الحديث ليس بدعاً من القول، فما الذي يستعصي فيه؟

٣- حمل الكاتب كلام النار: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ على أنه ليس على الحقيقة، بل كناية عن استيعاب النار لكل من عصى، ولم يقصد أنها ستتكلم فعلاً. وهذه دعوى عارية عن الدليل، إذ الأصل حمل الكلام على الحقيقة ما لم تصرفه قرينة كما يقول علماء أصول الفقه[٢]، فأين القرينة التي صرفت الآية عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؟!

ولو تمشيت مع هذا الطاعن في هذه الآية، فهل قوله تعالى حكاية عن النار: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾[٣]، مجاز أيضاً؟ رؤيتها وتغيظها وزفيرها؟ لو كان مجازاً لما استطاع الكفار رؤية ذلك التغيظ، وسماع ذلك الزفير.

وأما المفسرون فجمهورهم حملوا كلام جهنم على الحقيقة، لكنهم ذكروا في تفسير قول جهنم: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ معنيين:

١- الاستفهام بمعنى النفي، أي: ما بقي في جهنم موضع للزيادة، كقوله عليه السلام: «وهل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥٢٠)، ج٨، ص١٠٨، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة (٢٧٩٢)، ج٤، ص٢١٥١.

(٢) انظر السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي (ت ٤٨٩هـ)، قواطع الأدلة في الأصول، ط١، ٢م، (تحقيق محمد حسن محمد الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٧٦، والرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بالفخر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، المحصول، ط٣، ٦م، (تحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٣٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية ١٢.

ترك لنا عَقيل منزلاً؟»[١] أي: ما ترك لنا من ربع ولا منزل.

٢- الاستفهام بمعنى الاستزادة، أي هل من مزيد فأزداد؟[٢].

وأما القدم المذكورة في الحديث، فقد ذهب العلماء في تفسيرها إلى مذهبين:

١- **المذهب الأول:** إثبات صفة القدم لله بدون تأويل ولا تعطيل ولا تكييف، وهذا مذهب السلف: كابن عيينة والإمام أحمد[٣] ومن تبعه كعثمان الدارمي وابن أبي عاصم وابن خزيمة[٤].

قال أبو عيسى الترمذي: «وقد قال غيرُ واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه: هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف، هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب (٣٠٥٨)، ج٤، ص٧١، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب النزول بمكة للحاج، وتوريث دورها (١٣٥١)، ج٢، ص٩٨٤.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢١، ٤٤٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص١٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٤٠٥.

(٣) نقل كلامه ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي الحنبلي، صاحب المغني (ت ٦٢٠هـ)، تحريم النظر في كتب الكلام، ط١، ١م، (تحقيق عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقية)، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٠م، ص٣٨-٣٩.

(٤) الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد (ت ٢٨٠هـ)، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي، ط١، ٢م، (تحقيق رشيد بن حسن الألمعي)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٩٤. وابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو، (ت ٢٨٧ هـ)، السنة، ط١، ٢م، (تحقيق أ.د باسم بن فيصل الجوابرة)، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٨ م، ج١، ص٢٣١. وابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ط٥، ٥م، (تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٤م، **وبوب عليه بقوله: «باب ذكر إثبات الرِّجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا»** ج١، ص٢٠٢.

السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم[١]: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه.

وأما إذا قال – كما قال الله تعالى-: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢]»[٣].

وقول السبحاني: «ومعنى ذلك أنّ بعض أجزاء جسمه تحلُّ في خلقه» ليس صحيحاً، لأن هذا ليس حلولاً كما ادعى، فالحلولية كما ذكر ابن بطة (ت ٣٨٧ هـ) يقولون: «إن الله ذاته لا يخلو منه مكان، فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء وهو بذاته حال في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين»[٤].

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ).

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، ج٣، ص٤١. وانظر ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، ٩م، (تحقيق جماعة من المحققين)، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، ١٩٩٦م، ج٧، ص٢٣٢.

(٤) ابن بطة، أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت ٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى لابن بطة،

وجاء في الموسوعة الميسرة: «مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء»[(١)].

٢- **المذهب الثاني:** تأويل القدم، واختلفوا في هذا التأويل على عدة أقوال، ذكرها الحافظ ابن حجر:

١- أن المراد إذلال جَهَنَّم، فإنَّها إذا بالَغَت في الطُّغيان وطَلَبِ المزيد أذَلَّها الله فوَضَعَها تحت القَدَم، وليس المراد حقيقةَ القَدَم، والعرب تَستَعمِل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانَها، كقولهم: رَغِمَ أَنفُه، وسُقِطَ في يده.

٢- أن المراد بالقَدَم: الفَرَط السابق، أي: يَضَع الله فيها ما قَدَّمَه لها من أهل العذاب.

٣- أن المراد بالقَدَم: قَدَمُ بعض المخلوقينَ.

٤- أن المراد بالقَدَم: الأخيرُ، لأنَّ القَدَم آخرُ الأعضاء، فيكون المعنى: حتَّى يَضَعَ الله في النار آخِر أهلها فيها، ويكون الضَّمير للمَزيدِ.

٥- أن المراد به تمثيلِ المجاوَرة، وذلك أنَّ يوم القيامة يُلقَى في النار من الأُمَم والأمكِنة التي عُصيَ اللهُ فيها، فلا تزالُ تستزيد حتَّى يَضَعَ الرَّبُّ فيها موضعاً من الكفّار والأمكِنة المذكورة فتَمتَلِئ فتقول: حَسْبي حَسْبي، لأنَّ العرب تُطلِق القَدَم على الموضع، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾[(٢)]، يريد: موضعَ صِدْقٍ.

ط١، ٩م، (تحقيق رضا معطي وعثمان الأثيوبي وآخرين)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ج٧، ص١٣٦.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص٧٣٧.

(٢) سورة يونس، الآية ٢.

٦- أنَّ المراد به أنَّه يقع عند إخراج الموحِّدينَ، وأنَّه يجعل مكان كلِّ واحد منهم واحداً من الكفَّار، بأنْ يَعظُم حتَّى يَسُدَّ مكانَه ومكانَ الذي خرج، كما في حديث أبي موسى في «صحيح مسلم»: «يُعطَى كلُّ مسلم رجلاً من اليهود والنَّصارَى فيُقال: هذا فِداؤُك منَ النار»[١]، وحينئذٍ فالقَدَم سببٌ للعِظَمِ المذكور، فإذا وَقَعَ العِظَم حَصَلَ المِلءُ الذي تَطلُبه

٧- أن المراد بالرِّجلِ الجماعةَ، كما تقول: رِجلٌ من جَراد، والمعنى: يَضَع فيها جماعةً، وأضافَهم إليه إضافة اختصاص»[٢].

وأقوال المؤولين هذه تخالف ما عليه المتقدمون من سلف الأمة الذين هم أعلم الناس بما أنزل على محمَّد صلى الله عليه وسلم. فلا أقول بها.

أعود للرد على بقية كلام الطاعن:

٤- ثم اعترض الطاعن على إنشاء الله تعالى خلقاً جديداً يسكنهم فضل الجنة، وكيف يستحقون الجنة وهم لم يعملوا الخير، ولم يسبق لهم اختبار من الله؟ والجواب أن هذا الطاعن يحاسب الله حسب ما يمليه عليه عقله، وهذا أقل ما يقال فيه: سوء أدب مع الله تبارك وتعالى، فالله يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٣]، ويقول:﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٤]. قال الحافظ ابن حجر: «فيه دلالة على أنَّ الثَّواب ليس موقوفاً على العَمَل، بل يُنعِم الله بالجنَّة على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٧)، ج٤، ص٢١١٩.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٤، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٤) سورة الرعد، الآية ٤١.

مَن لم يعمل خيراً قَطُّ كما في الأطفال»[١].

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٤، ص٣٠٤.

المطلب الثامن:

حديث اشتكت النار إلى ربها فأذن لها بنفسين.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلاَةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ[(١)] جَهَنَّمَ.

وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[(٢)].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «هذا كلام غريب لا يفهم منه السامعُ شيئاً، وليس فيه غير الغموض ومخالفة البديهيات العقلية والعلمية.

فما هو معنى أن بعضها أكل بعضاً؟ هل يعني أنها بدأت تضعف وتنقص، وهو ما نفهمه من السياق؟ وإذا كان كذلك، فكيف خلقها سبحانه وأعدها ليوم الحساب، ثم غفل عنها وتركها يأكل بعضها بعضاً حتى اضطرت للشكوى؟

وما معنى النفسين الصيفي والشتوي، وكيف كان فيهما حلٌّ لمشكلة النار؟

---

(١) قال القسطلاني: الفيح كما قال الليث سطوع الحر يقال: فاحت القدر تفيح فيحًا إذا غلت وأصله السعة ومنه أرض فيحاء أو واسعة. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٥، ص٢٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (٥٣٦) و(٥٣٧)، ج١، ص١١٣، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة (٦١٥) و(٦١٧)، ج١، ص٤٣٠ و٤٣١.

ولماذا كان نفسها الصيفي حراً، والشتوي زمهريراً؟ وكيف امتد تأثيرهما إلى عالمنا الأرضي؟

إن هذا الحديث يقلب كل النظريات العلمية التي يستند عليها نظام الكون، ثم لا يُقدّم عنها بديلاً»[١].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

الاصل في المؤمن أن يؤمن بما أخبره الله تعالى به أو رسوله من أحوال الغيب، ولا يقيس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، فديننُا الحنيف مبني على أركان منها الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢] فالإيمان بالله غيب، وكذا الإيمان بالملائكة، والجنة والنار، واليوم الآخر، والرسل السابقين.. الخ. كله إيمان بالغيب، فلماذا نؤمن بهذا كله وهو غيب، ولا نؤمن بأشياء أخرى أخبرنا بها الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب؟ أليس هذا تفريق بين المتماثلات؟

وهؤلاء الذين يُعملون عقولَهم بالغيب لولا أن بعض الغيبيات جاءت في القرآن لردُّوها، لكنها عندما جاءت في الحديث تجرؤوا عليها وردُّوها، بدعوى أنها تخالف العقلَ تارة، وتخالف الحسَّ والمنطق تارة.

وليت هذا الطاعن أوَّل الحديث كما فعل بعضهم، لا بل ردَّه جملة وتفصيلاً، وفي اعتقادي ما فعل هذا إلا تقليداً للمعتزلة الذين يعتقدون بأن الجنة والنار لم تخلقا بعدُ[٣].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٢١٥-٢١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣.

(٣) انظر لهذه المسألة: قوام السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)،

وقد اختلفَ أهل العلم في هذه الشَّكْوَى أهي بلسان المقال، أو بلسان الحال؟ على قولين:

القول الأول: أن الشكوى بلسان المقال على الحقيقة وإليه ذهب ابنُ عبد البر[١]، وتبعه القاضي عِيَاض[٢]، وقال: إنه الأظهر. ورجحه النووي[٣]، والقرطبي، فقال: «محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة في ذلك. وليس من شرط الكلام عند أهل السنة في القيام بالجسم إلا الحياة. وأما البينة واللسان، فليس من شرطه، وليس يُحتاج في الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام. وأما الاحتجاج في قوله عليه السلام: «احتجت النار والجنة» فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة»[٤].

وقال الزَّين بن المنيِّر: «المختارُ حَمْلُه على الحقيقة لصلاحيَة القُدْرة لذلك، ولأنَّ استعارة الكلام للحال وإنْ عُهِدَت وسُمِعَت، لكن الشَّكْوَى وتفسيرها والتَّعْليل له والإِذْن والقَبُول والتنفُّس وقَصْره على اثنينِ فقط، بعيد من المجاز، خارجٌ عمَّا أُلِفَ من استعماله»[٥].

وقال ابن رجب الحنبلي: «المحققون من العلماء على أن الله أنطقها بذلك نطقاً حقيقياً كما يُنطِق

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ط٢، ٢م، (تحقيق محمد بن ربيع المدخلي) دار الراية، الرياض، ١٩٩٩م، ص٥٠٨-٥٠٩. وابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص٥٠١.

(١) انظر، ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج٥، ص١٥.

(٢) عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج٢، ص٥٨٢.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٥، ص١٢٠.

(٤) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط٢،٣م، (تحقيق الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم)، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٥هـ، ج٢، ص٨٦٤.

(٥) انظر ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٥٠٠.

الأيديَ والأرجلَ والجلود يوم القيامة، وكما أنطق الجبالَ[(١)] وغيرها من الجمادات بالتسبيح والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما يسمع نطقه في الدنيا.

ويشهد لذلك: ما خرَّجه الإمام أحمد والترمذي[(٢)] وصححه من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصوِّرين»[(٣)].

القول الثاني: حملُه على المجاز وإليه ذهب البيضاويُّ فجعل شَكْواها مَجازاً عن غَلَيانها، وأكلها

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ سورة النور، الآية ٢٤، وقوله: ﴿ اْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ سورة فصلت، الآية ٢١، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً ژ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ سورة سبأ، الآية ١٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨٤٣٠)، ج١٤، ص١٥٢، والترمذي، السنن، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار (٢٥٧٤)، ج٤، ص٧٠١، وقال: حسن صحيح غريب. قلت: رجاله ثقات، لكنه معلول، قال الدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية، ط٣، ١٠م، (تحقيق محمد صالح الدباسي)، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠١١م، (١٩٣٧)، ج٥، ص١٠٢: «يرويه الأعمش، واختلف عنه، فرواه عبد العزيز بن مسلم القسملي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك.

وغيره يرويه، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد وهو المحفوظ». قلت: والطريق التي أشار إليها الدارقطني أخرجها البزار كما في كشف الأستار للهيثمي (٣٥٠٠)، ج٤، ص١٨٥.

وأخرجه من عدة طرق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، كل من أحمد، المسند (١١٣٥٤)، ج١٧، ص٤٥٠–٤٥١، وعبد بن حميد، المنتخب من مسنده (٨٩٦)، ص٢٨٢، وأبو يعلى، المسند (١١٣٨) ، ج٢، ص٣٧٥، وأيضا (١١٤٦) ج٢، ص٣٨٠، والطبراني، المعجم الأوسط، (٣٩٨١)، ج٤، ص٢٠٣، والبيهقي، البعث والنشور (٢٢٥)، ص٢٩٤. وما دام مداره على عطية وهو ابن سعد العوفي، فعطية هذا ضعيف كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٥، ص٣٢٥، والله تعالى أعلم.

(٣) ابن رجب، فتح الباري، ج٤، ص٢٤٤.

بعضها بعضاً مجازاً عن ازدحام أجزائها، وتَنَفُّسها مَجازاً عن خروج ما يَبرُزُ منها[١].

وإليه ذهب من المعاصرين الدكتور القرضاوي، فقال: «كما أن من المعلوم المشاهد أن بعض الكرة الأرضية يكون شتاءً قارس البرد، وبعضها حار شديد الحرارة، وقد زرت أستراليا في صيف سنة ١٩٨٨م، فوجدت عندهم شتاءً وبرداً عضوضاً، وزرت أمريكا الجنوبية في شتاء ١٩٨٩ م فوجدت عندهم صيفاً حاراً.

فينبغي حمل الحديث على المجاز والتصوير الفني، الذي يصوِّر شدة الحرِّ على أنها من أنفاس جهنم، كما يصوّر الزمهرير على أنه نفس آخر من أنفاسها، وجهنم تحوي من ألوان العذاب أشد الحرارة وأشد الزمهرير»[٢].

قضية هل النار تضعف؟ أشار القرآن الكريم إلى هذه القضية، قال تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾، فالنار إذن تخبو بنص الآية لكن الله تعالى يزيدها سعيراً وحرارةً، والنتيجة أنها دائمة الإحراق. أخرج الطبري عن ابن عباس في تفسير الآية ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال: سكنت.

وروى عنه أيضاً قال: «خبوها أنها تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم يبق منهم شيء صارت جمراً تتوهج، فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم»[٣].

---

(١) انظر البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ط١، ٣م، (تحقيق لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب)، الناشر وزارة الأوقاف بالكويت، ٢٠١٢م، ج١، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢) القرضاوي، يوسف عبدالله، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ط١، ١م، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٠م، ص ١٧٨.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٥، ص٩٥.

وأما عن كون نَفَسِها حاراً صيفاً، وبارداً شتاء، فحاول الإجابة عنه ابنُ الملك[١]، فقال: «وهذا من جملة الحِكَم الإلهية حيث أظهر آثار الفيح في زمان الحرِّ، وآثار الزمهرير في الشتاء لتعوُّد الأمزجة بالحرِّ والبرد، فلو انعكس لم تحتمله؛ إذ الباطن في الصيف بارد فيقاوم حرَّ الظاهر، وفي الشتاء حارّ فيقاوم برد الظاهر»[٢]، فلا يصلح أن ترسل زمهريرها في الصيف، فيكون في الصيف أيام شديدة البرد أكثر من الشتاء، فمعلوم أن الصيف هو وقت نضج الثمار ونمو المزروعات، وفي هذا فساد كبير، وقلب لموازين حياة البشر، والعكس صحيح أيضاً بالنسبة لفصل الشتاء، والله تعالى أعلم.

وأما عن تأثيرها على الأرض، فقال الشيخ محمد بن عثيمين: «ان الناس الفلكيين يدركون الآن بمقتضى طبيعة الشمس أن سبب البرودة والحرارة شيء آخر، فسبب الحرارة وشدتها هو أن الشمس تكون أشعتها عمودية، فيتسلط من حرارتها على الأرض أكثر مما إذا كانت جانبية، وانحدرت نحو الجنوب في الجهة الشمالية من الأرض أو نحو الشمال في الجهة الجنوبية من الأرض.

فيقال: الجمع بينهما ممكن، فمن الممكن أن الله عز وجل يزيد لهيب الشمس في هذا الوقت على هذه الجهة من الأرض مما يحصل من حر النار، أو يزيد برودتها مما يحصل من الزمهرير على هذا الجانب من الأرض، ولا مانع، وإلا فمن المعلوم أنه إذا اشتد الحر في الجانب الشمالي من الكرة

---

(١) هو عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا الكرماني، المعروف بابن ملك فقيه حنفي، من المبرزين. له «مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار» في الحديث، و«شرح تحفة الملكوك» في الفقه. توفي حوالي سنة ٨٠١هـ. انظر الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٥٩.

(٢) نقلا عن القاري، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين، المشهور بملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، ٩م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٥٢٧.

الأرضية سوف يشتد البرد في الجهة الجنوبية، وهذا شيء مشاهد، ولكن يقال: لا مانع من أن يكون الأمر له سببان: سبب طبيعي، وسبب شرعي لا يُعلم إلا بطريق الوحي، كالكسوف مثلاً له أسباب طبيعية وأسباب شرعية، السبب الشرعي أن الله يخوف به العباد، والسبب الطبيعي معروف، وهو أن خسوف القمر سببه حيلولة الأرض بينه وبين الشمس، وكسوف الشمس سببه حيلولة القمر بينهما وبين الأرض.

ومع هذا نقول: لا يتنافى السببان، فمن كان مؤمناً آمن بالأمرين، ومن لم يكن مؤمناً ضر صفحاً بالأسباب الكونية الطبيعية، أما نحن فنؤمن -إن شاء الله تعالى- بالأمرين جميعاً بالسبب الشرعي والسبب الطبيعي الفلكي»(١).

قلت: يجب التنبُّه إلى أن الحديث يتكلّم عن أمر مخصوص، ولا يتكلم عن كلِّ أيام السنة ولا عن فصولها الأربعة، فليس في الحديث: «حرُّ الصيف من فيح جهنم، ولا زمهريره من جهنم»، بل تحدث عن جزء يسير من فصلي الصيف والشتاء، فقال: «فأشدُّ ما تجدون من الحرّ، وأشد ما تجدون من الزمهرير» وتنبه لذلك ابن حجر، فقال: «النفَس المذكور ينشأ عنه أشدُّ الحرِّ في الصيف»(٢)، وليس كلُّ حرِّ الصيف منه، ولا كل برد الشتاء، لذلك لم ينفِ الحديث الأسباب المعروفة للحرارة والبرودة التي أثبتها العلم الحديث، إنما كان إخبار الشارع الحكيم عن واقع غيبي لم يصل إليه علمُنا بعدُ، لكن الطاعنين غفلوا عن هذه القضية، وفهموا من الحديث أن جميع عوامل الحرارة والبرودة من جهنَّم.

---

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمَّد، شرح صحيح مسلم، ط١، ٨ م، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٤٩٢-٤٩٣

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢، ص٥٠١.

وقد يكشف لنا العلم في قادم الأيام عن هذا الأمر الذي لم يصل إليه العلم الحديث بعد، لأننا نشعر في بعض الأوقات بحرٍ أشد مع بُعد الأرض من الشمس من بعض الأوقات الأخرى التي تكون فيها الأرض أقرب الى الشمس، وهذا شيء محسوس في الواقع.

المطلب التاسع:

حديث ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه: إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً! قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(١).

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «أكد الشبه بين نارنا ونار جهنَّم، سوى أن الثانية أقوى من الأولى بسبعين مرة، وأنها فضلت عليها بتسع وستين جزءاً كلهن مثل حرِّها. ومهما كان ردُّنا على هذا الحديث، فإنه سيبقى رجماً بغيب لا يعلمه إلا الله، فلا ندّعي أننا نعرف حقيقة نار جهنَّم، ولكننا ندعي أن الراوي قد جازف في ركوب الأوهام، وبالغ في اقتحام عالم المجهول، وأسند كل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو منه بريء.

إننا لا نرى أن نار جهنَّم هي كالنار التي نعرفها مهما كان الفرق بينهما في القوة، وإذا كان الراوي قد قاسها بنار الحطب التي عرفها زمانه، فإننا اليوم نعرف أنواعاً كثيرة من النار تفوقها بآلاف أو حتى ملايين المرات، ولكن القضية هي أن الفرق بين نار جهنَّم ونيران الأرض لا يتعلق بالقوة، وإنما بالنوعية والخواصّ، فمن خاصية هذه النيران حرق الأشياء وإتلافها فوراً، أما الخاصية

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٥)، ج٤، ص١٢١، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (٢٨٤٣)، ج٤، ص٢١٨٤.

التي تميزت بها نار جهنَّم فهي ما يشير إليها كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[1]، وهذا معناه أن نار جهنَّم لن تتلف أجساد الناس، وإنما تقوم بإنضاج جلودهم، وكلما نضجت بدلوا جلوداً غيرها، وحكمة ذلك ليذوقوا العذاب، أي ليستمر لديهم الألم إلى المخّ، والموجودة في ثنايا الجلد صالحة وعاملة، ولو احترق الجلد، وطالت النار تلك الأعصابَ وأتلفتها، فلن يشعر الإنسان بعدها بأي ألم، وستتوقف عملية العذاب الذي أعده الله للكافرين والمجرمين والعاصين.

وخلاصة ذلك أن نار جهنَّم تتميز بالقدرة على إنضاج الجلود دون التسبب في إتلاف أعصاب الحس، بينما تتميز النيران التي نعرفها بالقدرة على التهام ما يلقى فيها وإتلافه فوراً.

لقد أودع الله تعالى في الكون أسراراً عظيمة وعلوماً جمة لم يتوصل الإنسان إلا لليسير منها، وبقيت قدراته قاصرة عن اكتشاف أو معرفة الكثير: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2]، ومن هذا القليل الذي عرفوه صنعوا أفراناً مايكروويفية تطلق موجات غير مرئية تقوم بإنضاج اللحوم وتحميصها دون نار، ولا ندري ماذا سيكتشفون غداً مما أودعه الله في هذا الكون.

إنه ليس من الضرورة أن تتشابه موجودات الآخرة مع موجودات الدنيا، والأرجح أن كل شيء هناك سيكون مختلفاً عن كل شيء هنا، لذلك لا ينبغي تفسير الأمور وفقاً للمألوف لدينا تفسيراً

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

حرفياً، وقد يكون المقصود فقط إيصال الفكرة إلى أفهامنا بالإشارة إلى ما نألفه ونعرفه، كما لا ينبغي البناء على ذلك المألوف والتمادي في وصف شيء لا نعرفه ولم يخبرنا الله به»[١].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

١- إن هذا الطاعن حاول مراتٍ عديدةً أن يظهر لنا أن الراوي هو الذي وضع هذا الحديث وألصقه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم منه براء، وهو إنما يقصد بالراوي صحابي الحديث[٢]، وقصده من وراء ذلك الطعن بالصحابة الكرام واتهامهم بالكذب، وأنهم هم من يضعون الأحاديث وينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لتسقط عدالتهم ومن ثم تسقط رواياتهم!

٢- زعم الطاعن أن نار جهنَّم لا تتلف الأجساد ولا تحرق الجلد، وهذا الكلام عارٍ عن الصحة ومخالف لما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾[٣]، فقد نصت الآية الكريمة على أن وجوه أهل النار سوف تشوى، وهذا إحراق، ثم الله سمّاها عذاب الحريق في خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَنُذِيقُهُۥ

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) انظر على سبيل المثال ما ورد في كلام الطاعن ص١٠٢، وص١٧٨-١٧٩، وص٢١٨-٢١٩.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨١.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[١] فلو لم تكن تحرق لكان النص القرآني عبثاً.

ومما ورد في موضوع الإحراق ما رواه الطبري عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ قال: «خبوها أنها تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم يبق منهم شيء صارت جمراً تتوهج، فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم»[٢].

وليس فيها إحراق فحسب بل فيها صَهر وإذابة، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾[٣]، فالجلود وما بداخل البطون من أمعاء وغيرها ستصهرها جهنَّم صهراً!

وما دامت نار الدنيا فيها صفة الإحراق –إذ هي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم– فمن باب أولى نار جهنَّم، إذ الجزء فيه صفات الكل، ويؤيده قوله في نهاية الحديث: «كلُّهن مثل حرِّها».

---

(١) سورة الحج، الآية ٩.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٥، ص٩٥.

(٣) سورة الحج، الآيتان ٢٠ و٢١.

المبحث الثاني

الشبهات في حديثين يتصلان بموضوع الدراسة:

المطلب الأول: حديث يؤتى بالموت على هيئة الكبش فيذبح.

المطلب الثاني: حديث الرجل الذي استأذن ربَّه في الزرع وهو في الجنة.

المطلب الأول:

حديث يؤتى بالموت على هيئة كبش فيذبح.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ[(١)]، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ[(٢)] وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ.

ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ.

ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، **وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا** ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[(٣)]» [(٤)].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي تحت عنوان: (الموت كبش أحمر):

«الموت هو اصطلاح معنوي لعملية مفارقة الروح للجسد، أو انتزاعها منه، وهو ليس وجوداً

---

(١) هو الذي بياضه أكثر من سواده. قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٣٥٤.

(٢) بفتح أوّله من اشرأب، أي: يَمُدّونَ أعناقهم ويَرفَعونَ رؤوسَهم للنَّظَر. انظر الجوهري، الصحاح، ج١، ص١٥٤، وابن حجر في فتح الباري، ج٢٠، ص٤٠٩.

(٣) سورة مريم، الآية ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ (٤٧٣٠)، ج٦، ص٩٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٩)، ج٤، ص٢١٨٨.

مادياً مستقلاً يمكن تكييفه على شكل كبش أو غيره.

وقد كان يكفي أهل الجنة وأهل النار أن يقال لهم: إنكم خالدون فيها وينتهي الأمر، دون الحاجة إلى تمثيل الموت بصورة كبش وذبحه أمامهم لانعدام الضرورة والحكمة من ذلك، إلا إذا كان المقصود إقناعهم عملياً وبث اليأس في نفوسهم، وهذا أمر غير منطقي، ولا نتصور أن يوم القيامة –يوم الحساب الأكبر– سيكون مسرحاً لأمثال هذه التمثيليات.

وقد أشارت الرواية إلى أن أهل الجنة والنار قد تعرفوا على ذلك الكبش الأملح حال رؤيتهم له، واستدركت أنهم عرفوه لأن كلهم قد رآه، فأين رأوه؟ ومتى؟

إن الأرواح ينتزعها ملك الموت عليه السلام وهو ليس كبشاً أحمر ولا أزرق.

وسلام على أمير المؤمنين أبي الحسن عليه السلام وهو يتحدث عن ملك الموت فيقول: «هل تحس به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفى أحداً؟ بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه، أيلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟!»

أوليس هذا الكلام هو مما اغترفه أمير المؤمنين من فيض النبوة؟ وما استفاده من علم النبي صلى الله عليه وآله، فهل تجد من رأيه مثل هذا بملك الموت، يعود فيشبهه بكبش أملح! تنزه الله ورسوله عما يفترون»[(١)].

مناقشة الشبهة والرد عليها:

أضاف الطاعن إلى الكبش اللون الأحمر، وفي أثناء كلامه قال: هو ليس كبشاً أحمر ولا

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٣٧٢.

أزرق. وليته أفادنا علماً من أين جاء بهذه الألوان؟! مع أن الحديث ذكر أن لونه سيكون أملح.

وهذا الاستشكال الذي أورده الطاعن، تطرق له العلماء قديماً، وسأذكر أقوال أهل العلم، ثم أذكر الراجح منها.

قال الحافظ ابن حجر: «قال القاضي أبو بكر بن العربيّ(١): استُشكِلَ هذا الحديث لكَونِهِ يُخالف صريح العقل؛ لأنَّ الموت عَرَض، والعَرَض(٢) لا يَنقَلِب جِسماً، فكيف يُذبَح؟

– فأنكرَت طائفة صِحّة هذا الحديث ودَفَعَتْه.

– وتأوَّلَته طائفة، فقالوا: هذا تمثيل ولا ذَبح هناك حقيقةً.

– وقالت طائفة: بل الذَّبح على حقيقَته، والمذبوح [هو] مُتَولّي الموتِ، وكلّهم يَعرِفه، لأنَّه الذي تَولَّى قبضَ أرواحهم»(٣).

وقال المازري المالكي: «الموت عرض من الأعراض عندنا يضادّ الحياة، وقال بعض المعتزلة ليس بمعنى، وهو يرجع إلى عدم الحياة وعلى المذهبين وإن كان الثاني منهما خطأ لقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ فأثبت الموت مخلوقاً، ولغير ذلك من الأدلة لا يصح أن يكون الموت كبشاً ولا جِسماً من الأجسام، وإنما المراد بهذا التَّشبيه والتَمثِيل. وقد يخلق الباري سبحانه هذا الجسم، ثمَّ يُذبَح

---

(١) ابن العربي، القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، عارضة الأحوذي، ط١، ١٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٠، ص٢٧.

(٢) العرض: بالتحريك: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به. قاله المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، ١م، (تحقيق عبد الخالق ثروت)، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٣٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢٠، ص٤٠٩.

ويُجعل هذا مثالاً، لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة»[١].

وقال القرطبي المُفسِّر: «محال أن ينقلب الموت كبشاً، لأن الموت عَرَض، وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق شخصاً يُسمِّيه الموت فيذبح بين الجنة والنار»[٢].

وقال الدكتور يوسف القرضاوي: «وكل هذه التأويلات فرار من حمل الكلام على حقيقته اللغوية المخالفة لصريح العقل، كما قال ابن العربي.

وهذا أولى من إنكار الحديث ودفعه، وقد ثبت من جملة طرق صحاح عن عدد من الصحابة[٣]، فمن المجازفة ردُّه، مع إمكان التأويل ...» إلى أن قال: «والفرار من التأويل هنا لا مبرر له، فمن المعلوم المتيقن الذي اتفق عليه العقل والنقل أن الموت –الذي هو مفارقة الإنسان للحياة– ليس كبشاً ولا ثوراً، ولا حيواناً من الحيوانات، بل هو معنى من المعاني، أو كما عبر القدماء عرض من الأعراض، والمعاني لا تنقلب أجساماً ولا حيوانات إلا من باب التمثيل والتصوير، الذي يجسم المعاني لمعقولات، وهذا هو الأليق بمخاطبة العقل المعاصر، والله أعلم»[٤].

وأما **الفريق الذي يرى أن الحديث على حقيقته**، وليس من باب المجاز في شي، فقد خطَّأوا كلَّ

---

(١) المازري، أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي (ت ٥٣٦هـ)، المُعْلم بفوائد مسلم، ط٢، ٣م، (تحقيق محمد الشاذلي النيفر)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٨م، والثالث صدر في ١٩٩١م، ج٣، ص٣٥٨.

(٢) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ج١، ص٣٨٦.

(٣) قد صحَّ هذا الحديث عن ابن عمر، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨)، ج٨، ص١١٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٥٠)، ج٤، ص٢١٨٩. وعن أبي هريرة عند أحمد في مسنده (٨٩٠٦)، ج١٤، ص٤٨٢، وابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، (٤٣٢٧)، ج٢، ص١٤٤٧، وصححه ابن حبان (٧٤٥٠). فيكون عدد من رواه من الصحابة ثلاثة.

(٤) القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص١٨١.

من حمله على غير الحقيقة، فقالوا: «ما ذكرتموه خطأ في المعقول والمنقول، فإن الصواب أن الأجسام أجناس مختلفة كالأعراض، وليس حقيقة الذوات كحقيقة الماء، وأن الله سبحانه يقلب الجنس إلى الجنس الآخر؛ كما يقلب الهواء ماء، والماء هواء، والنار هواء، والهواء ناراً، والتراب ماء، والماء تراباً، وكما يقلب المنيَّ علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظاماً، وكما يقلب الحبة شجرة، وكما يقلب ما يخرج من الشجرة ثمراً.

فهو سبحانه يخلق من الأعراض أجساماً كما ورد بذلك النصوص في مواضع كقوله عليه السلام: «اقرءوا القرآن، اقرءوا البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[١].

وقال: «إن لسبحانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر دويًّا عند العرش تذكِّر صاحبها»[٢].

وقال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[٣]، وقد قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة (٨٠٤)، ج١، ص٥٥٣، من حديث أبي أمامة الباهلي.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ مرفوعاً، لكن روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، ولفظه: «إن الذي تذكرون من جلال الله، وتسبيحه، وتحميده، وتهليله، تتعطف حول العرش، لهن دوي كدوي النَّحل، يذكِّرْنَ بصاحبهن، أفلا يحبُّ أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكِّرُ به؟» أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٨٨)، ج٣٠، ص٣٣٧، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح (٣٨٠٩)، ج٢، ص١٢٥٢، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ج٨، ص٨٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤)، ج٤، ص٢٠٧٢.

﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾[(١)]»[(٢)].

وأزيد عليه ما جاء في حديث البراء بن عازب الطويل في قصة قبض الملائكة للروح، وفيه: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح»[(٣)].

فهذه أربعة أحاديث خامسها حديثنا تثبت أن الله يُصيِّر بعضَ الأعراض أجساماً حية، فهذا لا يمتنع على قدرة الله تعالى، وشبيه بذلك: «أن رجلاً قال: يا نبيَّ الله كيف يُحشر الكافرُ على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة. قال قتادة: بلى وعزةِ ربِّنا»[(٤)].

لذلك قال ابن القيم: «هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين لذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل. كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً؛ وقال: الموت عرض، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح. وهذا لا يصحُّ؛ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورةَ كبش يُذبح، كما ينشئ من الأعراض صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب. والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها. وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضاً ومن

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) نقل كلام هذا الفريق ابنُ تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ)، جامع المسائل – المجموعة السابعة، ط١، ١م، (تحقيق علي بن محمد العمران)، دار عالم الفوائد، مكة، ١٤٣٢هـ، ص٥٧. ولخصه الحافظ في فتح الباري، ج٢٠، ص٤١٠–٤١١، ولم ينسبه لقائل.

(٣) ابن حنبل، المسند (١٨٥٣٤)، ج٣٠، ص ٤٩٩، والحاكم، المستدرك (١٠٧)، ج١، ص٩٣. وإسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٣)، ج٨، ص١٠٩، ومسلم في صحيحه، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه (٢٨٠٦)، ج٤، ص ٢١٦١.

الأجسام أجساماً.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدوره للربِّ تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين، ولا شيئاً من المحال»[١].

وإلى هذا الرأي ذهب الشيخ أحمد شاكر، فقال بعد أن ذكر بعض الأقوال السابقة: «وكلٌّ تكلُّف وتهجُّم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وليس لنا إلا أن نؤمن بما ورد كما ورد، ولا ننكر ولا نتأول. والحديث صحيح، ثبت معناه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري، ومن حديث أبي هريرة[٢] عند ابن ماجه وابن حبان.

وعالَمُ الغيب الذي وراء المادة لا تدركه العقول المقيدة بالأجسام في هذه الأرض، بل إن العقول عجزت عن إدراك حقائق المادة التي في متناول إدراكها ، فما بالها تسمو إلى الحكم على ما خرج من نطاق قدرتها ومن سلطانها؟! وها نحن أولاء في عصرنا ندرك تحويل المادة إلى قوة، وقد ندرك تحويل القوة إلى مادة، بالصناعة والعمل، من غير معرفة بحقيقة هذه المادة ولا تلك، وما ندري ماذا يكون من بعد، إلا أن العقل الإنساني عاجز وقاصر، وما المادة والقوة والعرض والجوهر، إلا اصطلاحات لتقريب الحقائق، فخير للإنسان أن يؤمن وأن يعمل صالحاً، ثم يدع ما في الغيب لعالم الغيب، لعله ينجو يوم القيامة، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا

(١) ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٤٠١.

(٢) تقدم تخريج حديث أبي هريرة قبل صفحة.

بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[١]»[٢].

الترجيح: الرأي الثاني هو ما نراه صواباً، لأن الأصل أن يحمل الكلام على الحقيقة ما لم تصرفه قرينة، ولا قرينة في النصوص الواردة في هذا الحديث، وظاهر الحديث يفيد أن الموت سيتحول بقدرة الله تعالى إلى كبش حقيقي يذبح، وهو الذي ينبغي المصير إليه، ولا سيما أنه ليس الحديث الوحيد في تصيير الله تعالى الأعراض إلى أجسام كما سبق ذكره. وكل هذا في مقدور الله تعالى.

وأختم بما رواه الكليني في «الكافي» أصحِّ كتب الشيعة، حيث أسند عن أبي عبدالله جعفر الصادق حديثاً قال فيه: «... إن الانسان طغى وقال: من أشدُّ مني قوة؟ فخلق الله له الموتَ فقهره، فذلَّ الانسان، ثم إن الموت فخر في نفسه، فقال الله عز وجل: لا تفخر؛ فإني ذابحك بين الفريقين: أهل الجنة وأهل النار ثم لا أحييك أبداً»[٣]. فتبين لنا بجلاء أنه حتى في كتب الشيعة المعتمدة عندهم أن الموت سيذبح.

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمَّد (ت٢٤١هـ)، المسند، ط١، ٨م، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٥، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٥.

المطلب الثاني:

حديث الرجل الذي استأذن ربه في الزرع وهو في الجنة.

نص الحديث:

أخرج البخاري عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»

فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ[1].

الشبهة:

يقول عبد الحسين العبيدي: «لا يتجاوز هدف هذه الرواية حدود الفكاهة التي وردت على لسان الأعرابي القادم من البادية حين حلَّ لغز ذلك المزارع، فأوضح بأنه لا بدّ أن يكون قرشياً أو أنصارياً؛ لأنهم يفهمون في الزراعة، ولم يكن أعرابياً؛ لأن الأعراب لا يفهمون إلا في الرعي.

وهكذا تختلط الحقيقة بالسخرية، ويبقى سرّ ذلك الرجل الذي طلب من ربّه أن يسمح له بالزراعة في أراضي الجنة لغزاً لم نعرف له أي تفسير، فهل هو الرجل الوحيد الذي زرع في الجنة، أم أن هناك آخرون؟

وما الذي دفعه إلى ذلك الطلب؟ هل هو الملل من طول الجلوس بلا عمل؟ أم أن الحاجة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة (٧٥١٩)، ج٩، ص١٥١.

المزروعات كما يفهم من القول المنسوب لله تعالى في الرواية: «دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء»؟!

وأخيراً لم نعرف أين ذهب هذا المزارع بمحصوله الوفير الذي صار كالجبال، هل صنع منه وليمة لأهل الجنة؟ أو تصدق به على فقرائها؟ أم تركه تذروه الرياح؟»[١].

مناقشة الشبهة والرد عليه:

لعل القارئ يلحظ أن طعن هذا الرجل في كثير منه استهزاء وسخرية، وليس كلاماً علمياً رصيناً إلا قليلاً، والطاعن لم يستند في ردِّه للحديث إلى منهج علمي حتى نحاججه، بل لجأ إلى السخرية التهكم.

وقوله: «فهل هو الرجل الوحيد الذي زرع في الجنة، أم أن هناك آخرون؟» ما يضيرك لو كان واحداً أو أكثر؟!

وليس الذي دفعه إلى ذلك لا الملل ولا حاجته إلى المزروعات، ألم تقرأ في الحديث: «**أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ**» يعني أليس عندك كل ما تشتهيه، لكن الأمر هو ما جَبَلَ اللهُ عليه الإنسان من حبِّ النعمة والتملك حتى لو كان غنياً، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[٣].

---

(١) العبيدي، جولة في صحيح البخاري، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) سورة الفجر، الآية ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال (٦٤٣٦)، ج٨، ص٩٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا (١٠٤٩)، ج٢، ص٧٢٥ من حديث ابن عباس.

فهذه طبيعة الإنسان، هكذا خلقه الله، لذلك قال له في الحديث نفسه: «**دونَك يا ابنَ آدم، فإنه لا يشبعك شيء**».

فالحديث موافق لما جاء في القرآن الكريم من أن الإنسان لا يشبعه شيء.

كما أن الحديث ليس فيه أيُّ مانع عقلي.

وفي السياق ذاته ما حصل مع سيدنا أيوب عليه السلام، فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما أيوبُ يغتسلُ عُرياناً، خرَّ عليه رِجلُ جرادٍ[١] من ذَهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه يا أيوب، ألم أكن أغنيتُك عما ترى، قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[٢].

ولماذا الاستغراب، وأهل الجنة كل ما يطلبونه ملبَّى لهم كرامةً من الله لهم، وإلى ذلك يشير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[٣]، فما طلبَه هذا الرجلُ مما تشتهيه نفسُه، وليس هذا بالطلب بالكبير!

---

(١) الرِّجْلُ بالكسر: الجَرَاد الكَثِيرُ، قاله ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (٣٣٩١)، ج٤، ص١٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٧١.

المنطلقات التي اعتمدها المعاصرون من الشيعة في طعنهم لأحاديث الصحيحين:

بعد أن درست شبه هؤلاء المعاصرين من الشيعة الإمامية، وقمت بالردِّ عليها، لم أجدهم اعتمدوا في طعونهم على القواعد العلمية المعروفة عند أهل الصنعة، كتضعيف حديث لضعف إسناده، أو لاضطرابه، أو لوهم راوٍ فيه، أو لمخالفة راويه لمن هو أوثق منه، أو لشذوذه، أو لعلة خفية ونحو ذلك، إنهم لم يتعرضوا إلى الطعن في الأسانيد، بل تركزت طعوناتهم على المتون فقط بمعزل عن الإسناد.

وأنا أقبل منهم نقد المتن بمعزل عن صحة إسناده، شريطة أن يكون النقد نقداً علمياً مستنداً إلى قواعد المحدثين، أو إلى المنطق الصحيح الذي يتفق عليه العقلاء، أو إلى النقد المبني على الرد العقلي الصحيح.

ولكني وجدتُ طعوناتهم مبنيةً على أمور ذوقية ووجدانية ونفسية بتصريح أنفسهم، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على تحيزهم لطائفيتهم، ولخدمة مذهبهم الشيعي الجعفري.

ومن هنا، حاولت استنباط المنطلقات التي انطلق منها هؤلاء في ردهم للأحاديث النبوية، ولا يمكنني أن أسميها قواعد، فالقاعدة إنما تبنى على أساس علمي أو عقل صحيح، ويمكن إجمال هذه المنطلقات في النقاط التالية:

١- تقليدهم لأقوال من سبقهم من المعتزلة في مسائل العقيدة، فإذا طعن المعتزلة في أي حديث سارعوا إلى الطعن فيه.

٢- ردهم الحديث لمجرد استشكاله في ذهن الطاعن مع آية من آيات القرآن الكريم، ودون

محاولة الرجوع إلى كتب الحديث والتفسير وأقوال أهل العلم لإزالة هذا الاستشكال.

٣- ردهم الأحاديث التي تتحدث عن أحوال اليوم الآخر إذا تعارضت مع ما ألفه الطاعن من القوانين الحسية، فيقيس عالم الغيب على عالم الشهادة.

٤- ردهم الأحاديث لكونها لا توافق عقله، مع أنها ممكنة عقلاً. فهو يخلط بين ما يمكن عقلاً وما لا يمكن عادةً.

٥- ردهم الأحاديث لكونها بزعمهم تخالف العلوم دون سوق الأدلة على ذلك، ولا النقل عن أهل الاختصاص.

٦- محاولة تكذيب الصحابة أو تخطيئهم بأي شكل من الأشكال، سواء لهذه الأسباب التي ذكرتها أعلاه، أو لكونه اختلف في روايته مع صحابي آخر.

٧- التمسك برواية مجملة، وترك الروايات المفصلة التي توضح الاستشكال.

٨- التهكم والسخرية وضرب الأمثال.

الخاتمة

وبعد أن منَّ الله تعالى عليَّ بإتمام هذه الدراسة أقف لأسجل أهمَّ النتائج والتوصيات:

النتائج:

١- يفتقر نقدُ هؤلاء الطاعنين من الشيعة الإمامية في الأحاديث الصحيحة إلى النقد العلمي الموضوعي، فهو ليس نقداً مبنياً على قواعد الجرح والتعديل، ولا على علم علل الحديث، ولا على علم أصول الفقه من تقييد المطلق، وتخصيص العام، والجمع بين ما ظاهره التعارض، ونحو ذلك، بل نقدهم في أغلبه نقد عقلي ذوقي، غير مبنيّ على أسس علمية، ولا على العقل الصحيح.

٢- اعتمادهم في الطعن في أحاديث «الصحيحين» موضوع الدراسة على كلام المعتزلة قديماً، والمستشرقين وغيرهم حديثاً، وتكرار نقدهم وشبهاتهم لبعضهم بعضاً.

٣- استعمالهم القياس العقلي البحت في أمور الغيبيات على أمور الدنيا لردِّ الأحاديث الصحيحة.

٤- عدم جمعهم لروايات الحديث الواحد؛ من أجل فهم الأحاديث والنظر في سياقاتها أو معرفة أسباب ورودها، ولا يخفى ما لذلك من حلٍّ لكثير من الاستشكالات الواردة في الأحاديث.

٥- رد الحديث لمجرد أن ظاهره يتعارض مع القرآن الكريم دون محاولة النظر في الجمع والتوفيق الذي قاله أهل العلم وشراح الحديث النبوي والمفسرون، مما نتج عنه:

١- ردُّهم لجميع الأحاديث التي تثبت عذاب القبر ونعيمه.

٢- ردُّهم للأحاديث المتعلقة بصفات الله يوم القيامة؛ كمجيء الله تعالى لمحاسبة الناس،

وتكليمه إياهم، ورؤية الناس له عند المحاسبة وفي الجنة.

٣- تأويلهم لأحاديث الصراط والميزان وذبح الموت بحملها على غير الحقيقة.

٦- اتهامهم للصحابة الكرام بإلصاق أحاديث بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقلها.

٧- اتهامهم للصحابة الكرام بأخذ الأحاديث من كتب اليهود وأهل الكتاب.

٨- أحاديث أبي هريرة التي طعنوا فيها، شاركه في روايتها غيرُه من الصحابة الكرام.

التوصيات:

١- إنشاء مراكز علمية بحثية مختصة بالدفاع عن الصحيحين خصوصاً، وعن السنة عموماً، لأجل عمل مشروع يجمع كل الطعون والرد عليها، والتصدي لكل ما يستجد من ذلك.

٢- إشراك أساتذة الحديث وطلبة الدراسات العليا - من خلال رسائلهم وأبحاثهم العلمية- في سد ثغرات ومتطلبات هذا المشروع حسب الحاجة، وتوجيههم التوجيه العلمي المدروس لبناء هذا الهرم بدلاً من تشتت رسائلهم وتكرارها.

٣- جمع جميع الجهود السابقة واللاحقة التي خدمت السنة عموماً والصحيحين خصوصاً، وجعلها في موسوعة شاملة، تكون بين يدي أبناء الأمة بشكل مطبوع وآخر محوسب على شكل برنامج يتيح لهم البحث في كل جزئية مع إمكان التعديل عليه والزيادة من قبل أهل العلم وأهل الاختصاص أسوةً بالموسوعة الحرة الموجودة على الشبكة العنكبوتية.

٤- عقد دورات تعليمية وتوعوية لتعريف الناس بالصحيحين وبصاحبيهما، وتعريفهم بشروط صاحبي الصحيحين الشديدة في جمعهما لأحاديث الصحيحين.

هذا، والله تعالى أعلم، والحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّه الكريم

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آل كاشف الغطاء، محمد حسين (ت ١٣٧٣ هـ)، **أصل الشيعة واصولها**، ط١، ١م، (تحقيق عَلاء آل جَعفر)، مؤسسة الإمام علي عليه السلام.
- آل المظفر، محمَّد رضا بن محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ١٣٨٤هـ) **أصول الفقه**، مركز انتشارات وتبليغات اسلامي، قم، ١٣٧٠هـ.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، ٥م، (تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي)، المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.
- الإدريسي، حامد مسوحلي (٢٠٠٧م)، **الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية**، ط ١، ١م، ، مصر، مكتبة الرضوان.
- الأزهري، محمَّد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠ هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، ٨م، (تحقيق محمَّد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت٣٢٤ هـ)،

ـ **الإبانة عن أصول الديانة**، ط١، ١م، (تحقيق فوقية حسين محمود)، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ط١، ٢م، (تحقيق نعيم زرزور)، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

- الأشقر، عمر سليمان عبدالله (١٩٩٥م)، **القيامة الكبرى**، ط٦، ١م، عمان، دار النفائس.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، (تحقيق صفوان الداودي)، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.
- البخاري، أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (٢٥٦هـ)،

ـ **الجامع المسند الصحيح المختصر**، ط١، ٩م، (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

ـ **الأدب المفرد**، ط٣، ١م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م.

- ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩ هــ)، **شرح صحيح البخاري**، ط٢، ١٠م، (تحقيق ياسر بن إبراهيم)، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ابن بطة، أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت ٣٨٧هــ)، **الإبانة الكبرى**، ط١، ٩م، (تحقيق رضا معطي وعثمان الأثيوبي وآخرين)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، بدون.
- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله التميمي (ت: ٤٢٩هــ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، ط١،٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٩٧٧م.
- البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هــ)، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، ط١، ٣م، (تحقيق لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب)، الناشر وزارة الأوقاف بالكويت، ٢٠١٢م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي (ت ٤٥٨هــ)،

ـ **إثبات عذاب القبر**، ط١، ١م، (تحقيق شرف القضاة)، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٥هــ.

ـ **البعث والنشور**، ط١، ١م، (تحقيق عامر أحمد حيدر)، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٩٨٦م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هــ)، **جامع الترمذي**، ط٢، ٥م، (تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد وإبراهيم عطوة)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م.
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي (ت ٧٢٨هــ)،

ـ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ط١، ٩م، (تحقيق محمد رشاد سالم)، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٩٨٦م.

ـ **الفتاوى الكبرى**، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

ـ **جامع المسائل، المجموعة السابعة**، ط١، ١م، (تحقيق علي بن محمد العمران)، دار عالم الفوائد، مكة، ١٤٣٢هــ.

ـ **مجموع الفتاوى**، ط١، ٣٧م، (تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ١٩٩٥م.

- ابن الجوزي، الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمَّد البغدادي (ت ٥٩٧هـ)،

ــ **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، م٤، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ــ **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، ط١، ٤م، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

ــ **مناقب الإمام أحمد**، ط٢، ١م، (تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر، ١٤٠٩هـ.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤، ٦م، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)،

ــ **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، ط١، ١م، (تحقيق مرزوق على ابراهيم)، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩١م.

ــ **الثقات**، ط١، ٩م (بمراقبة محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م.

ــ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ط٢، ١٨م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)،

ــ **تهذيب التهذيب**، ط١، ٤م، (تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

ــ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ٢٤م، (تحقيق لفيف من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط)، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط١، ٥م، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

- الحسني، هاشم معروف (ت ١٩٨٣هـ)، **دراسات في الحديث والمحدثين**، ط١، ١م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

- الحكيم، محمَّد تقي الحكيم، سنة أهل البيت ص٩، نقلا عن القفاري، ناصر بن عبدالله بن علي، **أصول مذهب**

الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ط١، ٣م، دار النشر: بدون، ١٤١٤ هـ.

- ابن حنبل، أحمد بن محمَّد (ت٢٤١هـ)،

ـ **المسند**، ط١، ٥٠ م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

ـ **المسند**، ط١، ٨م، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.

- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)،

ـ **مختصر المختصر من المسند الصحيح** ، ط١، ٤م، (تحقيق محمد الأعظمي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م.

ـ **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، ط٥، ٥م، (تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٤م.

- خضر، أحمد إبراهيم خضر، مقال بعنوان «**خلط الباحثين بين مصطلحي الحديث والمعاصر**» على موقع الألوكة في الشبكة العنكبوتية، ص: http://www.alukah.net/web/khedr/٠/٥١٣٦٤/#ixzz٣xDSbAe٥٩
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب (٣٨٨ هـ)، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، ط١، ٤م، (تحقيق محمد بن سعد آل سعود)، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٨٨م.
- الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد**، ط١، ١٦م، (تحقيق بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الخطيب، محمَّد أحمد (١٩٨٤م)، **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، ط١، ١م، عمان، الأردن، مكتبة الأقصى.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمَّد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون** ضمن كتابه ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط٢، ٨م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- خليل، محمد جواد (٢٠٠٦م)، **كشف المتواري في صحيح البخاري**، ط١، ٣م، لندن، دار الإرشاد.
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عُمَر(ت ٣٨٥ هـ)، **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، ط٣، ١٠م، (تحقيق

محمد صالح الدباسي)، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠١١م.

- الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد (ت ٢٨٠هـ)، **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي**، ط١، ٢م، (تحقيق رشيد بن حسن الألمعي)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٩٤.
- الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ)، **سنن الدارمي**، ط١، ٤م، (تحقيق حسين سليم أسد الداراني)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السَّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، ط١، ٤م، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.
- الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)،

ـ **سير أعلام النبلاء**، ط٣، ٢٥م، (تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج١٧، ص٣٤٤.

ـ **من تكلم فيه وهو موثوق أو صالح الحديث**، ط١، ١م، (تحقيق عبدالله بن ضيف الله الرحيلي)، ٢٠٠٥م، ص٤٣٤-٤٣٥.

ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط١، ٤م، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م.

ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، ١٥م، (تحقيق بشار عوّاد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بالفخر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، المحصول، ط٣، ٦م، (تحقيق طه جابر فياض العلواني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٣٩.
- ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي (ت ٧٩٥هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، ٩م، (تحقيق جماعة من المحققين)، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، ١٩٩٦م.
- زرزور، عدنان محمد (٢٠٠٨م)، **السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية**، ط١، ١م، عمان،

الأردن، دار الأعلام.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (ت ٧٩٤هـ) **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، ط١، ٣م، (تحقيق زين العابدين بن محمد بلا فريج)، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٨م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ط١٥، ٨م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- الزغير، لطفي بن محمد (٢٠١٠م)، **انتقادات الشيعة المعاصرين للصحيحين**، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد بين ١٤-٢٠١٠/٧/١٧م في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٣٠٦ و٦٨٥.
- الزيات، أحمد وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط١، ٢م، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة بدون تاريخ.
- السالوس، علي بن أحمد علي، **مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع**، ط٧، ١م، دار الفضيلة بالرياض، ودار الثقافة بقطر، ومكتبة دار القرآن بمصر، ٢٠٠٣م.
- السبحاني، جعفر بن محمد حسين التبريزي (معاصر)

ـــ **الحديث النبوي بين الرواية والدراية**، م١، كتاب ألكتروني منشور على كثير من مواقع الشيعة على الشبكة العنكبوتية، منها موقع شبكة الإمامين الحسنين.

ـــ **كليات في علم الرجال**، ط٣، ١م، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي (ت ٤٨٩هـ)، **قواطع الأدلة في الأصول**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد حسن محمد الشافعي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، ط١، ٣م، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ، ج١، ص١٤٦.
- الصدر، السيد حسن، (ت ١٣٥٤هـ) **نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة**، ط١، ١م (تحقيق ماجد الغرباوي)، نشر المشعر بدون تاريخ.

- ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ) **معرفة أنواع علوم الحديث**، ط١، ١م، (تحقيق نور الدين عتر)، دار الفكر، سوريا، ١٩٨٦م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)

ــ **المعجم الكبير**، ط٢، ٢٥م، (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.

ــ **المعجم الأوسط**، ط١، ١٠م، (تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني)، دار الحرمين، القاهرة، بدون

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط١، ٢٦م، (تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي (ت ٣٢١هـ)

– **العقيدة الطحاوية**، ضمن شرحها لابن أبي العز، ط١٠، ٢م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالله بن المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

– **شرح مشكل الآثار**، ط١، ١٦م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ.

- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)،

ــ **اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد باقر الميرداماد الأسترآبادي)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بدون تاريخ.

ــ **الاستبصار فيما اختلف من الاخبار**، ط١، ٤م، (تحقيق حسن الموسوي)، دار الكتب الاسلامية طهران،١٣٩٠هـ.

ــ **العدة في أصول الفقه**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد رضا الأنصاري)، مطبعة ستاره، قم، ١٤١٧هـ.

ــ **الفهرست**، ، ط١، ١م، (تحقيق جواد القيومي) مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ.

ــ **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة** (تحقيق السيد حسن الموسوي، وتصحيح الشيخ محمد الاخوندى)، دار الكتب الاسلامي، طهران،١٣٩٠ه.

- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله (ت ٧٤٣هـ)، **الكاشف عن حقائق السنن**، ط١، ١٣م، (تحقيق عبد الحميد هنداوي)، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧م.

- ظهير، إحسان إلهي، (ت ١٤٠٧هـ)، **الشيعة والتشيع**، ط١٠، ١م، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٩٩٥م.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو، (ت ٢٨٧ هـ)، **السنة**، ط١، ٢م، (تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة)، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٨ م.
- عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (ت ٢٤٩هـ)، **المنتخب**، ط١، ١م، (تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد الصعيدي)، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ط١، ٢٤م، (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، ط٣، ١م، (تحقيق عبد الكريم عثمان)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- عبد الرضا، أحمد عبد الرضا البصري (ت ١٠٨٥هـ)، **فائق المقال في الحديث والرجال**، ط١، ١م، (تحقيق غلا محسين قيصريه ها)، دار الحديث، قم، ١٤٢٢هـ.
- ابن عبد الهادي، يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي (ت ٩٠٩هـ)، **بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم**، ط١، ١م (تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- العبيدي، عبد الحسين عبد الهادي، **جولة في صحيح البخاري**، ط١، م١، مكتبة فدك، إيران، قم، ٢٠٠٩م.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمَّد (ت ٢٠٠١م)، شرح صحيح مسلم، ط١، ٨ م، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ابن العربي، القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر المعافري المالكي (ت ٥٤٣هـ)، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، ط١، ١٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، (ت ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية** ط١٠، ٢م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالله بن المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

- العواجي، غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، ط٤، ٣م، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر، جدة، ٢٠٠١م.
- عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي القاضي، (ت ٥٤٤هــ)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ط١، ٨م، (تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٨م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هــ)، **قواعد العقائد**، ط٢، ١م، (تحقيق موسى محمَّد علي)، دار عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٥م، ص١٣٧.
- الغفاري، عبد الرسول عبد الحسن، **الكليني والكافي**، ط١، ١م، مؤسسة النشر الاسلامي، قم،١٤١٦هــ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت ٣٩٥هــ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط١، ٦م، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هــ)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ط١، ١م، (تحقيق علي سامي النشار)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدوت تاريخ.
- الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث، ط٣، ١م،، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ١٤٢١هــ.
- الفيروزأبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هــ)، **القاموس المحيط**، ط٨، ١م، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- القاري، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين، المشهور بملا علي القاري (ت ١٠١٤هــ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط١، ٩م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن قُتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هــ)، **تأويل مختلف الحديث**، ط٢، ١م، المكتب الاسلامي، بيروت،١٩٩٩م.
- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي الحنبلي، صاحب المغني (ت ٦٢٠هــ)، **تحريم النظر في كتب الكلام**، ط١، ١م، (تحقيق عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقية)، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٠م.
- القرضاوي، يوسف عبدالله (٢٠٠٠م)، **كيف نتعامل مع السنة النبوية**، ط١، ١م، مصر، دار الشروق.

- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت ٦٥٦ هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، ط١، ٧ج، (تحقيق محيي الدين مستو وآخرين)، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٦م.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، ط٢،٣م، (تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم)، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري (ت ٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط٧، ١٠م، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ.
- القمي، سعد بن عبدالله الأشعري (ت ٣٠٠، وقيل: ٣٠١هـ)، **كتاب فرق الشيعة**، ط١، ١م، (تحقيق عبد المنعم الحفني)، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٢م.
- قوام السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، ط٢، ٢م، (تحقيق محمد بن ربيع المدخلي) دار الراية، الرياض، ١٩٩٩م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ)،

ــ **تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته**، مطبوع بحاشية كتاب عون المعبود للعظيم آبادي، ط٢، ١٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

ــ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ط١، ١م، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ.

– مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- الكاشاني، محمد محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود (١٠٩١)،**الوافي**، ط١، ٢٦م، (تحقيق ضياء الدين الحسيني الأصفهاني)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٦هـ.
- كاشف الغطاء، جعفر بن خضر بن يحيى المالكي، (ت ١٢٢٧هـ)، **كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء**، ط١، ١م، بدون تاريخ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)

ــ **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٨م، (تحقيق سامي محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.

ــ **النهاية في الفتن والملاحم**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد أحمد عبد العزيز)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

- كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (ت ١٤٠٨هــ)، **معجم المؤلفين**، ط١، ١٣م، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.
- الكلباسي، ميرزا أبو الهدى بن أبي المعالي بن محمد إبراهيم (ت ١٣٥٦هــ)، **سماء المقال في علم الرجال**، ط١، ٢م، (تحقيق السيد محمد الحسيني القزويني)، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الاسلامية، قم ١٤١٩هــ.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت ٣٢٩ هــ)، **الكافي**، ط٣، ٨م، (تصحيح علي أكبر الغفاري)، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨هــ.
- الكندي، امْرُؤ القيس بن حجر بن الحارث، **ديوان امرِئ القيس**، ط١، ١م، (تحقيق عبدالرحمن المصطاوي)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هــ)، **السنن**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.
- المازري، أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي (ت ٥٣٦هــ)، **المُعْلم بفوائد مسلم**، ط٢، ٣م، (تحقيق محمد الشاذلي النيفر)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٨م، والثالث صدر في ١٩٩١م.
- المازندراني، محمَّد بن صالح السروي (ت ١٠٨١)، **شرح أصول الكافي**، ط١، ١٢م، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٢٥.
- ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هــ)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ط١، ٧م، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٠م.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني (ت١١١١هــ)، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ط٢، ١١٠م، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هــ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ٤م، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

- المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف الكلبي (ت ٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ط١، ٣٥م، (تحقيق بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**، ط١، ٥م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، (ت ٤١٣هـ)، **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**، ط٢، ١م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت٨٠٤هـ)، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ط١، ٣٦م، (تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط وجمعة فتحي)، إصدار وزارة الأوقاف بدولة قطر، ٢٠٠٨م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، إعداد مجموعة من الباحثين (بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر)، ١٠م، وهي ضمن المكتبة الشاملة الألكترونية.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** (١٤٢٠ هـ)، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ٢م (بإشراف ومراجعة مانع بن حماد الجهني)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ج١، ص٧٦.
- النجمي، محمد صادق (١٤١٩هـ)، **أضواء على الصحيحين**، ط١، ١م، (ترجمة: يحيى كمالي البحراني)، قم، إيران، مؤسسة المعارف الاسلامية.
- النَّسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ)،

ــ **السنن الصغرى المعروف بالمجتبى**، ط٢، ٩م، (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.

ــ **السنن الكبرى**، ط١، ١٢م، (تحقيق حسن عبد المنعم شلبي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

- النوبختي، حسن بن موسى (ت ٣١٠هــ)، **كتاب فرق الشيعة**، ط١، ١م، (تحقيق عبد المنعم الحفني)، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٢م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هــ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ١٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هــ.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هــ)،

ــ **كشف الأستار عن زوائد البزار**، ط١، ٤م، (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.

ــ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط١، ١٠م، (تحقيق حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.

- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، (٣٠٧ هــ)، **المسند**، ط١، ١٣م، (تحقيق حسين سليم أسد)، دار المأمون، دمشق، ١٩٨٤م.

المواقع الألكترونية على الشبكة العنكبوتية

- الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية: **https://goo.gl/vkmSh٣**
- الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية: **https://goo.gl/JuZzS٠**
- موقع الفكر للبحث في كتب الشيعة: **http://alfeker.net/search.php**

ملحق فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أبشروا، فإنّ منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا	١٠٧
أخرج بعث النّار	١٠٧
أخرجوا من النّار من كان في قلبه مثقال حبّةٍ	١٤٩
إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصّلاة، فإنّ شدّة الحرّ من فيح جهنّم	٢٢٧
إذا خلص المؤمنون من النّار حبسوا بقنطرةٍ	١٧٠
استبّ رجلان رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود	٩٧
اشتكت النّار إلى ربّها، فقالت: يا ربّ أكل بعضي بعضا	٢٢٧
إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ	٧٤
إنّ الشّمس والقمر آيتان من آيات اللّه، لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته	٢٠٣
إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه	٧٤
إنّ اللّه ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه	٥٦
إنّ اللّه يجمع يوم القيامة الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ	١٤٦
إنّ اللّه يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره	١١٣
إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه	٥٥
أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة	١٣٢
إنّ أمّتي في الأمم كالشّعرة البيضاء	١٠٧
أنّ أناسا في زمن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالوا: يا رسول اللّه هل نرى ربّنا يوم القيامة	١٠٧
إنّ أوّل زمرةٍ يدخلون الجنّة على صورة القمر ليلة البدر	١٧٦
أنّ رجلا كان قبلكم، رغسه اللّه مالا	٦٣
أنّ رجلا من أهل الجنّة استأذن ربّه في الزّرع	٢٤٨
أنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم أتي بلحمٍ فرفع إليه الذّراع	١٤٦
إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة، كما بين مكّة وحمير	١٤٦
أنّ يهوديّة دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر	٩٠
أنا سيّد النّاس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك	١٤٦
انخسفت الشّمس على عهد رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم	٢٠٣
إنّكم سترون ربّكم عياناً	١١٨
إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته	١١٨

إنّه ليأتي الرّجل العظيم السّمين يوم القيامة	١٦١
إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتعذّب في قبرها	٥٦
إنّي لأعلم آخر أهل النّار خروجا منها، وآخر أهل الجنّة دخولا	١٩٥
أوّل زمرةٍ تلج الجنّة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر	١٧٦
أوّل من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذرّيّته، فيقال: هذا أبوكم آدم	١٠٧
أولست فيما شئت؟	٢٤٨
أيما مسلم شهد له أربعة بخير	٤٩
بينما أنا أمشي، مع ابن عمر آخذٌ بيده، إذ عرض رجلٌ	١١٣
بينما رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ جاء يهوديٌّ	٩٧
تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقّها	١٠١
تحاجّت الجنّة والنّار، فقالت النّار: أوثرت بالمتكبّرين والمتجبّرين	٢١٠
توفّيت ابنةٌ لعثمان بمكّة	٥٥
جنّتان من فضّةٍ، آنيتهما وما فيهما، وجنّتان من ذهبٍ	١١٨
حتّى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	١١٠
خرج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد وجبت الشّمس	٩١
دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة	٩٠
صدقتا، إنّهم يعذّبون عذابا تسمعه البهائم كلّها	٩٠
عذاب القبر حقٌّ	٩٠
فضّلت عليهنّ بتسعةٍ وستّين جزءا كلّهنّ مثل حرّها	٢٣٥
في الجنّة ثمانية أبوابٍ، فيها بابٌ يسمّى الرّيّان	١٨٨
قال اللّه: لك ذلك وعشرة أمثاله	١٩٣
قدمت المدينة وقد وقع بها مرض	٤٩
قمت على باب الجنّة، فكان عامّة من دخلها المساكين	٢٠٤
كنّا جلوسا ليلة مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة	١١٨
لا تخيّروا بين الأنبياء، فإنّ النّاس يصعقون يوم القيامة	٩٧
لا تخيّروني على موسى، فإنّ النّاس يصعقون يوم القيامة	٩٧
لا يزال يلقى فيها وتقول: هل من مزيدٍ	٢١٧
لا يزن عند اللّه جناح بعوضةٍ	١٦١
لعلّه أن يخفّف عنهما ما لم تيبسا	٨٣
اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر	٩١

ليدخلنّ من أمّتي سبعون ألفا، أو سبع مائة ألفٍ	١٧٧
ما أنتم في النّاس إلا كالشّعرة السّوداء	١٠٧
ما منكم من أحدٍ إلّا سيكلّمه ربّه	١١٣
مرّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بحائطٍ من حيطان المدينة	٨٣
مرّوا بجنازةٍ، فأثنوا عليها خيرا،	٤٩
من آتاه اللّه مالا، فلم يؤدّ زكاته مثّل له ماله يوم القيامة شجاعا	١٠٣
من أنفق زوجين في سبيل اللّه، نودي من أبواب الجنّة	١٨٨
من حقّها أن تحلب على الماء	١٠٨
ناركم جزءٌ من سبعين جزءا من نار جهنّم	٢٣٥
نعم عذاب القبر	٩٠
نعم وأرجو أن تكون منهم	١٨٨
نعم، هل تضارّون في رؤية الشّمس بالظّهيرة ضوءٌ ليس فيها سحابٌ	١٣٣
هذا أثنيتم عليه خيرا	٤٩
هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحابٌ	١٣٢ و١٦٦
والّذي نفسي بيده، إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّة وحمير	١٤٦
والّذي نفسي بيده، إنّي أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة	١٠٧
وجبت	٤٩
ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاةٍ يحملها على رقبته لها يعارٌ	١٠١
يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح	٢٤٠
يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا	١٤٦
يدخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار	١٤٩
يعذّبان وما يعذّبان في كبيرٍ	٨٣
يعرق النّاس يوم القيامة حتّى يذهب عرقهم في الأرض	١١٠
يقول اللّه تعالى: يا آدم، فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك،	١٠٧
يكشف ربّنا عن ساقه، فيسجد له كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ	١٣٩
يهود تعذّب في قبورها	٩١
يوم يقوم النّاس لربّ العالمين حتّى يغيب أحدهم في رشحه	١١٠

MODERN SHI'AH'S SUSPESSIONS REGARDING THE ACCOUNTS OF HERAFTER IN AL-SAHIHAYN: AN ANALYTIC AND CRITICAL STUDY

By

Saeed Mohammed Ahmed Al-Lahham

Supervisor:

Dr. Abed Al-Kareem Wrikat

ABSTRACT

This letter discuss the rejections of Shiah Emmameyya in the (Sahihayn Ahadeeth) regarding with death and grave, doomsday, paradise and hell, because it rejection for Holy Quran, or Sunnah, or for mind, therefore by critisizing for the basis of scientiic research, to know the their claims in the (Saheehayn Ahadeeth) which rejects with Quran or Sunnah or mind by judge fabrication, muslim scientists has ignored about that for what they got from (Saheehayn Ahadeeth) by taking and acceptance for more than ten centuries passed.

After the study of rejections and critisizm that directed by Emameyyan Shiah toward the (Saheehayn Ahadeeth) regarding the study subject, it seems that contradiction with Ahadeeth with Quran and Sunnan and mind is not correct. and these rejectors has mistake in this matter, and they are not right by violating for the scientific research basis in their rejections from one side, and because there are not able to understand the science of Al-hadeeth al-sharif basis from another side, especially in the critisizm of the Hadeeth men, and knowing the gathering between the Ahadeeth contradicting the appearance of the Quran and Sunnah.

This study showed how to understand the apeared with contradict with Quran and Sunnah or mind through the scientific basis that drawn by the Hadeeth men in the Al-hadeeth basis theoritically, and in the explanation of Hadeeth practically, therefore this study is practical Application to these basis by replying on these rejectors.